



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية

في هذا العدد

- ❖ الانتخابات النيابية العراقية "انقلابات متنافرة وكيانات سياسية تقضى التهميش"
أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور
- ❖ الحروب الأهلية اللبنانية (١٩٤١-١٩٦٠) دراسة تحليلية في أوضاعها السياسية والاجتماعية
أ.م.د. عبد الأمير محسن جبار
- ❖ ظاهرة العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي
أ.م.د. حبيب عبد القادر محمود
- ❖ المثقف العربي والمرحلة الراهنة
أ.م.د. محمد احمد حسن
- ❖ التنافس الدولي في اسيا الوسطى ,اوزبكستان امودجا
أ.م.د. مظفر نذير الطالب
- ❖ العلاقات البريطانية - البحرينية
أ.م.د. قيس ناطق محمد
- ❖ المشروع الأمريكي في العراق "سقوط نظرية اسقاط الدول المسار والتحديات"
د.د. عزيز جبر شيرمال
- ❖ السياسة الأمريكية حيال سورية في ظل الرئيس بشار الأسد
د.د. عارف محمد خلف
- ❖ العولمة من منظور فلسفة النقد
د.م. صباح نمودي نصير



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

ربيع ٢٠٠٦

العدد الثالث

السنة الاولى

أ.د. فاظم عبد الواحد الجاسور

عميد الكلية - المشرف العام

رئيس التحرير أ.م.د. عبد الامير محسن جبار

سكرتير التحرير م.م. علاء جبار

المدير الفني السيد ماجد قاسم نعمان

هيئة التحرير

الاستاذ الدكتور هور يوسف حميدان

الاستاذ الدكتور سعيد حميد حيدر طوخ

الاستاذ المساعد الدكتور وائل محمد اسماعيل

الاستاذ المساعد الدكتور حبيب محمد القادر الطائي

الاستاذ المساعد الدكتور نور لطيفه كريم محمد

الاستاذ المساعد الدكتور حميد نفل النحوي

رقم المجلد في المكتبة الوطنية ٨١٠ في ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٥

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

الهيئة الاستشارية



الأستاذ الدكتور احمد يوسف احمد

عميد معهد الدراسات العربية

الأستاذ الدكتور رياض عزيز هادي

عميد كلية العلوم السياسية -جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور ماهر عبد العال الضبع

جامعة المنوفية - مصر

الأستاذ الدكتور احمد عبد الرحيم الخلافة

مركز المستقبل للدراسات المستقبلية

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداتسي

أمين علم اتحاد المؤرخين العرب

الأستاذ الدكتور محمد جواد علي

مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي

استاذ التاريخ العراقي المعاصر-جامعة بغداد

الأستاذ المساعد الدكتور ثامر كامل محمد

وزارة التعليم العالي -بغداد

قواعد النشر

ترحب المجلة السياسية والدولية والتي تصدرها كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية بإسهامات الكتاب والمفكرين من الكليات في الجامعات العراقية والعربية والمتخصصة بالقضايا السياسية والعلاقات العربية-العربية-الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع السياسي والحضاري والنهضوي العربي وتحيطكم علماً بشروط النشر فيها:

١. ان تعالج القضايا بأسلوب علمي موثق.
٢. ان يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع أكاديمي، يتضمن الكتب والمجلات.
٣. معيار النشر هو الموضوعية والدقة ودرجة التوثيق.
٤. ترسل البحوث بنسختين مع قرص مرن.
٥. ان لا يزيد حجم الدراسة او البحث عن اربعة عشر صفحة A4.
٦. يشترط ان لا تكون البحوث او الدراسات قد نشرت في مجلات اخرى.
٧. تخضع البحوث او الدراسات المرسلة الى التحكيم العلمي من جانب الهيئة الاستشارية في المجلة.
٨. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
٩. لا تدفع المجلة او الكلية أي مكافآت مالية عما تقبله من النشر فيها ويعتبر النشر اسهاماً معنوياً من الكاتب.

**دعوة للدراساء والدراسة في البحوث والدراسات المنشورة بالفرصة
رؤي والدراسة**

الاشتراك في المجلة تراجع كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

بغداد- باب المعظم - صندوق بريد ٤٦١٥٩

هاتف ٠٧٩٠١٩٢٣١٥٤ ، ٤١٤٠٨٥٢ ، ٤١٤٠٨٥١

البريد الالكتروني : [Psc Mustainsiriyah@yahoo.com](mailto:Psc.Mustainsiriyah@yahoo.com)



رقم الصفحة

اسم المادة

الصفحة	المادة
١	الانتخابات النيابية العراقية "تقلبات متفردة وكمائنات سياسية تحبس النهمش"
١	أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسري
٣٩	الحروب الأهلية اللبنانية (١٩٤١-١٩٦٠) دراسة تحليلية في أصولها السياسية والاجتماعية
١	أ.د. عبد الأمير محسن جبار
٦٣	ظاهرة العولمة والمكاساتفا على الوطن العربي
١	أ.د. حبيب عبد القادر محمود الشاوي
٨٩	المثقف العربي والمرحلة الراهنة
١	أ.د. محمد أحمد حسن
٩٧	التأثير الدولي في آسيا الوسطى (اوزبكستان التوذجاً)
١	أ.د. مظفر نذير الطالب
١٣٣	العلاقات البريطانية-البحرينية
١	أ.د. قيس فاطم محمد
١٥٩	المشروع الأمريكي في العراق "مفردات نظرية اسقاط الدول المسار والتحديات"
١	م.د. عزيز جبر شيال
١٧٣	السياسة الامريكية حيال سورية في ظل الرئيس بشار الاسد
١	م.د. عارف محمد خلف
١٨٩	العولمة من منظور فلسفة النقد
١	م.م. صباح حمودي نصيف
٢٠١	احداث العراق السياسية ١٩٣٢-١٩٥٨
١	ترجمة: مصطفى نعمان احمد
٢٠٩	في تقييم شديد الانجاز النظام القاسمي في الميزان
١	ترجمة: مصطفى نعمان احمد
٢١١	القوة العسكرية والسياسة الخارجية الامريكية
١	عرض المدرس المساعد سهيلة عبد الانيس
٢١٥	العلاقات الايرانية-الاوروپية
١	عرض المدرس المساعد زياد طارق خليل

كلية العلوم السياسية
الجامعة الممستصرية



المجلة
السياسية
والدولية

3

ربيع ٢٠٠٦

افتتاحية العدد

وإذ تتحمل المجلة عبء مواكبة الإحداث السريعة التي تعصف بالوضع السياسي العراقي، حيث العملية السياسية المتعثرة في خطواتها بسبب الوضع الأمني المتدهور، وللدماء البرينة التي تسفك بدون ذنب على ارض العراق، فأنها ما زالت وهي تدخل عددها الثالث ملتزمة بالمنهج العلمي والأكاديمي، لتسليط الضوء على العديد من القضايا والإحداث التي تثير البحث والتقصي، سواء كان في إطارها التاريخي كأحداث متصلة بالحاضر أو في إطارها السياسي حيث التدايعات الوطنية والإقليمية والدولية.

ولعل الحدث الأكبر الذي شهده العراق في نهاية عام ٢٠٠٥ هو الانتخابات النيابية التي أفرزت تداعيات على الساحة السياسية يمكن ان تستمر الى سنوات عدة من خلال نتائجها والتشكيكة الحكومية التي تمخضت عنها، بعد عملية عسيرة بين كيانات متنافرة وأخرى تخشى التهميش.

وإذ يقدم في هذا البحث لوحة واسعة عن كل ما جرى في هذه الانتخابات، فإن المجلة تقدم درساً من دروس الحرب الأهلية اللبنانية ليس تلك التي وقعت في منتصف السبعينات وامتدت لأكثر من خمسة عشر عاماً، وإنما تلك التي حدثت في منتصف القرن التاسع عشر لتعطي صورة مظلمة لما يجري الآن في بعض الدول العربية. وقد أفردت المجلة مجالاً واسعاً لتناول المواضيع ذات الأهمية المباشرة بالوضع الحالي، وخصوصاً فيما يتعلق بظاهرة العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي وكيف يتم النظر إليها من منظور فلسفي، ودور المثقف العربي، ناهيك عما تثيره السياسة الأمريكية المتشعبة في مساراتها وما تطرحه من منافسات دولية في مناطق واسعة من العالم. كما خصصت المجلة باباً للتراجم والعروض التي تطلع القارئ على ما استجد من رسائل وكتب حديثة يمكن الاستفادة منها كمراجع في الدراسات والبحوث.

والله الموفق.....

الأستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

المعيد-المشرف العام

الانتخابات النيابية العراقية

اتفاقات متنافرة وكيانات سياسية تخشى التمهيش

الاستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور^(١)

في سنة واحدة شهد العراق اجراء انتخابات تشريعية ومحلية، وعملية استفتاء دستورية، كان فيها للشعب العراقي هو الحكم الفصل، ولأول مرة في تاريخه السياسي يختار فيه من يمثله، إضافة الى المصادقة على الدستور الذي ينظم علاقته بالسلطة الحاكمة، ويؤكد حقوقه والتزامه، والحريات العامة التي يجب ان يتمتع بها، على الرغم من المآخذ العديدة والتحفظات التي يمكن تثبيتها أو انتقادها بصدد ما جرى في الانتخابات السابقة أو خلال عملية إعداد الدستور والاستفتاء عليه، وكذلك ما حصل في انتخابات ١٥ كانون الاول ٢٠٠٥.

وفي الواقع، ان ما يمكن تسجيله من ملاحظات أو تأثير عدد من المميزات التي امتازت بها العملية الانتخابية في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥ لاختيار مجلس النواب العراقي ولمدة أربع سنوات، بدلا من اسم الجمعية الوطنية هي كالآتي:

أولا: ان الائتلافات والأحزاب والتنظيمات التي اشتركت في العملية الانتخابية بلغ عددها ٣٠٧ كيان (حزب) و ٢٠ ائتلاف مسجلة لدى المفوضية العليا للانتخابات وتنافست على مقاعد المجلس البالغة ٢٧٥ مقعداً وطبقاً لنصوص قانون الانتخابات الجديد الذي أقرته الجمعية الوطنية في ١٨ أيلول-ديسمبر ٢٠٠٥، والذي ألغى بموجبه قانون الانتخابات السابق المرقم ٢٠٠٤/٩٦ الذي أصدره الحكام العسكري الأمريكي بول بريمر. كما أصدرت الجمعية الوطنية نظام رقم ٢٠٠٥/١٤ بحدد التسجيل والانتخاب في خارج العراق.

ثانياً: بموجب قانون الانتخابات الجديد، ونظام توزيع مقاعد النواب المرقم ٢٠٠٥/١٣، فإنه يجب:

- يكون الترشيح بطريقة القائمة المغلقة ويجوز الترشيح الفردي.
- لا يقل عدد المرشحين في القائمة عن ثلاثة ولا يزيد على عدد المقاعد المخصصة للدائرة الانتخابية.
- يجب ان تكون امرأة واحدة على الأقل ضمن أول ثلاثة مرشحين في القائمة، كما يجب ان تكون ضمن أول ستة مرشحين في القائمة لمرأتان على الأقل.

- توزع المقاعد المخصصة لكل قائمة على المرشحين طبقاً لترتيب الأسماء للوردة فيها.
- يتم توزيع المقاعد على المرشحين وليس على الكيانات السياسية، ولا يجوز لأي من الكيانات أن يسحب من المشرح المقعد المخصص له.
- وإضافة إلى التعليمات الأخرى بخصوص شغل المقاعد، وغياب المرشح، فإن القانون قد نص على أن مجلس النواب يتكلف من ٢٧٥ مقعداً، ٢٣٠ مقعداً منها توزع على الدوائر الانتخابية، حيث تكون كل محافظة وفقاً للحدود الإدارية الرسمية دائرة انتخابية واحدة تختص بعدد من المقاعد يتناسب مع عدد الناخبين المسجلين في المحافظة حسب انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ (المعتمد على نظام البطاقة التموينية). ويتم توزيع المقاعد المخصصة للدوائر الانتخابية (ينظر الجدول المرفق حول الدوائر الانتخابية لكل محافظة) من خلال نظام التمثيل النسبي وفقاً للإجراءات التالية:
- يقسم مجموع الأصوات الصحيحة في الدائرة على عدد المقاعد المخصصة لها للحصول على القاسم الانتخابي وذلك من خلال هذا المثال (فقط مثال):
- عدد المصوتين في الدائرة الانتخابية في محافظة الأنبار

$$\frac{\text{عدد المقاعد المخصصة لمحافظة الأنبار}}{450000}$$

$$= 50 \text{ ألف صوت يشترط للفوز بمقعد واحد}$$

٩

- وهكذا بالنسبة لبقية المحافظات (الدوائر الانتخابية)، والتي يتحدد من خلال عدد ناخبها الأصوات المطلوبة للفوز بمقعد واحد من المقاعد المخصصة للمحافظة (دائرة انتخابية واحدة) كما هو مثبت في الجدول المرفق.
- إما بالنسبة لـ ٤٥٠ مقعداً، المتبقية، فلها تسمى، المقاعد التعويضية، والتي يتم توزيعها اعتماداً على معارئين:
١. الأحزاب التي حصلت على أكثر الأصوات على المستوى الوطني، ولم يحصل على عدد كاف في الدائرة الانتخابية للمحافظة للحصول على مقعد.
 ٢. الأحزاب التي حصلت على أصوات من عراقيين مقيمين خارج العراق.
- وقد أوضح قانون الانتخابات، ونظام توزيع مقاعد مجلس النواب، الكيفية التي يتم من خلالها توزيع المقاعد التعويضية حسب ما يأتي:
١. يقسم مجموع الأصوات الصحيحة في العراق على عدد مقاعد مجلس النواب للحصول على (المعدل الوطني):
 - العدد الإجمالي للأصوات في العراق

$$= \frac{\text{المعدل الوطني}}$$

$$275 \text{ مجموع مقاعد مجلس النواب}$$

مثال ذلك:

٢٧٥٠٠٠٠

----- ١٠٠ المعدل الوطني

٢٧٥

٢. يقسم مجموع الأصوات التي حصل عليها كل كيان على (المعدل الوطني) لتحديد عدد المقاعد التي تختص له.

مثال على ذلك:

حزب ب حصل على ٤٠٠٠٠٠٠ صوت

٤٠٠٠٠٠

----- ٤ مقاعد وهكذا بالنسبة لبقية الأحزاب والكيانات والائتلافات

١٠٠

٣. يبدأ توزيع المقاعد التعميضية على الكيانات التي لم تحصل على تمثيل في الدوائر الانتخابية بشرط حصولها على (المعدل الوطني) ..

٤. توزع المقاعد المتبقية على الكيانات المتمثلة في الدوائر الانتخابية بنسبة عدد أصواتها من مجموع الأصوات (الباقى الأقوى).

ثالثاً: ومما يلاحظ، فإن النظام الانتخابي السابق بموجب قانون رقم ٢٠٠٤/٩٦ لبريمر، قد جعل من العراق دائرة انتخابية واحدة، وعلى أساس نظام التمثيل النسبي، الأمر الذي جعل ثلاث قوائم ائتلافية تحصل على أكثر من ٩٦% من مقاعد الجمعية الوطنية، وبالتالي فإن كل القرارات والأنظمة التي شرعتها الجمعية الوطنية خلال الفترة الماضية ما بين ٢٠ كانون الثاني و١٥ كانون الأول جاءت نتيجة للتوافق ما بين القائمة الكردستانية والائتلاف العراقي الموحد، للذان يشكلان الأغلبية المطلقة في مقاعد الجمعية الوطنية.

رابعاً: قايماً الى الانتخابات السابقة التي شهدت غياباً واضحاً للناخب العراقي في محافظات نينوى، صلاح الدين (تكريت)، والاببار (الرمادي)، وعدم اكتراث عراقيوا الخارج بالعملية الانتخابية، والسياسية عموماً، وخصوصاً وإن هناك جاليات عراقية كبيرة في عدد من الدول قد حرمت من المشاركة، ولأسباب تتعلق بالإقامة مثل الأردن، فإن الانتخابات التي جرت في ١٥ كانون الأول شهدت مشاركة واسعة، وينسب مرتفعة في المحافظات الغربية، ليس فقط لكون هذه الانتخابات طرحت فيها قوائم وكيانات تمثل العرب السنة ومن خلال قائمة ائتلافية ضمت شخصيات من الوقت المني والحزب الإسلامي، وإنما لحالة الانفراج وما تحقق من توافق في مؤتمر القاهرة قد شجع بعض الأطراف الى إعادة التفكير في عملية المقاطعة، ولأسيما وإن ما حصل في نتائج لنتخابات ٣٠ كانون الثاني الماضي قد غير من تركيبة الخارطة السياسية العراقية التقليدية، الأمر الذي أدى الى الاعتقاد بأن عدم المشاركة ليس من مصلحة الأطراف السياسية المعارضة للعملية السياسية، ولذلك فإن نسبة المشاركة في الانتخابات ارتفعت

هذه المرة إلى ٦٩,٩٧% من الناخبين المسجلين في حين سجلت انتخابات كانون الثاني ٢٠٠٥ نسبة ٥٨%.

خامساً: في الواقع، إن نتائج هذه الانتخابات التي تؤسس لتأليف مجلس نواب لمدة أربع سنوات، أفرزت واقعاً سياسياً واجتماعياً جديداً على الساحة السياسية العراقية، وإن كانت ملامح هذا الواقع قد اتضحت خلال الاستفتاء على الدستور، إلا إنها لم تكن بالصور الكاملة، والتي تخللتها بعض النقاط غير الواضحة. وإذا كانت انتخابات ٣٠ كانون الثاني قد تميزت بإقصاء التيار العلماني الليبرالي-اليساري من عضوية الجمعية الوطنية، فإن اصطفاك القوى السياسية في هذه القوائم لم يكن منسجماً إلى درجة تمثيلها للواقع السياسي والاجتماعي العراقي، الأمر الذي كشفت عنه الأيام التي تلت إعلان النتائج حيث الفراغ الأمني والتشريعي والحكومي كان شاخصاً في هذا الواقع، وما أفضى إليه من نتائج سلبية ومماووية مزقت نسج المجتمع العراقي، بسبب التنافس على المناصب، وتحقيق الطموحات العرقية والطائفية والشخصية الضيقة.

سادساً: وما يلاحظ من خلال قراءة أسماء المرشحين في القوائم الائتلافية، إنها جاءت معبرة عن كل مكونات الشعب العراقي، وانخفضت من الانتماءات الطائفية والعرقية، وتجاوزت أسلوب المحاصصة السابق، ولاسيما وإن أغلبية القوائم الائتلافية طرحت نفسها في كل المحافظات العراقية، وحتى في المحافظات الكردية المغلقة، حيث راهنت على الوعي السياسي للناخب العراقي، وعلى البرامج التي طرحتها، حيث إن كل القوائم ضمت مرشحين ينتمون إلى مختلف الطوائف والقوميات والتيارات السياسية ما بين التيار الديني واليساري، وكذلك العربي السني والعربي الشيعي والمسيحي، واليزيدي، والكرد السني والكرد الشيعي، وغير المسلم، ليس فقط على مستوى دائرة محافظة بغداد، والتي حظيت بعدد كبير من المقاعد قياساً إلى عدد ناخبها، وإنما في بقية محافظات العراق الأخرى، حيث لوحظ أن هناك قوائم تمثل أحزاب وتيارات شيعية في محافظات ذات أغلبية سنية، وكذلك للعكس، حيث اشتركت قوائم وكيانات تمثل تيارات وتنظيمات سنية في محافظات ذات أغلبية شيعية إلا أن الفترة التي تلت نتائج الانتخابات قد كشفت عكس ذلك تماماً وتم التباحث حول المناصب خارج الاستحقاق الانتخابي.

سابعاً: إن الأخذ بنظام دوائر العضوية المنفردة، حيث إن كل محافظة دائرة انتخابية واحدة، ويخصص لها عدد من المقاعد يتناسب مع عدد نفوسها، قد أسس لواقع سياسي واجتماعي جديد، وتقليد دستوري، ترتب عليه تقسيم المناصب الثلاث على وفق التقسيم الطائفي والعراقي لجغرافية العراق، وذلك تجسداً للواقع الانتخابي الذي تمثلته المحافظات الجنوبية للتسع، إضافة إلى بغداد، وما يحصل في محافظة ديالى، كركوك، وصلاح الدين، ناهيك عن عملية فرز الأصوات طبقاً للمعدل الوطني للقوائم التنوعية.

ثامناً: لقد اشتركت في الانتخابات البرلمانية وفي كل محافظات العراق ٩٩٦ قائمه وكيان سياسي (حزب وتنظيم وشخصية مستقلة) حيث تنافس في بغداد وحدها ١٠٦ قائمة نظم ٢١٦١ مرشحاً للفوز بـ ٥٩ مقعداً.

تلمعا: لقد ميزت الانتخابات بالمشاركة الواسعة قياسا الى الانتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ وخصوصا في المحافظات الغربية للثلاث نينوى والانباء و صلاح الدين (وتكريت) وبزخم كبير وبشكل مؤشرا كبيرا في تطور العملية السياسية، وإدراكا واضحا من قبل القوى السياسية التي لم تشترك في الانتخابات السابقة، بان الوقت قد حان للمشاركة في الحكومة ومناصبها، وخصوصا في الجيش والدخالية. ويبدو ان هذه المشاركة الواسعة جاءت عن ثمر النداء الذي وجهه ألف رجل دين سني الذي اعتبر ان الاشتراك في الانتخابات "واجبا شرعيا" وهو ما جاء في بيان الوقف السني، إضافة الى ان الجيش الإسلامي العراقي اكد فصائل المقاومة العراقية، دعا الى عدم استهداف المراكز الانتخابية، وقد شهدت هذه الخطوة بأنها دعم القوائم "السنية" في الانتخابات وخصوصا جبهة التوافق العراقية.

اكد عشر: في الوقت الذي حققت فيه قائمة التحالف الكردستاني فوزا كبيرا تمثل بنسبة ١٠% في المحافظات الكردية الثلاث: اربيل، سلمانية، دهوك إلا إنها فشلت في الحصول على أي مقعد في محافظة بغداد، ولم تحصل إلا على ٢٥,٤٥٩ ألف صوت وبنسبة ١,٠٦%، رغم الزخم السكاني الكردي في بغداد، وهذا مؤشر خطير يحتاج الى دراسة معمقة. اكد عشر: ان القائمة الوحيدة التي سجلت حضورا انتخابيا في كل محافظات العراق، هي قائمة الائتلاف العراقي الموحد التي حصلت على ٨٠% في تسع محافظات، وعلى ٥٨% في محافظة بغداد، إضافة الى الأصوات في الدوائر الانتخابية الأخرى، حيث إنها لم تحصل إلا على أقل من ألف صوت في محافظة الانبار، اربيل، دهوك، السلمانية، في الوقت الذي سجلت جبهة التوافق العراقية حضورا في ١٤ محافظة، وغابت نهائيا عن اربع محافظات، حيث إنها حصلت في بغداد على ١٨,٩٨% وفي الانبار على ٧٣,٧٥% وفي ديالى على ٣٦,٧٧% وفي صلاح الدين على ٣٣,٦٧%، وفي نينوى على ٣٦,٨٨%.

ثلاثة عشر: لم تستطع قائمة الجبهة الوطنية للحوار الوطني برئاسة صالح المطلق، ان تفوز بأي مقعد في محافظة بغداد، ولم تحصل إلا على ١,٥٦%، الأمر الذي كان من المتوقع ان يستبعد السيد صالح المطلق من عضوية البرلمان بعد ترشيحه على المقاعد المخصصة لمحافظة بغداد، لولا تدارك ذلك من خلال تعويضه بالمقاعد الوطنية.

اربعة عشر: لقد كشفت نتائج الانتخابات بان المفوضية العليا لم تلتزم بمعايير إجازة أو تأسيس الكيان السياسي، أو الحزبي الذي يشترط عددا من الأعضاء حيث ان بعض الكيانات لم تستطع الحصول على عدد من الأصوات بقر أصابع اليد، في حين ان شخصيات سياسية وعشائرية حققت نتائج كبيرة جدا قياسا الى ما وصلت إليه هذه الكيانات، وان قراءة نتائج انتخابات كل محافظة توضح ذلك جليا.

خمس عشر: لقد شهدت هذه الانتخابات لتحسيرا كبيرا للتيارات العلمانية، الليبرالية، واليسارية، والتي تجمعت تحت لواء القائمة العراقية الوطنية لرئيس الوزراء السابق إياد علاوي، التي لم تحصل إلا على ٢٥ مقعدا أربعة مقاعد منها نتيجة للتوزيع على أساس

المعدل الوطني، وخسرت ١٥ مقعداً قواماً الى ما حصلت عليه في انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥.

سته عشر: من المفارقة التي تثير الانتباه هو ان نسبة المشاركة في الانتخابات وفي المحافظات الآمنة وتعيش في وضع مستقر هي اقل بكثير من نسب المشاركة في المحافظات الأخرى، وقد فسر ذلك بان هناك رفض لبعض التحالفات التي عقدت بين الأحزاب والائتلافات غير المتجانسة، حيث أغلبية أنصارها ومؤيديها عزفوا عن التصويت، وخصوصاً في القاسية والمثنى.

جدول يوضح عدد المقاعد المخصصة لكل محافظة باعتبارها دائرة انتخابية واحدة، مع عدد الناخبين المسجلين في إطار نظام الدوائر العضوية المنفردة

ت	الدائرة الانتخابية اسم المحافظة	عدد الناخبين المسجلين	المقاعد المخصصة للمحافظة (دائرة انتخابية)
١	بغداد	٣٦٦٤٩٢٢	٥٩
٢	نينوى	١١٩٧٠٤٠	١٩
٣	البصرة	١٠٣٥٠٥٥	١٦
٤	السليمانية	٩١٤٤٤١	١٥
٥	اربيل	٧٩٥٢٩١	١٣
٦	ذي قار	٧٧٨٥٧٤	١٢
٧	بابل	٦٩٤١٩٢	١١
٨	ديالى	٦٢٤٠٩٩	١٠
٩	كركوك	٥٧٦٠٤٨	٩
١٠	الأنبار	٥٧٤١٣٨	٩
١١	صلاح الدين	٤٩٨٠١٧	٨
١٢	واسط	٤٩٤٩٥٥	٨
١٣	النجف	٤٩٣٨٠٨	٨
١٤	الديوانية/القاسية	٤٨٦٨٢٧	٨
١٥	دهوك	٤٢٩١٨٢	٧
١٦	ميسان	٤١٧٢٧٣	٧
١٧	كربلاء	٤٠٩٠٨١	٦
١٨	المثنى	٢٩٥٣٢٦	٥
المجموع		١٤٣٧٩١٦٩	٢٣٠ مقعداً ٤٥ مقعد (تعويضية)

جدول بأسماء وأرقام الائتلافات السياسية التي صالحت عليها مفوضية الانتخابات والأحزاب المؤتلفة فيها

رقم لقائمة	القوائم والأحزاب المؤتلفة فيها
	التي تضم:
	الحزب الإسلامي العراقي
	المؤتمر العام لأهل العراق
	مجلس الحوار الوطني للعراقي
	التي تضم:
	الجبهة العربية الموحدة
	حركة التضامن الوطني
	التي تضم:
	الاتحاد الوطني الكردستاني/به كيتي نيشتماني ي كوردستان
	حزبي زه حمه تكيستاني كوردستان
	كومي أي نيسلامي كوردستان/الجماعة الإسلامية الكردستانية/العراق
	حزب الاتحاد الديمقراطي الكلداني
	الحزب الشيوعي الكوردستاني/العراق-حزبي شيوعي كوردستان/عراق
	حزبي سوبيليسيت ديموكراتي كوردستان
	الحزب الديمقراطي الكوردستاني/بارتي ديموكراتي كوردستان
	حزب الإخاء التركماني/العراق
	التي تضم:
	قائمة الوفاء لكربلاء
	للتجمع الوطني لقياتل وعشائر العراق المقدمة المقر العام
	التي تضم:
	تجمع الإخاء المستقل
	الشيخ علي عبد الحسين كمونة
	التي تضم:
	حزب الدعوة الإسلامية
	حزب الفضيلة الإسلامي
	منظمة بدر
	المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق
	الائتلاف الإسلامي لتركمان العراق
	تجمع العدل والمساواة
	حركة الديمقراطية للبرانيين
	حركة حزب الله في العراق
	حركة الوفاء للتركمانية
	حركة سيد الشهداء (ع) الإسلامية
	حزب تجمع الوسط
	تجمع الشبك الديمقراطي
	ملحان إلى مكوطر
	حزب الدعوة الإسلامية/تنظيم العراق

٨ الانتخابات النيابية العراقية

	ملتقى الإصلاح والبناء
	الكتلة الصدرية
	جماعة العدالة
	أحرار العراق
	الحزب الشيوعي العراقي
	حزب الوحدة
	التجمع القومي الديمقراطي
	التجمع الجمهوري العراقي
	الحركة الاشتراكية العربية
	تجمع الديمقراطيين المستقلين
	حركة الوفاق الوطني العراقي
	رابطة عشائر واعيان تركمان العراق
	تجمع القوافل الأوسط
	عراقيون
	تجمع الوفاء للعراق
	الهيئة العراقية المستقلة
	مجلس شيوخ العراق المستقل
	القائمة الوطنية
	أحرار
	تجمع العراق الديمقراطي
	الحزب الوطني الديمقراطي الأول
	المؤتمر الوطني العراقي
	جبهة العمل المشترك الديمقراطية
	حزب القرار التركماني
	الحزب الدستوري العراقي
	طارق عبد الكريم آل شهاب البديري
	كتلة الأمانة العامة لإقليم جنوب العراق
	القائمة المستقلة
	الحركة الدستورية العراقية
	منظمة العمل الإسلامي
	التجمع القومي الإسلامي في العراق
	رابطة علماء الدين في العراق
	رابطة الإسلامية لطلبة العراق
	اتحاد الهيئات المسيحية
	حركة الرفاه والحرية
	حزب العدالة والتقدم الديمقراطي
	الدكتور خالد محمود عبد الله السحون
	الحزب الوطني الآشوري

٩ الانتخابات النيابية العراقية

	اتحاد بيت نهرين الوطني
	حركة تجمع السريان للمستقل
	المجلس القومي الكلداني
	د. حكمت داود حكيم
	المدير الديمقراطي الكلداني
	الوفاء للنجف
	رمضان البدران/ابن البصرة
	الحزب الديمقراطي المسيحي العراقي
	الجبهة الديمقراطية العربية
	الجبهة الوطنية لوحدة العراق الحر
	حركة أبناء العراق الموحد
	الجبهة الوطنية العراقية
	تجمع أهالي بابل
	حقوق الإنسان والمجتمع المدني
	التجمع الفيدرالي العراقي
	حزب الأمة العراقية
	الحركة الوطنية العراقية
	مجلس العراق الموحد
	حزب الطلبة الإسلامي
	الائتلاف الوطني الديمقراطي
	حزب الجمهوريين الأحرار
	حزب الإصلاح والعدالة الديمقراطي
	الحزب الطليعي الاشتراكي الناصري
	تجمع للمادة الاشتراكية السومرية (علمان الدياب)
	الحزب الوطني العراقي
	المجلس العراقي الديمقراطي الموحد
	حزب الاتحاد الوطني العراقي

جدول القوائم الانتخابية الأكثر نسبة في المحافظات العراقية

١	دهوك	التحالف الكردستاني	%٨٩,٩٧
		الاتحاد الإسلامي الكردستاني	%٧,٤٣
		قائمة الرافدين	%١,٢٣
٢	اربيل	التحالف الكردستاني	%٩٥,١٥
		الاتحاد الإسلامي الكردستاني	%٣,٢٤
		لقائمة العراقية الوطنية	%٠,٤٠
٣	السليمانية	التحالف الكردستاني	%٨٧,١٣
		الاتحاد الإسلامي الكردستاني	%١٠,٨٢
		لقائمة العراقية الوطنية	%١,٣٥
٤	كركوك	التحالف الكردستاني	%٥١,٨٩
		الجبهة العراقية للحوار الوطني	%١٤,٢٤
		الجبهة التركمانية العراقية	%١١,٢٧
٥	ديالى	جبهة التوافق العراقية	%٣٦,٧٧
		الائتلاف العراقي الموحد	%٢٢,٢٦
		التحالف الكردستاني	%١٣,٤٢
٦	بغداد	الائتلاف العراقي الموحد	%٥٨,٤٦
		جبهة التوافق العراقية	%١٨,٩٨
		لقائمة العراقية الوطنية	%١٣,٨٠
٧	واسط	الائتلاف العراقي الموحد	%٨٠,٦٨
		لقائمة العراقية الوطنية	%٨,٠٩
		الرساليون	%٤,٤٦
٨	ميسان	الائتلاف العراقي الموحد	%٨٦,٨٦
		لقائمة العراقية الوطنية	%٤,٣٣
		الرساليون	%٣,٣٨
٩	البصرة	الائتلاف العراقي الموحد	%٧٧,٤٦
		لقائمة العراقية الوطنية	%١١,٠٢
		جبهة التوافق العراقية	%٤,٦٧
١٠	ذي قار	الائتلاف العراقي الموحد	%٨٦,٦٣
		لقائمة العراقية الوطنية	%٥,٠٣
		الرساليون	%٢,٩٠
١١	المثنى	الائتلاف العراقي الموحد	%٨٦,٤٢
		لقائمة العراقية الوطنية	%٤,٣٥
		الرساليون	%٢,٦١
١٢	القادسية	الائتلاف العراقي الموحد	%٨١,٣٨
		لقائمة العراقية الوطنية	%٨,٥٤
		حزب لواء الإسلام	%٢,٢٥
١٣	النجف	الائتلاف العراقي الموحد	%٨٢,٠٣
		لقائمة العراقية الوطنية	%٧,٨٠
		الرساليون	%٤,٠٢
١٤	كربلاء	الائتلاف العراقي الموحد	%٧٦,٠٢
		لقائمة العراقية الوطنية	%١١,٧٢

١٩ الانتخابات النيابية العراقية

		فرساليون	
١٥	بابل	الائتلاف العراقي الموحد	%٧٥,٧٤
		القائمة العراقية الوطنية	%٨,٧٩
		جبهة التوافق العراقية	%٥,٦٩
١٦	الأنبار	جبهة التوافق العراقية	%٧٣,٧٥
		الجبهة الوطنية للحوار الوطني	%١٧,٩٤
		القائمة العراقية الوطنية	%٢,٩٠
١٧	صلاح الدين	جبهة التوافق العراقية	%٣٣,٦٧
		الجبهة الوطنية للحوار الوطني	%١٩,٣٢
		القائمة العراقية الوطنية	%١٠,٦٩
١٨	نينوى	جبهة التوافق العراقية	%٣٦,٨٨
		التحالف الكردستاني	%١٩,٢٠
		القائمة العراقية الوطنية	%١١,١٧

جدول النتائج النهائية لانتخابات مجلس النواب المصالح عليها من المفوضية العليا

اسم الكيان السياسي	رقم الكيان السياسي	العدد الكلي للأصوات	مقاعد المحافظات	المقاعد التعويضية	المقاعد الوطنية	العدد الكلي للمقاعد
ائتلاف العراقي الموحد	٥٥٥	٥,٠٢١,١٣٧	١٠٩	-	١٩	١٢٨
تحالف الكردستاني	٧٣٠	٢,٦٤٢,١٧٧	٤٣	-	١٠	٥٣
جبهة التوافق العراقية	٦١٨	١,٨٤٠,٢١٦	٣٧	-	٧	٤٤
قائمة العراقية الوطنية	٧٣١	٩٧٧,٣٢٥	٢١	-	٤	٢٥
جبهة العراقية للحوار الوطني	٦٦٧	٤٩٩,٩٦٣	٩	-	٢	١١
تحالف الإسلامي الكردستاني	٥٦١	١٥٧,٦٨٨	٤	-	١	٥
قائمة التحرير والمصالحة	٥١٦	١٢٩,٨٤٧	٣	-	-	٣
فرساليون	٦٣٠	٨٧,٩٩٣	١	-	-	١
قائمة الرافدين	٧٤٠	٤٧,٢٦٣	-	١	-	١
قائمة مثالي الأوسمي للأمة العراقية	٦٢٠	٣٢,٢٤٥	١	-	-	١
حركة الأيزيدية من أجل الإصلاح والتقدم	٦١٨	٢١,٩٠٨	١	-	-	١
مجموع			٢٣٠	١	٤٤	٢٧٥

معلومات عامة:

عدد الذين أدلوا بأصواتهم يوم الانتخابات ١١,٨٩٣,٤١٣ مليون

عدد الأصوات الصحيحة ١١,٠٨٩,٦٥٦

عدد الأوراق البيضاء ٦٢,٨٣٦ بطاقة

عدد المحطات الانتخابية ٣١,٣٤٨ ألف محطة موزعة على جميع محافظات العراق

عدد المحطات الانتخابية خارج العراق ٥٦٠ محطة لتقارح موزعة في ١٥ دولة

عدد الأوراق الصحيحة خارج العراق ٢٩٥,٣٧٧ ألف ورقة

عدد الأوراق غير الصحيحة خارج العراق ١,٩١٢ ألف ورقة

- عدد الأوراق البيضاء ١,٠٩٤ ألف ورقة
- عدد المرشحين الذين شاركوا في الانتخابات ٧,٦٥٥ ألف مرشح
- عدد المراقبين العراقيين الذين اشرفوا على الانتخابات ١٢٦,١٢٥ ألف مراقباً انتخابياً عراقياً
- عدد المراقبين الدوليين ٩٤٩ مراقباً من فريق المراقبين الدوليين
- عدد الشكاوي التي تسلمتها المفوضية العليا ١,٩٨٥ ألف شكوى
- عدد النساء اللاتي حصلن على مقاعد في مجلس النواب ٦٢ امرأة
- تنافس ٧٦٥٥ ألف مرشح فيملائون ٣٠٧ كياناً سياسياً و١٩ قائمة ائتلافية على مقاعد مجلس النواب البالغة ٢٧٥ مقعداً
- أعلنت المفوضية العليا إلغاء نتائج ٢٢٧ صندوق اقتراع من اصل ٣١٥٠٠ صندوق في كل العراق أي أقل من ١% بعد التحقيق في الشكاوى.
- قياساً الى الانتخابات السابقة التي جرت في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ خسرت قائمة التحالف الكردستاني ٢٢ مقعداً، خسرت قائمة إياد علاوي ١٥ مقعداً، وخسرت قائمة الائتلاف العراقي الموحد ١٢ مقعداً.
- بلغت نسبة المشاركة في الانتخابات التي جاءت مطابقة للمعايير الدولية بلغت ٧٠%.
- أعلى نسبة مشاركة تحققت في محافظة صلاح الدين (نكريت) إذ بلغت ٨٨,٣٧% فيما سجلت الانبار (الرمادي) أقل نسبة بلغت ٥٥%.
- بلغت نسبة المشاركة في بغداد العاصمة ٦٣,٦٩%
- طبقاً للمادة ١٢٩ من الدستور العراقي من باب الأحكام الانتقالية (يعتمد مجلس النواب في جلسته الأولى النظام الداخلي للجمعية الوطنية الانتقالية لحين إقرار نظام داخلي له).
- بلغ عدد المرشحين الذين قتلوا عشية الانتخابات ستة مرشحين في بغداد والرمادي والعمارة.
- لقد تركزت اغلب الخروقات الانتخابية في بغداد، لربيل، ديالى، الانبار، الموصل، وكركوك.
- درست المفوضية ١٩٨٥ شكوى بينها ٥٨ شكوى حمراء، و٦٣ شكوى تتعلق بالتزوير، ودعاوي تتعلق بسلوك المراقبين والإخلال بالحملة الدعائية وعدم احترام الصمت الانتخابي.
- حصد التحالف الكردستاني على أغلبية أصوات الخارج بحوالي ١٧٦,٣٦١ ألف صوت وبنسبة ٣٦,٥٦% تم تلاء الائتلاف العراقي الموحد وحصل على

- ١٤٦,٠٩١ صوت وبنسبة ٣٠,٢٨%، ثم القائمة العراقية الوطنية على ٥٣,٥٧٦ صوت بنسبة ١١,١٠% وجبهة التوافق العراقية على ٢٣,٤٠٩ صوت بنسبة ٤,٨٥% وجبهة الحوار الوطني ٨١٠٤ صوت بنسبة ١,٦٨%.
- حجبت المفوضية العليا نتائج الأصوات في تركيا لورود معلومات عن حدوث تزوير في ثلاثة مراكز انتخابية في مدينة اسطنبول.

نسبة المشاركة في كل محافظة (دائرة انتخابية واحدة)

ت	المحافظة	النسبة
١	دهوك	٨٦,٨%
٢	اربيل	٧٦,٩٨%
٣	السليمانية	٨٢,٨٦%
٤	كركوك	٢٥,٦٢%
٥	بغلي	٧١,٤٠%
٦	بغداد	٦٣,٦٩%
٧	نينوى	٦٢,٤٠%
٨	صلاح الدين	٨٨,٣٧%
٩	الايثار	٥٥,١٣%
١٠	النجف	٧٠,٦٨%
١١	كربلاء	٦٩,٨٧%
١٢	القادسية	٦٣,٩٣%
١٣	المثنى	٦٥,٤٦%
١٤	واسط	٦٧,٢٠%
١٥	بابل	٧٥,٢٤%
١٦	ذي قار	٧١,١٢%
١٧	ميسان	٧٢,٤٥%
١٨	البصرة	٧٣,٤١%

نتائج محافظة البصرة

نسبة المشاركة (٧٣,٤١) عدد المقاعد (١٦) وكان عدد القوائم المتنافسة (٧١) قائمة

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	٦١٥٢٥٥	٧٧,٤٨%
٢	القائمة العراقية الوطنية	٨٧٨٥٣٨	١١,٠٢%
٣	جبهة التوافق العراقية	٣٧٠٩٨	٤,٦٧%
٤	حركة ثوار الانتفاضة الشعبية المقر العام في العراق	١٤٥٢٨	١,٨٣%
٥	الرساليون	٤٢٧٢	٠,٥٤%
٦	حزب الولاء الإسلامي	٣٢٩٨	٠,٤١%
٧	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٢٧٣٩	٠,٣٤%
٨	حركة الدعوة الإسلامية	١٩٢٢	٠,٢٤%

١٤ الانتخابات النيابية العراقية

٩	قائمة مثل الالوسي للامة العربية	١٧٤٦	٠,٢٢%
١٠	الائتلاف الوطني الموحد	١٧٠٠	٠,٢١%
١١	الائتلاف الإسلامي	١٥٤٣	٠,١٩%
١٢	شمن العراق	١٥٢٧	٠,١٩%
١٣	تجمع كفاهات للعراق المستقل	١٤٥٧	٠,١٨%
١٤	ائتلاف العدالة والمستقبل	٩٩٣	٠,١٣%
١٥	قائمة أمل البصرة	٩٤٩	٠,١٢%
١٦	تجمع عراقي المستقل	٨٩٧	٠,١٠%
١٧	منظمة العمل الإسلامي في العراق بقيادة المركزية	٨٣٢	٠,١٠%
١٨	تيار الإصلاح والنهوض	٨٢٠	٠,١٠%
١٩	تجمع الوحدة الوطنية العراقي	٧٦١	٠,١٠%
٢٠	حزب الله العراق	٦٩٥	٠,٠٩%
٢١	الجهة العراقية للحوار الوطني	٦٩٣	٠,٠٩%
٢٢	كتلة العراق	٦٨٨	٠,٠٩%
٢٣	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٦٦٧	٠,٠٨%
٢٤	التجمع الإسلامي العراقي	٦٦٠	٠,٠٨%
٢٥	التحالف الوطني الديمقراطي	٦٤٦	٠,٠٨%
٢٦	للتحالف الكردستاني	٦٢٠	٠,٠٨%
٢٧	قائمة الأحرار المستقلين	٦١٢	٠,٠٨%
٢٨	حزب ثار الله الإسلامي	٦٠١	٠,٠٨%
٢٩	نزار الاسدي	٥٨٦	٠,٠٧%
٣٠	تجمع التأسيس العراقي	٥٤٧	٠,٠٧%
٣١	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٥٤٣	٠,٠٧%
٣٢	جميع اهل العراق	٥٢٢	٠,٠٧%
٣٣	كتلة أvenir الصدر	٥١٨	٠,٠٧%
٣٤	تجمع لوفاء للبصرة	٤٤٠	٠,٠٦%
٣٥	تجمع البصرة للتحقاء المستقل	٣٤٧	٠,٠٤%
٣٦	تجمع العراق الحر	٣٢٨	٠,٠٤%
٣٧	الميد مسعود مجير مزبان القرطوسي	٢٧٧	٠,٠٣%
٣٨	كوادر حزب الدعوة الإسلامية / الأمل للعلمة	٢٥٨	٠,٠٣%
٣٩	كتلة وحدة للعراق	٢٥٣	٠,٠٣%
٤٠	السلام الوطني	٢٥١	٠,٠٣%
٤١	حزب الوحدة الإسلامية في العراق	٢٤٧	٠,٠٣%
٤٢	التيار العراقي الديمقراطي	٢٣٠	٠,٠٣%
٤٣	تجمع لبناء العراق الديمقراطي	٢١٢	٠,٠٣%
٤٤	برلمان القوى الوطنية	٢٠٦	٠,٠٣%
٤٥	التجمع الشعبي للديمقراطي	١٩٦	٠,٠٢%
٤٦	الائتلاف الكردي القوي الموحد	١٦٣	٠,٠٢%
٤٧	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	١٦٢	٠,٠٢%
٤٨	الحركة الإسلامية في العراق	١٦٢	٠,٠٢%
٤٩	الحركة الديمقراطية لثوار الانتفاضة	١٥٢	٠,٠٢%
٥٠	التحالف الوطني لأحرار العراق	١٣٤	٠,٠٢%
٥١	للتجمع من أجل الديمقراطي العراقي	١٢٠	٠,٠٢%

الانتخابات النيابية العراقية ١٥

٥٢	مجلس التضامن الوطني	١١٨	%٠,٠١
٥٣	حزب الإخوة العراقية (أبو الفقراء)	١١٤	%٠,٠١
٥٤	تجمع الانتفاضة العراقية	١٠٥	%٠,٠١
٥٥	قائمة النهدين وأختي	١٠٥	%٠,٠١
٥٦	قائمة الوحدة الوطنية	١٠٤	%٠,٠١
٥٧	القائمة الوطنية المستقلة	١٠١	%٠,٠١
٥٨	مجلس الصمود الوطني العراقي	١٠١	%٠,٠١
٥٩	قائمة الرافدين	٩٧	%٠,٠١
٦٠	بصريون أكاديميون مستقلون	٩٦	%٠,٠١
٦١	الحلة الفحاء	٩٦	%٠,٠١
٦٢	الحركة الإصلاحية في العراق	٨٩	%٠,٠١
٦٣	مجلس شيوخ عضاء وجهاء محافظة كربلاء المستقل	٧٤	%٠,٠١
٦٤	تجمع وطنيون	٧٤	%٠,٠١
٦٥	قائمة أبناء البصرة المستقلين	٦٥	%٠,٠١
٦٦	حركة المجتمع الديمقراطي	٦٢	%٠,٠١
٦٧	كتلة لنا الفد	٦٠	%٠,٠١
٦٨	حزب المسار الوطني الموحد	٥١	%٠,٠١
٦٩	التجمع الوطني للمادة الإشراف آل البيت	٤٤	%٠,٠١
٧٠	الاستقامة	٣٩	%٠,٠٠
٧١	الولاء للعراق تجمع الرافدين الأخيار المخلصين	٣٣	%٠,٠٠
٧٢	المجلس السياسي الوطني العراقي	٢٨	%٠,٠٠
٧٣	اتحاد السجناء السياسيين/المكتب السياسي	٢١	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة بغداد

عدد للمقاعد ٥٩ تنافست عليها (١٠٦) قائمة وكيان سياسي وكثت نسبة المشاركة ٦٣,٧٩% من المقترعين المسجلين في القوائم الانتخابية

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الاتلاف العراقي الموحد	١٣٩٨٧٧٨	%٥٨,٤٦
٢	جبهة للتوافق العراقية	٤٥٤١٠٧	%١٨,٩٨
٣	القائمة العراقية الوطنية	٣٣٠٠٨٤	%١٣,٨٠
٤	الرساليون	٤٣٨٨٨	%١,٨٣
٥	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٣٧٤٣٧	%١,٥٦
٦	التحالف الكردستاني	٢٥٤٥٩	%٠,٤٢
٧	قائمة مثل الألوسي للأمة العراقية	١٣٣١٦	%٠,٣٦
٨	قائمة الرافدين	٩٩٨٦	%٠,٣٥
٩	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٨٦٤٥	%٠,٢٩
١٠	الاتلاف الإسلامي	٨٢٥٩	%٠,١٨
١١	كتلة للمصالحة والتحرير	٧٠١٠	%٠,١٤
١٢	عبد الستار جبر العبودي	٤٣١٢	%٠,١٠
١٣	شمس العراق	٢٢٥٠	%٠,٠٩
١٤	تجمع كفاءات العراق المستقل	٢٨٧٧	%٠,٠٨
١٥	تجمع الوحدة الوطنية العراقية	٢٤٩٣	%٠,٠٨

١٦ الانتخابات النيابية العراقية

١٦	حزب الولاء الإسلامي	٢٢٥٦	%٠,٠٨
١٧	الجبهة للتركمانية العراقية	٢٠٣٠	%٠,٠٥
١٨	الائتلاف الكردي لقوي الموحد	١٩٦٠	%٠,٠٥
١٩	مجلس الصوم الوطني العراقي	١٩٥٢	%٠,٠٥
٢٠	منتدى قبرلمان العراقي	١٥٥٩	%٠,٠٥
٢١	الائتلاف الوطني الموحد	١٢٨٤	%٠,٠٥
٢٢	حركة الدعوة الإسلامية	١٢٧٦	%٠,٠٥
٢٣	منظمة للعمل الإسلامي في العراق - قيادة المركزية	١٢٦٥	%٠,٠٥
٢٤	تيار الإصلاح والنهوض	١١٤٧	%٠,٠٥
٢٥	حركة الإصلاح الوطني	١٠٤٠	%٠,٠٤
٢٦	حركة العراقيين العرب	١٠٣٠	%٠,٠٤
٢٧	لائتلاف العدالة والمستقبل	٩٨١	%٠,٠٤
٢٨	كتلة نصائر الصدر	٨٨٦	%٠,٠٤
٢٩	فسلام الوطني	٨٧٠	%٠,٠٤
٣٠	تجمع العراقيين المستقلين	٧٤٧	%٠,٠٣
٣١	تجمع التأسيس العراقي	٧٣٨	%٠,٠٣
٣٢	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٧٠١	%٠,٠٣
٣٣	برلمان القوى الديمقراطية	٦٨٦	%٠,٠٣
٣٤	حركة أهل العراق	٦٧٠	%٠,٠٣
٣٥	اصلاحيون	٦٤٦	%٠,٠٣
٣٦	طارق عبد المال مهلول عيسى فخيلي	٦٣٢	%٠,٠٣
٣٧	حركة الضباط والمصلين الأحرار	٥٩٩	%٠,٠٣
٣٨	قائمة النهدين وطني	٥٩٧	%٠,٠٣
٣٩	الولاء للعراق تجمع الرافدين الأخيار والمخلصين	٥٩٢	%٠,٠٢
٤٠	ائتلاف عدل (عراق ديمقراطي ليبرالي)	٥٤٧	%٠,٠٢
٤١	الحركة الشعبية الوطنية الديمقراطية العراقية	٥٤٤	%٠,٠٢
٤٢	تجمع أعيان العراق المركزي	٥٣٣	%٠,٠٢
٤٣	الحركة الإسلامية في العراق	٥٢٣	%٠,٠٢
٤٤	لقائمة العربية	٤٩١	%٠,٠٢
٤٥	التحالف الوطني الديمقراطي	٤٦٨	%٠,٠٢
٤٦	تجمع عراق المستقبل	٤٦٤	%٠,٠٢
٤٧	كوادر حزب الدعوة الإسلامية الأمانة العامة	٤٣٦	%٠,٠٢
٤٨	حزب الله العراق	٤٠٣	%٠,٠٢
٤٩	الدكتور المهديان إيراهيم خليل سعيد العيسوي	٣٨٧	%٠,٠٢
٥٠	جبهة الخلاص الوطني	٣٨٠	%٠,٠٢
٥١	التجمع من أجل الديمقراطية العراقية	٣٧٧	%٠,٠٢
٥٢	حزب النهضة الوطني الديمقراطي تجمع	٣٦٩	%٠,٠٢
٥٣	تجمع لتتفاضة العراق	٣٥٩	%٠,٠٢
٥٤	مجلس للتضامن العراقي	٣٤٠	%٠,٠٢
٥٥	حركة لوفاق الإسلامي	٣٣٧	%٠,٠١
٥٦	التحالف الوطني لأحرار العراق	٣٣٧	%٠,٠١
٥٧	الحركة الإسلامية في كردستان	٣٣٢	%٠,٠١
٥٨	الحركة الإصلاحية في العراق	٣٢٩	%٠,٠١

الانتخابات النيابية العراقية ١٧

٥٩	الاتحاد الإسلامي الكرستاني	٢٢٧	%٠,٠١
٦٠	قائمة الوحدة الوطنية	٢٢٦	%٠,٠١
٦١	مجلس أعيان العراق	٢٢٥	%٠,٠١
٦٢	حركة الإصلاح الوطني العراقي	٢١٦	%٠,٠١
٦٣	تجمع العراق الحر	٢١٤	%٠,٠١
٦٤	تجمع أبناء العراق الديمقراطي	٢٠٩	%٠,٠١
٦٥	تجمع وطنيون	٢٠٨	%٠,٠١
٦٦	التجمع الوطني العراقي	٢٠٦	%٠,٠١
٦٧	كتلة لنا غد	٢١٧	%٠,٠١
٦٨	حركة ثوار الانتفاضة الشعبية المقر العام في العراق	٢٤٩	%٠,٠١
٦٩	التجمع الإسلامي العراقي	٢٤١	%٠,٠١
٧٠	منظمة الأبرار الإسلامية	٢٣٥	%٠,٠١
٧١	منظمة السلام الكرد للشوعية	٢٣٤	%٠,٠١
٧٢	التيار العراقي الديمقراطي	٢٣١	%٠,٠١
٧٣	حزب الوحدة الإسلامية في العراق	٢٢٢	%٠,٠١
٧٤	الشيوخ جيل لفته الساعدي	٢١٠	%٠,٠١
٧٥	الجبهة العراقية المستقلة	٢٠٧	%٠,٠١
٧٦	تجمع العراق الجديد	١٩٧	%٠,٠١
٧٧	حزب اليسار الديمقراطي الموحد	١٩٥	%٠,٠١
٧٨	ديوان العرب المستقل	١٨٩	%٠,٠١
٧٩	كتلة وحدة العراق	١٨٦	%٠,٠١
٨٠	حزب الإخوة العراقية (أبو الفقراء)	١٧٥	%٠,٠١
٨١	المحامي احمد سهام الطائي	١٧٣	%٠,٠١
٨٢	رواد الأصغر والتسمية	١٧١	%٠,٠١
٨٣	حزب الإخاء الوطني العراقي	١٦١	%٠,٠١
٨٤	مجلس الخيار الوطني العراقي	١٥٩	%٠,٠١
٨٥	المجلس المبلسي الوطني العراقي	١٥٣	%٠,٠١
٨٦	التجمع الوطني للسادة الإشراف آل البيت	١٤٨	%٠,٠١
٨٧	المؤتمر الأثوري العام	١٤٨	%٠,٠١
٨٨	التجمع العراقي لحكومة الظل المستقلة لجمهورية العراق	١٤٢	%٠,٠١
٨٩	كتلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	١٤٢	%٠,٠١
٩٠	حزب المستقبل	١٣٢	%٠,٠١
٩١	حزب الحل الديمقراطي الكرستاني	١٣٢	%٠,٠١
٩٢	تجمع أبناء العراق	١٣٠	%٠,٠١
٩٣	الوفاء للتجف	١٢٦	%٠,٠١
٩٤	لحظة الفجاء	١١٤	%٠,٠٠
٩٥	تحالف لقيال العراقية	١١٣	%٠,٠٠
٩٦	حزب العمل الديمقراطي الكرستاني	١٠٩	%٠,٠٠
٩٧	لحركة الوطنية لأبناء العراق	٩٦	%٠,٠٠
٩٨	قائمة الجنوب الموحد	٨٨	%٠,٠٠
٩٩	التجمع الشعبي للديمقراطي	٨٣	%٠,٠٠
١٠٠	حركة الجماهير المستقلة	٨١	%٠,٠٠
١٠١	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٧٥	%٠,٠٠

١٨ الانتخابات النيابية العراقية

١٠٢	لتجمع العراقي الهاشمي	٧٤	%٠,٠٠
١٠٣	حركة التجمع العراقي الحر	٦٦	%٠,٠٠
١٠٤	الكتلة الوطنية لأبناء العراقيين	٦٦	%٠,٠٠
١٠٥	اتحاد السجاء المسلمين (المكتب السياسي)	٥٩	%٠,٠٠
١٠٦	الاملة للملاي لإصلاح العراق	٣٢	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة كركوك نسبة المشاركة (٧٥,٦٢) عدد المقاعد (٩) القوائم المتنافسة (٤٧)

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	فئتالاف للكرمستاني	٢٦٦٧٣٧	%٥١,٨٩
٢	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٧٣١٩١	%١٤,٢٤
٣	الجبهة للتركمانية العراقية	٥٩٧١٦	%١١,٦٢
٤	جبهة الفلوق العراقية	٣١٧٢٣	%٦,١٧
٥	كتلة المصالحة والتحرير	٢٧٤٣١	%٤,٣٦
٦	الائتلاف العراقي الموحد	١٨٤٣١	%٣,٥٩
٧	القائمة العراقية للوطنية	١٣١٤٧	%٢,٥٦
٨	القائمة الحربية	٥٨٩٠	%١,١٥
٩	الائتلاف الإسلامي للكرمستاني	٥١٤٣	%١,٠٠
١٠	لتجمع العربي ومجلس المشاور	٤١٧٥	%٠,٨١
١١	مجلس الموم الوطني العراقي	٢٣٨٧	%٠,٤٦
١٢	قائمة العراقيين	١٧٥١	%٠,٣٤
١٣	منظمة العمل الإسلامي في العراق (القيادة المركزية)	١٢٠٥	%٠,٢٣
١٤	لرساليون	١٢٠٣	%٠,٢٣
١٥	حزب الائتلاف الديمقراطي للقوميات العراقية	٧٨٣	%٠,١٥
١٦	قائمة مثال الامومي للأمة الحربية	٦٩٥	%٠,١٤
١٧	قائمة الوحدة الوطنية	٦٦٢	%٠,١٣
١٨	برلمان القوى الوطنية	٥٨٥	%٠,١١
١٩	حركة السادس من كانون الثاني	٥٧٣	%٠,١١
٢٠	لتجمع من اجل الديمقراطية العراقية	٥٤١	%٠,١١
٢١	لائتلاف عدل (عراق ديمقراطي ابيدالي)	٢٤٤	%٠,٠٥
٢٢	حركة اهل العراق	٢٣٢	%٠,٠٥
٢٣	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٢٠٨	%٠,٠٤
٢٤	لئتلاف الوطني لاجرار العراق	١٩٠	%٠,٠٤
٢٥	حركة الضباط والمسنين الاحرار	١٧١	%٠,٠٣
٢٦	شمس العراق	١٦٩	%٠,٠٣
٢٧	لائتلاف العدالة والمستقبل	١٥٥	%٠,٠٣
٢٨	حزب الحل الديمقراطي للكرمستاني	١٥٣	%٠,٠٣
٢٩	تجمع للتأسيس العراقي	١٤١	%٠,٠٣
٣٠	قائمة النهدين وطن	١٣٦	%٠,٠٣
٣١	المؤتمر الاستوري العام	١٣٤	%٠,٠٣
٣٢	لحركة الإسلامية في كرمستان العراق	١٢٨	%٠,٠٢
٣٣	اتحاد السجاء المسلمين (المكتب السياسي)	١٢١	%٠,٠٢

١٩ الانتخابات النيابية العراقية

٣٤	مجلس التضامن العراقي	١١٧	%٠,٠٢
٣٥	التحالف الوطني الديمقراطي	١١٥	%٠,٠٢
٣٦	تجمع وطنيون	١٠٥	%٠,٠٢
٣٧	حزب العمل الديمقراطي الكردستاني	٩٨	%٠,٠٢
٣٨	مجلس اعيان العراق	٩٣	%٠,٠٢
٣٩	حزب العمل المستقل الكردستاني	٧٠	%٠,٠١
٤٠	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٧٠	%٠,٠١
٤١	حركة العراقيين العرب	٦٢	%٠,٠١
٤٢	تجمع العراق للحر	٦٠	%٠,٠١
٤٣	السلام الوطني	٤٠	%٠,٠١
٤٤	تجمع كفاءات الكردستاني	٣٤	%٠,٠١
٤٥	حزب المحافظين الكردستاني	٣٠	%٠,٠١
٤٦	كوادر حزب الدعوة الإسلامية الأمانة العامة	٢٧	%٠,٠١
٤٧	المجلس السياسي الوطني العراقي	١٧	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة اربيل نسبة المشاركة (٧٦,٩٨) عدد المقاعد (١٣) القوائم المتنافسة (١٥)

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	للتحالف الكردستاني	٦٢٨١٨١	%٩٥,٥
٢	الاتحاد الإسلامي الكردستاني	٢١٤٠٤	%٣,٢٤
٣	حزب العمل الديمقراطي الكردستاني	١٩٠٢	%٠,٤٠
٤	قائمة الرافدين	١٧٠٥	%٠,٢٦
٥	الجبهة التركمانية العراقية	١٢٢٦	%٠,١٩
٦	الحركة الإسلامية في كردستان العراق	٨٥٦	%٠,١٣
٧	حزب المحافظين الديمقراطي الكردستاني	٧٥٨	%٠,١٩
٨	حزب الحل الديمقراطي الكردستاني	٤٢٠	%٠,٠٦
٩	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٣٢٦	%٠,٠٥
١٠	حزب العمل المستقل الكردستاني	٣١٦	%٠,٠٥
١١	الائتلاف العراقي الموحد	١٥٠	%٠,٠٢
١٢	حزب المحافظين الكردستاني	١٠٦	%٠,٠٢
١٣	قائمة مثالي الاوسى للأمة العراقية	٧٤	%٠,٠١
١٤	قائمة النهرين وطني	٤٢	%٠,٠١
١٥	للتحالف الوطني الديمقراطي	٢٥	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة كربلاء
نسبة المشاركة (٦٩,٨٧) عدد المقاعد (٦) القوائم المتنافسة (٦٨)

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	٢٣٠٢١١	%٧٦,٠٢
٢	القائمة العراقية الوطنية	٣٥٥٠٢	%١١,٧٢
٣	الرساليون	٨٠٦٤	%٢,٦٦
٤	حزب لولاء الإسلام	٣٤١٥	%١,١٣
٥	الائتلاف الإسلامي	٢٦٧٠	%٠,٨٨
٦	اصلاحيون	٤٣٨	%٠,٤٧
٧	تجمع كفاءات العراق المستقل	١٤١٦	%٠,٤٧
٨	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١٣٨١	%٠,٤٦
٩	قائمة مثال الالوسي للأمة العراقية	١٢٥٢	%٠,٤١
١٠	تجمع العدالة والإصلاح	١٢٢٦	%٠,٤٠
١١	تيار الإصلاح والنهوض	١١٩٧	%٠,٤٠
١٢	التيار العراقي الديمقراطي	١٠٠٥	%٠,٣٣
١٣	منظمة العمل الإسلامي في العراق (القيادة المركزية)	٩٤٧	%٠,٣١
١٤	جبهة فتوح العراق	٨٩٠	%٠,٢٩
١٥	الائتلاف الفكراني المستقل	٧٧٨	%٠,٢٦
١٦	قائمة السلام والإخاء	٧٠٠	%٠,٢٣
١٧	شمس العراق	٦٨٩	%٠,٢٣
١٨	الكفلة الوطنية المستقلة	٦٣٦	%٠,٢١
١٩	حركة الدعوة الإسلامية	٦٢٤	%٠,٢١
٢٠	التحالف الوطني الديمقراطي	٥٩٨	%٠,٢٠
٢١	مجلس شيوخ وعشائر ووجهاء محافظة كربلاء المستقل	٥٤٨	%٠,١٨
٢٢	تجمع الانتفاضة العراقية	٥٤١	%٠,١٨
٢٣	التجمع الثقافي المستقل	٤٢٢	%٠,١٤
٢٤	حركة الوفاق الإسلامي	٤٠٦	%٠,١٣
٢٥	حركة ثوار الانتفاضة الشعبية المقرر العام في العراق	٣٥٨	%٠,١٢
٢٦	السلام الوطني	٣٢٥	%٠,١١
٢٧	ائتلاف العدالة والمستقبل	٢٩٥	%٠,١٠
٢٨	التحالف الكردستاني	٢٨٦	%٠,٠٩
٢٩	حزب الدعوة الإسلامية في العراق	٢٦٦	%٠,٠٩
٣٠	مجلس عموم وطني عراقي	٢٥٧	%٠,٠٨
٣١	الشيخ عادل حميد خلخال/أبو عيث	٢٣٩	%٠,٠٨
٣٢	التجمع الرسالي الحر	٢٢٩	%٠,٠٨
٣٣	تجمع التأسيس العراقي	٢١٩	%٠,٠٧
٣٤	ديوان العرب المستقل	٢١٦	%٠,٠٧
٣٥	برلمان القوى الوطنية	٢٠٧	%٠,٠٧
٣٦	رود الأصوار والتنمية	٢٠٣	%٠,٠٧
٣٧	تجمع وطنيون	٢٠١	%٠,٠٧
٣٨	منتدى البرلمان العراقي	١٩١	%٠,٠٦
٣٩	تجمع عراق المستقل	١٨٢	%٠,٠٦
٤٠	كفلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	١٧٤	%٠,٠٦

٢١ الانتخابات النيابية العراقية

٤١	الشيخ السيد طالب السيد جبار الوائلي	١٧٠	%٠,٠٦
٤٢	الجبهة العراقية للحوار الوطني	١٥١	%٠,٠٥
٤٣	كتلة وحدة العراق	١٤١	%٠,٠٥
٤٤	جمعية أهل العراق	١٣٣	%٠,٠٤
٤٥	تجمع العراق الحر	١٣١	%٠,٠٤
٤٦	الحركة الإصلاحية في العراق	١٢٦	%٠,٠٤
٤٧	الحركة العراقية للديمقراطية المباشرة	١٢١	%٠,٠٤
٤٨	الكتلة الوطنية لأبناء العراقيين	١٢٠	%٠,٠٤
٤٩	الاستقلال	١١١	%٠,٠٤
٥٠	التجمع العراقي الديمقراطي المستقل للتحرير والبناء	١٠٧	%٠,٠٤
٥١	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	١٠٢	%٠,٠٣
٥٢	دكتور عبد الأمير الفخري	٨٥	%٠,٠٣
٥٣	علم العراق	٨٠	%٠,٠٣
٥٤	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٦٩	%٠,٠٢
٥٥	كتلة لنا الخد	٦٨	%٠,٠٢
٥٦	الشيخ صبار عمران الكربلائي	٦٨	%٠,٠٢
٥٧	التجمع الوطني للسادة الإشراف آل البيت	٦٤	%٠,٠٢
٥٨	حركة الجماهير المستقلة	٦٠	%٠,٠٢
٥٩	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٥٨	%٠,٠٢
٦٠	التحالف الوطني لأحرار العراق	٥٧	%٠,٠٢
٦١	اتحاد السجناء السياسيين (المكتب السياسي)	٥٣	%٠,٠٢
٦٢	التجمع الإسلامي العراقي	٤٨	%٠,٠٢
٦٣	الحزب الاشتراكي الديمقراطي	٤٥	%٠,٠١
٦٤	قائمة الوحدة الوطنية	٤٤	%٠,٠١
٦٥	مجلس التضامن العراقي	٤٢	%٠,٠١
٦٦	حزب الحل الديمقراطي للكرديستانيين	٣٥	%٠,٠١
٦٧	قائمة العراقيين	١٥	%٠,٠٠
٦٨	لمجلس السياسي الوطني العراقي	١٤	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة بابل نسبة المشاركة (٧١,٤٠) عدد المقاعد (١٠) القوائم المتنافسة (٦١)

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	جبهة التوافق العراقية	١٨٢٢٢٣	%٣٦,٧٧
٢	الائتلاف العراقي الموحد	١١٠٢٨٥	%٢٢,٢٦
٣	التحالف الكرديستاني	٦٦٥٠٨	%١٣,٤٢
٤	القائمة العراقية الوطنية	٥٢٦٢٤	%١٠,٦٢
٥	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٥٠٩٧١	%١٠,٢٩
٦	كتلة المصالحة والتحرير	٦٨٢٧	%١,٣٨
٧	حركة الضباط والمثقفين الأحرار	٣٤٧٩	%٠,٧٠
٨	الرساليون	٣٠٦٤	%٠,٦٢
٩	النخبة الوطنية العراقية المستقلة	٢١٨٤	%٠,٤٤
١٠	مجلس أعيان العراق	١٨٢٢	%٠,٣٧

٢٢ الانتخابات النيابية العراقية

١١	١٦١٧	٠,٣٣%	الجبهة التركمانية العراقية
١٢	١٤٩٣	٠,٣٠%	تجمع الوحدة الوطنية العراقية
١٣	٩٩٥	٠,٢٠%	تجمع وطنيون
١٤	٩٤٣	٠,١٩%	قائمة المؤتمر الوطني العراقي
١٥	٩٢٠	٠,١٩%	قائمة مثال الاوسى للأمة العربية
١٦	٦٤٧	٠,١٣%	الائتلاف الإسلامي
١٧	٥٦٣	٠,١١%	الائتلاف الكردي لقبلي الموحد
١٨	٤٨١	٠,١٠%	منظمة الأبرار الإسلامية
١٩	٤٧٠	٠,٠٩%	علي الحريشي
٢٠	٤٣١	٠,٠٩%	التجمع الوطني العراقي
٢١	٤١١	٠,٠٨%	برلمان القوى الوطنية
٢٢	٤١٠	٠,٠٨%	صوت العراقي
٢٣	٣٧٤	٠,٠٨%	القائمة العربية
٢٤	٣٧٢	٠,٠٨%	تجمع العراقيين المستقلين
٢٥	٣٥٣	٠,٠٧%	حركة الوفاق الإسلامي
٢٦	٣٢٩	٠,٠٧%	حركة أهل العراق
٢٧	٣٢٥	٠,٠٧%	قائمة الوحدة الوطنية
٢٨	٢٧٢	٠,٠٥%	ائتلاف عمل (عراقي ديمقراطي ليبرالي)
٢٩	٢٤٥	٠,٠٥%	الاتحاد الإسلامي الكورستاني
٣٠	٢٣٤	٠,٠٥%	الجبهة العراقية المستقلة
٣١	٢٢٤	٠,٠٥%	تجمع للتأسيس للعراقي
٣٢	٢٢١	٠,٠٤%	منظمة العمل الإسلامي في العراق القيادة المركزية
٣٣	١٩٠	٠,٠٤%	السلام الوطني
٣٤	١٧٢	٠,٠٣%	حركة الإصلاح الوطني
٣٥	١٥٧	٠,٠٣%	مجلس المصوم الوطني العراقي
٣٦	١٤٦	٠,٠٣%	الحركة للشعبية الوطنية الديمقراطية
٣٧	١٤٥	٠,٠٣%	تجمع العراق الحر
٣٨	١٤٠	٠,٠٣%	التيار العراقي للديمقراطي
٣٩	١٣٩	٠,٠٣%	مجلس الخيار الوطني العراقي
٤٠	١٣٨	٠,٠٣%	كفلة لنا غد
٤١	١٣٧	٠,٠٣%	حركة الإصلاح الوطني العراقي
٤٢	١٢٥	٠,٠٣%	مجلس التضامن العراقي
٤٣	١٢٠	٠,٠٢%	ائتلاف القذافي والمستقل
٤٤	١١٩	٠,٠٢%	قواء العراق تجمع العراقيين الأخيار المخلصين
٤٥	١٠٨	٠,٠٢%	ائتلاف الوطني الديمقراطي
٤٦	٩٢	٠,٠٢%	قائمة الرافدين
٤٧	٩١	٠,٠٢%	التجمع العراقي لحكومة الظل المستقلة لجمهورية العراق
٤٨	٩٠	٠,٠٢%	ائتلاف الوطني لأحرار العراق
٤٩	٨٤	٠,٠٢%	حركة للمجتمع العراقي الحر
٥٠	٨٠	٠,٠٢%	حزب النهضة الوطني الديمقراطي
٥١	٧٩	٠,٠٢%	كوادر حزب الدعوة الإسلامية/الأمانة العامة
٥٢	٧٤	٠,٠٢%	حزب الإخوة العراقية أبو الفراء
٥٣	٦٧	٠,٠١%	حزب المستقبل

٢٣ الانتخابات النيابية العراقية

٥٤	قائمة النهرين وطني	٦٢	٠,٠١%
٥٥	تيار الإصلاح والنهوض	٦١	٠,٠١%
٥٦	التجمع الوطني للمساءلة والإشراف آل البيت	٥٧	٠,٠١%
٥٧	منظمة السلام لكرد الشيعة	٤٦	٠,٠١%
٥٨	حزب الحل الديمقراطي الكردستاني	٤٠	٠,٠١%
٥٩	شخص للعراق	٣٩	٠,٠١%
٦٠	الأمالة العلمة لإصلاح العراق	٢٥	٠,٠١%
٦١	التجمع العراقي القومسي	١٤	٠,٠١%

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة دهوك نسبة المشاركة (٨٦,٨) عدد المقاعد (٧) القوائم المتنافسة (١٣)

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	التحالف الكردستاني	٣٥٥.٨٤	٨٩,٩٧%
٢	الاتحاد الإسلامي الكردستاني	٢٨٩٥٧	٧,٣٤%
٣	قائمة الرافدين	٤٨٦٧	١,٢٣%
٤	القائمة العراقية الوطنية	٢٣٧٢	٠,٦٠%
٥	شيخ مسعود شيخ نور البريفكاني	١٣٧٤	٠,٣٥%
٦	الحركة الأيزيدية من أجل الإصلاح والتقدم	٥١٦	٠,١٣%
٧	حزب المحافظين الديمقراطي الكورديستاني	٢٩٩	٠,٠٨%
٨	حزب العمل الديمقراطي الكردستاني	٢٢٢	٠,٠٦%
٩	قائمة النهرين وطني	٢٠٠	٠,٠٥%
١٠	قائمة مثقال الألوسي للأمة العراقية	١٣٧	٠,٠٣%
١١	المؤتمر الأثوري العام	١٣٥	٠,٠٣%
١٢	الائتلاف العراقي الموحد	١٣٠	٠,٠٣%
١٣	حزب المحافظين الكردستاني	١٢٣	٠,٠٣%

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة بابل عدد المقاعد ١١ تنافست عليها (٨٠) قائمة وكيان سياسي وكلفت نسبة المشاركة ٧٥,٢٤%

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	٤١٨٩١٩	٧٥,٧٤%
٢	القائمة العراقية الوطنية	٤٨٥٩٣	٨,٧٩%
٣	جبهة للتوافق العراقية	٣١٤٧٠	٥,٦٩%
٤	الرساليون	٩.٢٥	١,٦٣%
٥	فراتيون-حقوق الإنسان	٣١٨٣	٠,٥٨%
٦	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٢٩٨٠	٠,٥٤%
٧	حزب الولاء الإسلامي	٢٦٨٦	٠,٤٩%
٨	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١٩٥٧	٠,٣٥%
٩	قائمة مثقال الألوسي للأمة العراقية	١٩٤٥	٠,٣٥%
١٠	حزب الوحدة الإسلامية في العراق	١٩٢٠	٠,٣٥%
١١	جمعية لمل لشهداء الانتفاضة	١٦٩٧	٠,٣١%

٢٤ الانتخابات النهائية العراقية

١٢	تجمع كتلانات العراق المستقبل	١٦٩٣	٠,٣١%
١٣	الائتلاف الإسلامي	١٦٤٤	٠,٣٠%
١٤	حركة الدعوة الإسلامية	١٤١٩	٠,٢٦%
١٥	تجمع عراق المستقبل	١٢٩٧	٠,٢٣%
١٦	تجمع التأسيس العراقي	١٢٣٥	٠,٢٢%
١٧	تيار الإصلاح والنهوض	١١٧٨	٠,٢١%
١٨	شمس العراق	١٠٩٨	٠,٢٠%
١٩	جمعية أهل العراق	٩٨٧	٠,١٨%
٢٠	الائتلاف الوطني الموحد	٩٥٢	٠,١٧%
٢١	منظمة العمل الإسلامي في العراق/القاعدة المركزية	٩٣٠	٠,١٧%
٢٢	ديوان العرب المستقبل	٨١٨	٠,١٥%
٢٣	كتلة وحدة العراق	٧٧٩	٠,١٤%
٢٤	الحلة الفجاء	٧٦٨	٠,١٤%
٢٥	كتلة المصالحة والتحرير	٧١٨	٠,١٣%
٢٦	جمعية لاراية	٧٠٠	٠,١٣%
٢٧	تجمع الوحدة الوطنية العراقي	٦٩٣	٠,١٣%
٢٨	مجلس الصوم الوطني العراقي	٦٨٠	٠,١٢%
٢٩	كتلة لنا الغد	٦٥٢	٠,١٢%
٣٠	السلام الوطني	٦١٤	٠,١١%
٣١	الائتلاف الكرستاني	٦٠٩	٠,١١%
٣٢	التجمع لرسالي الحر	٥٣٩	٠,١٠%
٣٣	حزب الله العراق	٤٤٧	٠,٠٨%
٣٤	التجمع العراقي الديمقراطي المستقل للتحرر والبناء	٤٢٠	٠,٠٨%
٣٥	الصوت العراقي الديمقراطي	٤٠٩	٠,٠٧%
٣٦	التيار العراقي الديمقراطي	٤٠٠	٠,٠٧%
٣٧	ائتلاف بلال المستقل	٣٧٨	٠,٠٧%
٣٨	اصلاحيون	٣٦٢	٠,٠٧%
٣٩	ماجد يراهم خزاغ فيحان الجبوري	٣٤٦	٠,٠٦%
٤٠	حركة الإصلاح الوطني	٣٤٤	٠,٠٦%
٤١	برلمان القوى الوطني	٣٣٧	٠,٠٦%
٤٢	منتدى البرلمان العراقي	٣٣٦	٠,٠٦%
٤٣	حركة العراقيين العرب	٣٢٦	٠,٠٦%
٤٤	حركة الضباط والمثنيين الأحرار	٢٩١	٠,٠٥%
٤٥	الأمل المستقل في اللبائية	٢٧١	٠,٠٥%
٤٦	حركة تيار الائتلافية للشعبانية المفر المام في العراق	٢٥٦	٠,٠٥%
٤٧	لكتلة الوطنية لأبناء الرافدين	٢٥١	٠,٠٥%
٤٨	حركة المجتمع الديمقراطي-حد	٢١٤	٠,٠٤%
٤٩	حركة أهل العراق	٢١٢	٠,٠٤%
٥٠	حركة الوفاق الإسلامي	٢٠٩	٠,٠٤%
٥١	لائتلاف الحدة والمستقبل	١٩١	٠,٠٣%
٥٢	تجمع العراقيين المستقلين	١٨٨	٠,٠٣%
٥٣	كتلة أنصار الصدر	١٨٦	٠,٠٣%
٥٤	تجمع للعراق الحر	١٧٧	٠,٠٣%

٥٥	عجمان برتودرويش خلف	١٤٣	%٠,٠٣
٥٦	التجمع القاسمي الديمقراطي	١٤١	%٠,٠٣
٥٧	تجمع العدالة والإصلاح	١٣٩	%٠,٠٣
٥٨	قائمة الوحدة الوطنية	١٣٩	%٠,٠٣
٥٩	الحركة العراقية الديمقراطية للبشرة	١٣٢	%٠,٠٢
٦٠	كتلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	١١٥	%٠,٠٢
٦١	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	١١٣	%٠,٠٢
٦٢	جمعية الإمام علي (عليه السلام)	١١٠	%٠,٠٢
٦٣	تجمع المصطفى	١٠٩	%٠,٠٢
٦٤	التجمع الوطني للمادة الإشراف آل البيت	١٠٨	%٠,٠٢
٦٥	الجبهة للثوكرمانية العراقية	١٠٦	%٠,٠٢
٦٦	الحزب الاشتراكي للديمقراطي	١٠٣	%٠,٠٢
٦٧	الكفاءات الوطنية المخلصة	٨٦	%٠,٠٢
٦٨	عامر نجم آل نجم الربيعي	٨٣	%٠,٠٢
٦٩	مجلس التضامن العراقي	٦٧	%٠,٠١
٧٠	كتعان خلف عبد علي السبع	٦٧	%٠,٠١
٧١	التحالف الوطني الديمقراطي	٦٦	%٠,٠١
٧٢	التجمع الإسلامي العراقي	٦٤	%٠,٠١
٧٣	كوادر حزب الدعوة الإسلامية الأمانة العامة	٥٢	%٠,٠١
٧٤	تحالف القبائل العراقية	٥٠	%٠,٠١
٧٥	نعمان طراد بولهيوب الجبوري	٥٠	%٠,٠١
٧٦	قائمة الرافدين	٤٥	%٠,٠١
٧٧	الكتلة الوطنية المستقلة	٣٦	%٠,٠١
٧٨	نجم وطنيون	٣٤	%٠,٠١
٧٩	قائمة الجنوب الموحد	٢٩	%٠,٠١
٨٠	المجلس السياسي الوطني العراقي	١٧	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة الانبار

- المقاعد المخصصة لمحافظة الانبار (دائرة انتخابية واحدة) ٩ مقاعد.

- نسبة المشاركة ٥٥,١٣% - ٤٠ قائمة

ت	لقائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	جبهة التوافق العراقية	٢٧٢٧٠٧	%٧٣,٧٥
٢	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٦٦٣٢٢	%١٧,٦٤
٣	لقائمة العراقية الوطنية	١٠٧٣٩	%٢,٩٠
٤	حركة أهل العراق	٥١٧١	%١,٤٠
٥	كتلة المصالحة والتحرير	٢٨٦٥	%٠,٧٧
٦	لحركة الشعبية الوطنية الديمقراطية العراقية	٢٣١٧	%٠,٦٣
٧	مجلس التضامن العراقي	١٩٢٩	%٠,٥٢
٨	محمود نحام محمّد القهطاي	١٢٠٩	%٠,٣٣
٩	تجمع وطنيون	١٠٥٠	%٠,٢٨
١٠	المجلس السياسي الوطني العراقي	٦٣٥	%٠,١٧
١١	تجمع العراق الحر	٥٧٨	%٠,١٦

٢٦ الانتخابات النيابية العراقية

١٢	كتلة لنا الخد	٤٩٨	٠,١٣%
١٣	تجمع التأسيس العراقي	٤٧١	٠,١٣%
١٤	للتحالف الوطني لأحرار العراق	٤٤٠	٠,١٢%
١٥	للتحالف الحدة والمستقبل	٤١٢	٠,١١%
١٦	تجمع العراقيين المستقلين	٢٢٠	٠,٠٧%
١٧	حركة العراقيين لعرب	٢٦٩	٠,٠٧%
١٨	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٢٣٥	٠,٠٦%
١٩	للحزب التقدمي العراقي الحر	٢٠٧	٠,٠٦%
٢٠	جبهة الخلاص الوطني	١٩٦	٠,٠٥%
٢١	قائمة مثال الاوسى للامة العراقية	١٦٨	٠,٠٥%
٢٢	التحالف الكرديستاني	١٤٠	٠,٠٤%
٢٣	مجلس اعيان العراق	١٣٢	٠,٠٤%
٢٤	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١١٢	٠,٠٣%
٢٥	الاتحاف العراقي الموحد	١١٠	٠,٠٣%
٢٦	للتجمع العراقي الهاشمي	١٠٦	٠,٠٢%
٢٧	للتحالف عمل عراقي ديمقراطي ليبرالي	٧٩	٠,٠٢%
٢٨	مجلس الخيار الوطني العراقي	٦٧	٠,٠٢%
٢٩	برلمان القوى الوطنية	٥٦	٠,٠١%
٣٠	للمساليون	٤٣	٠,٠١%
٣١	الولاء للعراق تجمع العراقيين الاخيار والمخلصين	٣٩	٠,٠١%
٣٢	قائمة الواقدين	٣٣	٠,٠١%
٣٣	حركة الإصلاح الوطني العراقي	٢٨	٠,٠١%
٣٤	شمس العراق	٢٧	٠,٠١%
٣٥	السلام الوطني	٢٢	٠,٠١%
٣٦	النيل العراقي الديمقراطي	٢١	٠,٠١%
٣٧	قائمة للوحدة الوطنية	١٧	٠,٠٠%
٣٨	منظمة العمل الإسلامي في العراق لقيادة المركزية	١٦	٠,٠٠%
٣٩	حزب المستقبل	١٣	٠,٠٠%
٤٠	الامة العليا لإصلاح العراق	٦	٠,٠٠%

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة ميسان

المقاعد المخصصة للمحافظة (دائرة انتخابية واحدة) ٧ مقاعد ونسبة المشاركة ٧٢,٤٥%

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الاتحاف العراقي الموحد	٢٧٥٥٠٥	٨٦,٨٦%
٢	للقائمة العراقية الوطنية	١٣٧٤٦	٤,٣٣%
٣	الرساليون	١٠٧٣٤	٣,٣٨%
٤	للحركة الإسلامية في العراق	٢٧١٤	٠,٨٦%
٥	حزب الولاء الإسلامي	٢٠٥٧	٠,٦٥%
٦	نيل الإصلاح والنهوض	١٤٩٠	٠,٤٧%
٧	حركة الدعوة الإسلامية	١٤٠٨	٠,٤٤%
٨	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٨٥٧	٠,٢٧%
٩	جبهة لتوافق العراقية	٧٣٢	٠,٢٣%
١٠	الاتحاف الإسلامي	٦٧٩	٠,٢١%

١١	قائمة مثال الالوسي للأمة العراقية	٥٨٢	٠,١٨%
١٢	تجمع كفاءات العراق المستقل	٥٥٤	٠,١٧%
١٣	حزب الله العراق	٤٨١	٠,١٥%
١٤	توفيق هاشم علي الهاشمي	٤٦٣	٠,١٥%
١٥	تجمع أبناء العراق الديمقراطي	٣٣٨	٠,١١%
١٦	حازم مطهر قاسم الدراجي	٣٢٦	٠,١٠%
١٧	تجمع التأسيس العراقي	٣٢١	٠,١٠%
١٨	ائتلاف العدالة والمستقبل	٢٩٥	٠,٠٩%
١٩	حركة لوفائق الإسلامي	٢٤١	٠,٠٨%
٢٠	منظمة العمل الإسلامي في العراق بقيادة المركزية	٢٢٠	٠,٠٧%
٢١	كتلة أصوار الصدر	٢١٧	٠,٠٧%
٢٢	القاضي كاظم عبودي الخفي	٢١٦	٠,٠٧%
٢٣	التجمع الشعبي للديمقراطي	٢٠٧	٠,٠٧%
٢٤	قائمة الأصالة	١٨٧	٠,٠٦%
٢٥	الائتلاف للكرميستاني	١٧٠	٠,٠٥%
٢٦	شمس العراق	١٦٦	٠,٠٥%
٢٧	قائمة الجنوب الموحدة	١٥٣	٠,٠٥%
٢٨	كتلة لنا غد	١٤٦	٠,٠٥%
٢٩	ضحي لميحي كاظم المدخان	١٤٤	٠,٠٥%
٣٠	كتلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	١٣٩	٠,٠٥%
٣١	برلمان القوى الوطنية	١٣٣	٠,٠٤%
٣٢	الجبهة العراقية للحوار الوطنية	١٠١	٠,٠٤%
٣٣	حزب ثار الله الإسلامي	٨٧	٠,٠٣%
٣٤	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٨٤	٠,٠٣%
٣٥	الائتلاف الوطني الديمقراطي	٨٣	٠,٠٣%
٣٦	الائتلاف الكردي الفيلبي الموحّد	٧٧	٠,٠٣%
٣٧	تجمع وطنيون	٧٢	٠,٠٢%
٣٨	جبهة الخلاص الوطني	٦٥	٠,٠٢%
٣٩	التيار العراقي الديمقراطي	٦٥	٠,٠٢%
٤٠	مجلس الخيار الوطني العراقي	٥٩	٠,٠٢%
٤١	مجلس التضامن العراقي	٥٨	٠,٠٢%
٤٢	اصلاحيون	٥٥	٠,٠٢%
٤٣	التجمع من اجل الديمقراطية العراقي	٤٨	٠,٠٢%
٤٤	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٤٦	٠,٠٢%
٤٥	كواد حزب الدعوة الإسلامية الأمية العامة	٤٦	٠,٠١%
٤٦	تجمع العراق الحر	٤٤	٠,٠١%
٤٧	قائمة الوحدة الوطنية	٤٣	٠,٠١%
٤٨	حزب الإخاء الوطني العراقي	٣٣	٠,٠١%
٤٩	التجمع الإسلامي العراقي	٣٢	٠,٠١%
٥٠	الائتلاف الوطني لأحرار العراق	٣٠	٠,٠١%
٥١	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٢٩	٠,٠١%
٥٢	حركة المجتمع الديمقراطي متحد	٢٥	٠,٠١%
٥٣	لحركة الإصلاحية في العراق	٢٤	٠,٠١%

٢٨ الانتخابات النيابية العراقية

٥٤	كتلة وحدة العراق	٢٢	%٠,٠١
٥٥	الحزب التقدمي الحر	٢٠	%٠,٠١
٥٦	طه محمد كريم محمد البهائي	١٩	%٠,٠١
٥٧	قائمة الرافدين	١٨	%٠,٠١
٥٨	لشيوخ رحيم الساعدي	١٧	%٠,٠١
٥٩	مجلس اموال عيسان	١٦	%٠,٠١
٦٠	لحاج محمد سيد عاشور البخافي	١٦	%٠,٠١
٦١	مجلس الصوم الوطني العراقي	١٦	%٠,٠١
٦٢	المجلس السياسي الوطني العراقي	١٣	%٠,٠٠
٦٣	اقتلاف عدل (عراق ديمقراطي ابيروبي)	١٣	%٠,٠٠
٦٤	لتجمع الوطني للسادة الاشراف آل البيت	٨	%٠,٠٠
٦٥	المجلسي عبد الواحد مزعل عبد الكريم جوي اللامي	٥	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة واسط نسبة المشاركة ٦٧,٢٠% - المقاعد المخصصة ٨ مقاعد

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الاقتلاف العراقي الموحد	٢٧٩٦٦٦	%٨٠,٦٨
٢	القائمة العراقية الوطنية	٢٨٠٥٣	%٨,٠٩٥
٣	الرساليون	١٥٤٤٧	%٤,٤٦
٤	جبهة التوافق العراقية	٨٢١٨	%٢,٣٧
٥	الجبهة العراقية للحوار الوطني	١٤٥١	%٠,٤٢
٦	التحالف الكرديستني	١٥٢٧	%٠,٣٦
٧	قائمة للمؤتمر الوطني العراقي	١١٠٠	%٠,٣٢
٨	حركة الدعوة الإسلامية	٨٨٧	%٠,٢٦
٩	قائمة مثالي الاوسى لامة العراقية	٨٧٦	%٠,٢٥
١٠	الاقتلاف الكردي القبلي الموحد	٧٩٢	%٠,٢٣
١١	منظمة العمل الإسلامي	٦٩٨	%٠,٢٠
١٢	السلام الوطني	٥٨٩	%٠,١٧
١٣	حركة أهل العراق	٥٣٩	%٠,١٦
١٤	كتلة المصالحة والتحرير	٥٤٧	%٠,١٣
١٥	تجمع الوحدة الوطنية في واسط	٤٢٢	%٠,١٢
١٦	تجمع المستقلين في واسط	٣٨٦	%٠,١١
١٧	كتلة اقصاء الصدر	٣٧٠	%٠,١١
١٨	منظمة العمل الإسلامي في العراق للقائمة المركزية	٣١٧	%٠,٠٩
١٩	غضنفر كاظم عبيد الشمري	٣٠٧	%٠,٠٩
٢٠	تجمع كفاءات العراق المستقل	٣٠٤	%٠,٠٩
٢١	اقتلاف العدالة والمستقل	٢٤٥	%٠,٠٧
٢٢	تيار الإصلاح والنهوض	٢٣٦	%٠,٠٧
٢٣	كتلة لتفانسة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	٢٢٩	%٠,٠٧
٢٤	تجمع عراق المستقل	٢٢٦	%٠,٠٧
٢٥	حركة العراقيين العرب	٢١٩	%٠,٠٧
٢٦	تجمع وطنيون	٢١٨	%٠,٠٧
٢٧	عبد الرزاق عبد الوليد ظاهر	١٩٢	%٠,٠٦

٢٨	هويدي الصبيحي	١٨٥	%٠,٠٥
٢٩	تجمع أبناء الوطن	١٧٣	%٠,٠٥
٣٠	علي دلود سلمان	١٦٢	%٠,٠٥
٣١	مجلس الصوم الوطني العراقي	١٦١	%٠,٠٥
٣٢	الجبهة التركمانية العراقية	١٦١	%٠,٠٥
٣٣	تجمع العراق لحر	١٥٨	%٠,٠٥
٣٤	التجمع الإسلامي العراقي	١٥١	%٠,٠٤
٣٥	حركة الرفاء والحرية	١٤٩	%٠,٠٤
٣٦	حزب الله العراق	١٢٩	%٠,٠٤
٣٧	تجمع أبناء العراق الديمقراطي	١١٣	%٠,٠٣
٣٨	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	١٠٨	%٠,٠٣
٣٩	مجلس الخيار الوطني العراقي	١٠٦	%٠,٠٣
٤٠	تجمع السجاء وفري الشهداء السياسيين	١٠٣	%٠,٠٣
٤١	برلمان القوى الوطنية	١٠٠	%٠,٠٣
٤٢	التحالف الوطني الديمقراطي	٩٥	%٠,٠٣
٤٣	كتلة لنا غد	٨٩	%٠,٠٣
٤٤	شمس العراق	٧٤	%٠,٠٢
٤٥	تجمع للتأسيس العراقي	٧٤	%٠,٠٢
٤٦	التجمع من اجل الديمقراطية	٧٣	%٠,٠٢
٤٧	الامائي المستقل في الديوانية	٧٢	%٠,٠٢
٤٨	قائمة الوحدة الوطنية	٦٨	%٠,٠٢
٤٩	منظمة السلام لكرد الشيعة	٥١	%٠,٠١
٥٠	كوادر حزب الدعوة الإسلامية الأمانة للعلماء	٤٦	%٠,٠١
٥١	المجلس السياسي الوطني العراقي	٤٦	%٠,٠١
٥٢	مجلس التضامن العراقي	٤٤	%٠,٠١
٥٣	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٤٣	%٠,٠١
٥٤	التجمع للعراقي لحكومة الظل لجمهورية العراق	٣٥	%٠,٠١
٥٥	التيار العراقي الديمقراطي	٣٤	%٠,٠١
٥٦	التجمع الوطني للمادة الإشراف آل البيت	٣٤	%٠,٠١
٥٧	اصلاحيون	٢٦	%٠,٠١
٥٨	الحزب الاشتراكي الديمقراطي	٢٤	%٠,٠١
٥٩	قائمة الرافدين	١١	%٠,٠٠
٦٠	الأمانة العامة لإصلاح العراق	١٠	%٠,٠٠
٦١	اتحاد السجاء السياسيين - المكتب السياسي	١٠	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة القامشلي نسبة المشاركة ٦٣,٩٣% عدد المقاعد المخصصة ٨

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الاتحاد العراقي الموحد	٢٦٩٦٠٩	%٨١,٣٨
٢	لقائمة العراقية الوطنية	٢٨٢٩٦	%٨,٥٤
٣	حزب الولاء الاسلامي	٧٤٦١	%٢,٢٥
٤	الرساليون	٤٨٤٥	%١,٤٦
٥	برلمان القوى الوطنية	٤٢٧٩	%١,٢٩

٣٠ الانتخابات النيابية العراقية

٦	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٢٤٣٠	%٠,٧٣
٧	تيار الإصلاح والنهوض	١٢٠٦	%٠,٣٦
٨	عبد الواحد عيادي آل عبدان الجبوري	١٠٥٦	%٠,٣٢
٩	د. مها حماد الصكيان بنت العراق	٩١٢	%٠,٢٨
١٠	جبهة التوافق العراقية	٨٦٩	%٠,٢٦
١١	حركة الدعوة الإسلامية	٨٠٥	%٠,٢٤
١٢	الائتلاف الإسلامي	٦١٩	%٠,١٩
١٣	الاستقلال	٦١١	%٠,١٨
١٤	قائمة مثقال الالوسي للأمة العراقية	٥٩٥	%٠,١٨
١٥	منظمة العمل الإسلامي في العراق لقيادة المركزية	٥٢٨	%٠,١٦
١٦	عبد المنعم احمد السيد محسن ابو طيخ	٣٨٩	%٠,١٢
١٧	السلام الوطني	٣٨٣	%٠,١٢
١٨	اصلاحيون	٣٦٦	%٠,١١
١٩	تجمع أبناء الوطن	٣٣١	%٠,١٠
٢٠	كتلة وحدة العراق	٣٣١	%٠,١٠
٢١	التحالف الكردستاني	٣١٩	%٠,١٠
٢٢	تجمع كفاءات العراق للمستقل	٢٩٥	%٠,٠٩
٢٣	الأهالي المستقل في الديوانية	٢٨٤	%٠,٠٩
٢٤	كتلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	٢٧٧	%٠,٠٨
٢٥	كتلة لنا لند	٢٦٩	%٠,٠٨

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة السليمانية نسبة المشاركة ٨٢,٨٦% عدد المقاعد المخصصة ١٥

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	التحالف الكردستاني	٦٨٥٩٠٠	%٨٧,١٣
٢	الاتحاد الإسلامي للكرديستاني	٨٥١٤٥	%١٠,٨٢
٣	القائمة العراقية الوطنية	١٨٣٤	%١,٣٥
٤	حزب الحل الديمقراطي الكرديستاني	١١٦٤	%٠,١٥
٥	حزب المحافظين الديمقراطي للكرديستاني	٧١٥	%٠,٠٩
٦	حزب العمل المستقل للكرديستاني	٤٥٢	%٠,٠٦
٧	الائتلاف العراقي الموحد	٣٠٧	%٠,٠٤
٨	حزب الإخوة العراقي (أبو الفقراء)	٢٥٩	%٠,٠٣
٩	قائمة الرافدين	١٩٧	%٠,٠٣
١٠	حزب المحافظين الكورديستاني	١٧٢	%٠,٠٢
١١	تجمع كفاءات العراق المستقل	١٤١	%٠,٠٢
١٢	حزب العمل الديمقراطي للكرديستاني	١٣٨	%٠,٠٢
١٣	قائمة مثقال الالوسي للأمة العراقية	١٣١	%٠,٠٢
١٤	التحالف الوطني الديمقراطي	٦١	%٠,٠١

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة نينوى
نسبة المشاركة ٦٢,٤٠% عدد المقاعد المخصصة ١٩

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	جبهة للتوافق العراقي	٣٠٢٥١٨	%٣٦,٨٨
٢	التحالف الكرديستاني	١٥٧٤٧٦	%١٩,٢٠
٣	القائمة العراقية الوطنية	٩١٦٦١	%١١,١٧
٤	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٨٢٩٧٦	%١٠,١١
٥	الائتلاف العراقي الموحد	٦١٠٣٨	%٧,٤٤
٦	كتلة المصالحة والتحرير	٢٢٨٢٧	%٢,٧٨
٧	الحركة الايزيدية من اجل الإصلاح والتقدم	١٨٦١٩	%٢,٢٧
٨	قائمة الموصل الحرة	١١٨٣١	%١,٤٤
٩	قائمة الرافدين	٩٠١٠	%١,١٠
١٠	كتلة لنا الغد	٨٧٦٢	%١,٠٧
١١	حركة اهل العراق	٥٨٠٩	%٠,٧١
١٢	تجمع وطنيون	٣٨٩٠	%٠,٤٧
١٣	قائمة النهرين وطني	٣٤٨٧	%٠,٤٣
١٤	الجبهة العراقية المستقلة	٣٣٢٧	%٠,٤١
١٥	مجلس لحيان العراق	٣٣١٣	%٠,٤٠
١٦	تجمع الوحدة الوطنية العراقي	٣١٥٦	%٠,٣٨
١٧	قائمة الوحدة الوطنية	٣٠٢٢	%٠,٣٧
١٨	حركة العراقيين العرب	٢٧٣٤	%٠,٣٣
١٩	قائمة مثال الالوسي للأمة العراقية	٢٤١٧	%٠,٢٩
٢٠	الاتحاد الإسلامي للكويتستاني	٢٠٨٨	%٠,٢٥
٢١	للتحالف الوطني لأحرار العراق	٢٠٤٥	%٠,٢٥
٢٢	تجمع الوسط للعراقي	١٩١٩	%٠,٢٣
٢٣	قائمة المؤتمر الوطني للعراقي	١٧٧٧	%٠,٢١
٢٤	الرساليون	١٧٤٤	%٠,١٥
٢٥	الحركة الشعبية الوطنية الديمقراطية العراقية (حشود العراق)	١٢٠٧	%٠,١٥
٢٦	برلمان القوى الوطنية	١١٧٧	%٠,١٤
٢٧	جبهة الخلاص الوطني	١٠٦٤	%٠,١٣
٢٨	تجمع للتأسيس العراقي	١٠٠٨	%٠,١٢
٢٩	مشعل عواد الساري	٨٤٦	%٠,١٠
٣٠	مجلس التضامن للعراقي	٨٤٢	%٠,٠٩
٣١	تجمع العراق الحر	٨٢٥	%٠,٠٧
٣٢	كوادر حزب الدعوة الإسلامية الأمانة العامة	٧٥٠	%٠,٠٦
٣٣	مجلس الموم الوطني	٥٥٤	%٠,٠٦
٣٤	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٤٨٦	%٠,٠٦
٣٥	منظمة العمل الإسلامي في العراق بقيادة مركزية	٤٦٥	%٠,٠٥
٣٦	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٤٥٩	%٠,٠٥
٣٧	المجلس السياسي الوطني للعراقي	٤٤٧	%٠,٠٥
٣٨	حركة السادس من كانون الثاني	٤٠٩	%٠,٠٤
٣٩	تحالف القبائل العراقية	٣٩٨	%٠,٠٣
٤٠	ائتلاف الحداثة والمستقبل	٣٠١	%٠,٠٣

٣٢ الانتخابات النيابية العراقية

٤١	حزب الإخوة العراقي (بو القراء)	٢٧٣	%٠,٠٣
٤٢	السلام الوطني	٢٥٣	%٠,٠٣
٤٣	حزب الحل الديمقراطي الكردستاني	٢٥٣	%٠,٠٣
٤٤	ائتلاف عدل	٢٢٦	%٠,٠٣
٤٥	شمس العراق	٢٢٣	%٠,٠٣
٤٦	التجمع العراقي للمشمي	٢٢٣	%٠,٠٣
٤٧	حزب العمل المستقل للكرديستاني	٢٢٣	%٠,٠٣
٤٨	المؤتمر الاشتوري العام	١٩٤	%٠,٠٢
٤٩	حزب المستقل	١٨٧	%٠,٠٢
٥٠	التيار العراقي الديمقراطي	١٢١	%٠,٠١

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة النجف نسبة المشاركة ٧٠,٦٨ % عدد المقاعد المخصصة ٨

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	٣٠٢٥٧٣	%٨٧,٠٣
٢	القائمة العراقية الوطنية	٢٨٧٧٧	%٧,٨٠
٣	الرساليون	١٤٨٣١	%٤,٠٢
٤	وفاء للنجف	٣٠٤٦	%٠,٨٢
٥	تجمع كفاءات العراق المستقل	٢٤٠٢	%٠,٦٥
٦	تجمع عراق المستقبل	١٨٤٥	%٠,٥٠
٧	حزب فؤاد الإسلامي	١٤٦٤	%٠,٤٠
٨	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١٣٩٦	%٠,٣٨
٩	الائتلاف الإسلامي	١٢٨٦	%٠,٣٥
١٠	قائمة مثالي الأوسمي للأمة العراقية	١١٤٧	%٠,٣٣
١١	كتلة أنصار الصدر	٩٥٩	%٠,٢٦
١٢	الائتلاف الوطني الموحد	٩٤٨	%٠,٢٦
١٣	برلمان القوى وطنية	٨٧٩	%٠,٢٤
١٤	التيار الإصلاح والنهوض	٥٧٢	%٠,١٦
١٥	تجمع الانتفاضة العراقية	٥٣٧	%٠,١٥
١٦	تجمع نقائس العراقي	٥١٩	%٠,١٤
١٧	منظمة العمل الإسلامي في العراق بقيادة المركزية	٥٠٠	%٠,١٤
١٨	ديوان العرب المستقل	٤١٧	%٠,١١
١٩	الاستقلال	٣٠٣	%٠,٠٨
٢٠	ائتلاف للكرديستاني	٣٠١	%٠,٠٨
٢١	السلام الوطني	٢٨٥	%٠,٠٨
٢٢	شمس العراق	٢٧٢	%٠,٠٧
٢٣	حزب الله العراق	٢٥٥	%٠,٠٧
٢٤	حركة الجماهير المستقلة	٢٣٤	%٠,٠٦
٢٥	التيار العراقي للحوار الوطني	٢٢٩	%٠,٠٦
٢٦	جبهة التوافق العراقية	١٩٧	%٠,٠٥
٢٧	حركة الإصلاح الوطني	١٩٥	%٠,٠٥
٢٨	اصلاحيون	١٩٤	%٠,٠٥
٢٩	الكتلة الوطنية لأبناء العراقيين	١٨١	%٠,٠٥

٣٠	التجمع الوطني للسادة الشرف آل البيت	١٧٧	٠,٠٥%
٣١	رواد الأعمار والتنمية	١٥١	٠,٠٤%
٣٢	كتلة وحدة العراق	١٤٨	٠,٠٤%
٣٣	ائتلاف العدالة والمستقبل	١٣٦	٠,٠٤%
٣٤	تجمع العراق لحر	١٢٩	٠,٠٣%
٣٥	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	١٢٠	٠,٠٣%
٣٦	تجمع المحافظة المستقل	١١٤	٠,٠٣%
٣٧	نعمة كاظم خضير محمد الإبراهيمي	١١٣	٠,٠٣%
٣٨	كوادر حزب الدعوة الإسلامية/الأمانة العامة	١٠٦	٠,٠٣%
٣٩	التحالف الوطني الديمقراطي	١٠٣	٠,٠٣%
٤٠	قائمة الرافدين	٩٣	٠,٠٣%
٤١	مجلس للصوم الوطن العراقي	٩١	٠,٠٢%
٤٢	كتلة لنا غد	٩١	٠,٠٢%
٤٣	جبهة الخلاص الوطني	٨٨	٠,٠٢%
٤٤	ائتلاف عدل (عراق ديمقراطي ليبرالي)	٨٥	٠,٠٢%
٤٥	مجلس التضامن العراقي	٧٧	٠,٠٢%
٤٦	حزب الوحدة الإسلامية في العراق	٥٨	٠,٠٢%
٤٧	حركة أهل العراق	٥٤	٠,٠١%
٤٨	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٤٨	٠,٠١%
٤٩	تجمع العدالة والإصلاح	٤٢	٠,٠١%
٥٠	قائمة الوحدة الوطنية	٣٩	٠,٠١%
٥١	اتحاد السجناء السياسيين/ المكتب السياسي	٣٥	٠,٠٠%
٥٢	المجلس السياسي الوطني العراقي	١١	٠,٠٠%

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة المثنى
نسبة المشاركة ٦٥,٤٦% عدد المقاعد المخصصة ٥

ت	قائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	١٧٦٢٧٧	٨٦,٤٢%
٢	قائمة العراقية الوطنية	٨٨٦٠	٤,٣٥%
٣	للساليون	٥٣١٢	٢,٦١%
٤	حركة الإصلاح الوطني	٢٢٠٧	١,٠٨%
٥	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١٥٠٠	٠,٧٤%
٦	برلمان القوى الوطنية	١١٢٢	٠,٥٥%
٧	تيار الإصلاح والنهوض	٩٣١	٠,٤٦%
٨	حزب الولاء الإسلامي	٨٦٥	٠,٤٢%
٩	الائتلاف الإسلامي	٨٦٣	٠,٤٢%
١٠	الحزب التقدمي العراقي لحر	٧٤٨	٠,٣٧%
١١	جبهة التوافق العراقية	٤١٢	٠,٣٧%
١٢	حركة الدعوة الإسلامية	٣٧٦	٠,٢٠%
١٣	قائمة مثالي الأوسى للأمة العراقية	٣٧٥	٠,١٨%
١٤	تجمع كفاءات العراق المستقل	٣٤٩	٠,١٨%
١٥	ناجح كامل غوثي	٣٢٦	٠,١٧%
١٦	سعد المحسن	٢٥٢	٠,١٦%

٣٤ الانتخابات النيابية العراقية

١٧	حركة المجتمع الديمقراطي-حد	٢١٤	٠,١٢%
١٨	حركة العراقيين العرب	٢١٢	٠,١٠%
١٩	منظمة العمل الإسلامي في العراق للقيادة المركزية	٢٠٧	٠,١٠%
٢٠	تجمع الانتفاضة العراقية	١٧٩	٠,٠٩%
٢١	الجبهة العراقية للحوار الوطني	١٥٠	٠,٠٧%
٢٢	البرلمان الشعبي المستقل في العراق	١٢٤	٠,٠٦%
٢٣	ائتلاف المدافعة والمستقبل	١٢٠	٠,٠٦%
٢٤	حزب المنار الوطني الموحد	١١٤	٠,٠٦%
٢٥	التحالف الكرستاني	٩٩	٠,٠٥%
٢٦	السلام الوطني	٨٢	٠,٠٤%
٢٧	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٧٧	٠,٠٤%
٢٨	تجمع العراق الحر	٦٩	٠,٠٣%
٢٩	حركة ثوار الانتفاضة لشعبانية-المقر العام في العراق	٦٦	٠,٠٣%
٣٠	الحلة الفحاء	٦٣	٠,٠٣%
٣١	تحالف القبائل العراقية	٥٧	٠,٠٣%
٣٢	لكلغة المستقلة	٥٥	٠,٠٣%
٣٣	كتلة الخد	٥٥	٠,٠٣%
٣٤	كتلة وحدة العراق	٥٤	٠,٠٣%
٣٥	تجمع عراق المستقبل	٥١	٠,٠٣%
٣٦	مجلس التضامن العراقي	٥٠	٠,٠٢%
٣٧	كوادر حزب الدعوة الإسلامية/الامانة العامة	٤٥	٠,٠٢%
٣٨	حزب الله العراق	٤٤	٠,٠٢%
٣٩	الحركة الشعبية الوطنية الديمقراطية العراقية	٣٩	٠,٠٢%
٤٠	تجمع أبناء العراق الديمقراطي	٣١	٠,٠٢%
٤١	اصلاحيون	٣١	٠,٠١%
٤٢	قائمة الرافدين	٢٨	٠,٠١%
٤٣	التجمع الإسلامي العراقي	٢٥	٠,٠١%
٤٤	تجمع التأسيس العراقي	١٨	٠,٠١%
٤٥	اقتدار العراقي الديمقراطي	١٧	٠,٠١%
٤٦	شمس العراق	١٥	٠,٠١%
٤٧	قائمة الجنوب الموحدة	١٠	٠,٠٠%
٤٨	المجلس السياسي الوطني العراقي	١٠	٠,٠٠%
٤٩	تجمع وطنيون	٨	٠,٠٠%
٥٠	التحالف الوطني الديمقراطي	٧	٠,٠٠%
٥١	للتجمع الوطني لقيادة الاشراف في ليبيا	٦	٠,٠٠%
٥٢	مجلس المصوم الوطني العراقي	٥	٠,٠٠%

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة صلاح الدين (تكرت)
نسبة المشاركة ٨٨,٣٧% عدد المقاعد المخصصة ٨

ت	لقائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	جبهة التوافق العراقية	١٦٤١١٦	%٣٣,٦٧
٢	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٩٤١٨٠	%١٩,٣٢
٣	القائمة العراقية الوطنية	٥٢١١٦	%١٠,٦٩
٤	كتلة المصالحة والتحرير	٤٥٤٩٠	%٩,٣٣
٥	الائتلاف العراقي الموحد	٣٥٩٥١	%٧,٣٨
٦	التحالف الكردستاني	٢٠٥٩٣	%٤,٢٢
٧	الجبهة التركمانية العراقية	١١٥٧٨	%٢,٣٨
٨	كتلة لنا لند	١١٢٨٠	%٢,٣١
٩	مجلس عموم الوطني العراقي	٨٢٢٩	%١,٦٦
١٠	تجمع العراقيين المستقلين	٧٧٤٦	%١,٥٩
١١	تجمع الوحدة الوطنية العراقية	٥١٥٣	%١,٠٦
١٢	حركة الإصلاح الوطني	٤٠٧٢	%٠,٨٤
١٣	جبهة الخلاص الوطني	٣٩٦٦	%٠,٨١
١٤	لتجمع الوطني العراقي	٣٦٦٥	%٠,٧٥
١٥	حركة العراقيين العرب	٣٠٣٥	%٠,٦٢
١٦	حركة السادس من كانون الثاني	٢٩٣٧	%٠,٦٠
١٧	تجمع وطنيون	١٦٨٢	%٠,٣٥
١٨	قائمة الوحدة الوطنية	١٢١٦	%٠,٢٥
١٩	تجمع التأسيس العراقي	١٠٠٨	%٠,٢١
٢٠	للتحالف الوطني الديمقراطي	٩٢٧	%٠,١٩
٢١	حركة أهل العراق	٨٨٤	%٠,١٨
٢٢	للقائمة العربية	٨٢٠	%٠,١٧
٢٣	برلمان القوى الوطنية	٧٨٨	%٠,١٦
٢٤	ائتلاف عدل (عراق ديمقراطي أبيض)	٧٤٧	%٠,١٦
٢٥	منظمة العمل الإسلامي في العراق بقيادة المركزية	٧٠٢	%٠,١٤
٢٦	الرساليون	٦٤٩	%٠,١٣
٢٧	قائمة مثال الالوسي لأمة العراقية	٦٣٠	%٠,١٣
٢٨	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	٥٢٥	%٠,١١
٢٩	المجلس السياسي الوطني العراقي	٣٢٢	%٠,٠٧
٣٠	حركة التضابط والمندوبين الأحرار	٣٠٧	%٠,٠٦
٣١	الاتحاد الإسلامي الكردستاني	٢٧٧	%٠,٠٦
٣٢	اتحاد المجاهدين السياسيين- المكتب السياسي	٢٣٩	%٠,٠٥
٣٣	حزب الحل الديمقراطي الكردستاني	٢٠٢	%٠,٠٤
٣٤	مجلس التضامن للعراقي	١٩٩	%٠,٠٤
٣٥	التجمع العراقي الهشمي	١٩٨	%٠,٠٤
٣٦	التجمع العراقي لحكومة الظل المستقلة لجمهورية العراق	١٧١	%٠,٠٤
٣٧	للتحالف العدالة والمستقبل	١٥٥	%٠,٠٣
٣٨	للتحالف الوطني لأحرار العراق	١٣٩	%٠,٠٣
٣٩	حركة الإصلاح الوطني العراقي	١٣٧	%٠,٠٣
٤٠	تجمع المستقلين في صلاح الدين	٧٧	%٠,٠٢

٣٦ الانتخابات النيابية العراقية

٤١	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٣٤	%٠,٠١
٤٢	نار الله الإسلامي	٣٤	%٠,٠١
٤٣	التيار العراقي الديمقراطي	٣٣	%٠,٠١
٤٤	شمس العراق	٢٢	%٠,٠٠
٤٥	الولاء للعراق تجمع العراقيين الأخيار والمخلصين	٢٠	%٠,٠٠

نتائج القوائم الانتخابية في محافظة ذي قار نسبة المشاركة ٧١,١٢% عدد المقاعد المخصصة ١٢

ت	القائمة	عدد الأصوات	النسبة
١	الائتلاف العراقي الموحد	٤٩٩٥٨٢	%٨٦,٦٣
٢	القائمة العراقية الوطنية	٢٩٠٢٨	%٥,٠٣
٣	الرساليون	١٦٧٢٧	%٢,٩٠
٤	حزب الولاء الإسلامي	٣١٤٨	%٠,٥٥
٥	تيار الإصلاح والنهوض	٢٦٢٤	%٠,٤٦
٦	جبهة التوافق العراقية	٢٤٦٠	%٠,٤٣
٧	حركة ١٥ شعبان الإسلامية	٢١٤١	%٠,٣٧
٨	الائتلاف الإسلامي	٢٠٩٧	%٠,٣٦
٩	تجمع أبناء العراق الديمقراطي	٢٠٣٩	%٠,٣٥
١٠	قائمة المؤتمر الوطني العراقي	١٨٧٤	%٠,٣٢
١١	حركة الدعوة الإسلامية	١١٩٩	%٠,٢١
١٢	قائمة مثال الالوسي للأمة العربية	٨٣٦	%٠,١٤
١٣	قائمة ذي قار المستقلة	٨٠٧	%٠,١٤
١٤	حزب الله العراق	٧١٨	%٠,١٢
١٥	رابطة المثقفين المستقلين	٦٣٠	%٠,١١
١٦	الحركة الإسلامية في العراق	٥١٥	%٠,٠٩
١٧	حركة ثوار الانتفاضة الشعبية-المقر العلم في العراق	٥٠٧	%٠,٠٩
١٨	حزب الشعب العراقي الديمقراطي	٤٧٢	%٠,٠٨
١٩	شمس العراق	٤٦٤	%٠,٠٨
٢٠	الجبهة العراقية للحوار الوطني	٤٨٨	%٠,٠٨
٢١	تجمع كفاءات العراق المستقل	٣٩٩	%٠,٠٧
٢٢	ائتلاف العدالة والمستقبل	٣٩٩	%٠,٠٧
٢٣	تجمع الوحدة الوطنية العراقي	٣٩١	%٠,٠٧
٢٤	منظمة العمل الإسلامي في العراق للقادة المركزية	٣٩٠	%٠,٠٧
٢٥	للتحالف الوطني الديمقراطي	٣٦٨	%٠,٠٦
٢٦	الدكتور نجم عبد غنيب الطائي	٣٤٧	%٠,٠٦
٢٧	عجمي بشيت عبد الصن مشعان الركابي	٣٤٧	%٠,٠٦
٢٨	التحالف الكرديستاني	٢٩٧	%٠,٠٦
٢٩	قائمة الوحدة الوطنية	٢٨٨	%٠,٠٥
٣٠	تجمع عراق المستقل	٢٨٧	%٠,٠٥
٣١	التيار العراقي الديمقراطي	٢٨٦	%٠,٠٥
٣٢	السلام الوطني	٢٥٢	%٠,٠٥
٣٣	كتلة أنصار الصدر	٢٠١	%٠,٠٤
٣٤	كتلة الوفاء للجنوب	٢٠٥	%٠,٠٤

٣٧ الانتخابات النيابية العراقية

٣٥	مجلس عموم الوطني العراقي	١٩٧	%٠,٠٣
٣٦	الحركة الشعبية الوطنية الديمقراطية العراقية	١٩٧	%٠,٠٣
٣٧	حركة العراقيين العرب	١٦٢	%٠,٠٣
٣٨	سليمان موسى عبيد القهطاني	١٥٩	%٠,٠٣
٣٩	التجمع للرسالي الحر	١٥٢	%٠,٠٣
٤٠	للحلة الفحاء	١٥٠	%٠,٠٣
٤١	الحركة الإصلاحية في العراق	١٤٠	%٠,٠٢
٤٢	المجلس السياسي الوطني العراقي	١٣٤	%٠,٠٢
٤٣	الائتلاف الكردي الفعلي الموحد	١٣٣	%٠,٠٢
٤٤	كتلة وحدة العراق	١٢٩	%٠,٠٢
٤٥	تجمع التأسيس للعراقي	١٢١	%٠,٠٢
٤٦	تجمع العراق الجديد	١١٤	%٠,٠٢
٤٧	تجمع العراق الحر	١٠٨	%٠,٠٢
٤٨	حركة المجتمع الديمقراطي - حمد	١٠٣	%٠,٠٢
٤٩	تجمع العراقيين المستقلين	٩١	%٠,٠٢
٥٠	اصلاحيون	٨٧	%٠,٠٢
٥١	سلمان حاوي جبر بير السعدي	٨٢	%٠,٠١
٥٢	حركة الوفاق الإسلامي	٧٦	%٠,٠١
٥٣	التجمع من اجل الديمقراطية العراقية	٧٠	%٠,٠١
٥٤	التجمع الوطني للسادة الإشراف آل البيت	٧٠	%٠,٠١
٥٥	مجلس التضامن العراقي	٦٣	%٠,٠١
٥٦	برلمان القوى الوطنية	٥٩	%٠,٠١
٥٧	قائمة الجنوب الموحدة	٥٢	%٠,٠١
٥٨	مجلس الخيار الوطني العراقي	٥١	%٠,٠١
٥٩	جبهة الخلاص الوطني	٤٨	%٠,٠١
٦٠	كتلة انتفاضة العراق الشعبية لعام ١٩٩١	٤٨	%٠,٠١
٦١	حزب الوحدة الإسلامية في العراق	٤٨	%٠,٠١
٦٢	الكتلة الوطنية المستقلة	٤٧	%٠,٠١
٦٣	حزب ثار الله الإسلامي	٤٧	%٠,٠١
٦٤	التحالف الوطني لأحرار العراق	٤٦	%٠,٠١
٦٥	كوادر حزب الدعوة الإسلامية - الأمانة العامة	٤٣	%٠,٠١
٦٦	للتضامن في العراق	٣٩	%٠,٠١
٦٧	صديق جعفر يعقوب	٣٩	%٠,٠١
٦٨	كتلة لنا الغد	٣٦	%٠,٠١
٦٩	حزب النهضة الوطني الديمقراطي	٢٨	%٠,٠٠
٧٠	اتحاد السجناء السياسيين - المكتب السياسي	٢٣	%٠,٠٠
٧١	قائمة الرافدين	١٩	%٠,٠٠

الحروب الأهلية اللبنانية (١٨٤١-١٨٦٠) دراسة تحليلية في أصولها السياسية والاجتماعية

الاستاذ المساعد الدكتور

عبد الأمير محسن جبار^(٩)

هذه الدراسة تهدف لبيان طبيعة السياسة الفرنسية للطائفية في لبنان، إذ إنها سعت من خلالها لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراته ومن موقعه الإستراتيجي المهم بالنسبة لمصالحها في البحر المتوسط عن طريق تذرعهما بمسار الدين، بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الأقليات المسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك للتغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين أبناءه، وقد استغلت فرنسا مكونات الشعب اللبناني المختلفة وتدخلت في تشجيع فئة على حساب أخرى من أجل خلق التجزئة السياسية وترسيخ الطائفية في البلاد وقد جاءت الدراسة على المباحث التالية:

^(٩) معاون عميد كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

أولاً: بداية الأطماع الفرنسية في جبل لبنان:

تعود بداية الأطماع الفرنسية إلى الوطن العربي بصورة عامة وبلاد الشام بصورة خاصة مع بداية الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، إذا أوجدت هذه الحروب علاقة مميزة بين فرنسا والموارنة^١، إذ قدم للموارنة للحملة الصليبية الأولى لإدلاء يرشدونهم إلى الطرق والمعابر، وإرسال فرقة من النشابة^٢ المتطوعين، وكان الملك لويس التاسع^٣، أول صديق فرنسي لهم، وبعد نزوله في مدينة عكا جاءه وفد من الموارنة محملين بالهدايا والمؤمن، وسلمهم لويس التاسع رسالة في ٢١/ أيار/ ١٢٥٠م بموجبها تتعهد فرنسا بحمايتهم إذ جاء فيها: "نحن مقتنعين بأن هذه الأمة التي نعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية"^٤.

أخفت فرنسا إطماعها وراء ستار الدين، وكانت فرنسا تسعى لفرض سيطرتها على المشرق العربي للاستفادة من خيراته ومن ثم الاستفادة من موقعه الإستراتيجي المهم بالنسبة لمستقبل المصالح الفرنسية في البحر المتوسط وقد صرح جورج ليغ وزير سابق للبحرية الفرنسية، بأن: "محور السياسة الفرنسية قائم في البحر المتوسط... وإن أحد قطبي هذا المحور قائم في الغرب أي في تونس ومراكش،

^١ الموارنة: طائفة مسيحية شرقية تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية أسسها راهب سوري يدعى مارمارون ومنه أخذوا اسمهم، عاش هذا الراهب في أواخر القرن الرابع الميلادي في منطقة البرية في أنطاكية، وكان عضواً في الكنيسة السورية وقّع خلاف عطاقي اضطره إلى النزوح إلى منطقة أنطاكية واسمها اليوم قلعة المضيق وتقع بجوار نهر العاصي مات القديس مارون في عام ٤١٠م وشيد تلاميذه في هذه المنطقة ديراً اسمه باسم القديس مارون، وبعد هو أبو الطائفة المارونية للمزيد من التفاصيل ينظر: الأب بطرس ضو تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري من مارمارون إلى ماريوحنا مارون (٣٢٥-٧٠٠م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢١٣ وما بعدها.

^٢ النشابة: وهم مجموعة من الرماة بالنشابة أي السهم، ينظر: لويس مطوق، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١٧، دت، ص ٨٠٨.

^٣ لويس التاسع: (١٢١٤-١٢٧٠) ملك فرنسا قائد الحملتين للصليبيتين السابعة والثامنة اشتهر بفضائله وقداسته وتوفي في تونس، ينظر:

The Mc Crow, Hill Encyclopedia of world Biography, vol, 6, 1973, pp.578-579.

^٤ فليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: نقولا زيدا، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٩٢.

^٥ أحمد كشر، فرنسا والمشرق العربي أحلام صليبية، مجلة الوحدة، العدد ٣٢٥، أبو ظبي، ١٩٨١، ص ١.

والآخر في المشرق عبر سوريا ولبنان، اللذين يشكلان احد الميادين المفضلة لنشاط الفرنسيين.

بعد انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق ١٥١٦م أصبحت بلاد الشام جزء من الدولة العثمانية، وقسم العثمانيون الشام الى ولايات ثلاث وهي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية طرابلس، وكان من أساليب العثمانيين في إدارة البلاد التي تقطنها عصابات أو أسر حاكمية ان تترك الأمور الداخلية في يد هذه العصابات في إطار من التبعية للسلطان العثماني، ولهذا تركت السلطات العثمانية الحكم في جبل لبنان لأمرأ بني من ثم لأمرأ آل شهاب^٧.

استفادة الأمانة المعنية^٨، من سطحية الحكم العثماني، فبدأت في توطيد نفوذها وسيطرتها، ومما لاشك فيه ان الأمانة المعنية كانت قد ركزت نشاطها في منطقة الشوف وأخذت مكانة الأمانة تطفو على سطح السياسة في المنطقة ابتداء من عهد قرقماز، الذي يمكن ان نعهده بداية تفوق الأمانة المعنية في الجبل، وبلغت الأمانة ذروة قوتها في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني^٩، إذ بلغت مساحتها من نهر الوادي في الشمال حتى منطقة العريش في مصر، وأصبح يطلق على فخر الدين الثاني لقب سلطان البر^{١٠}.

مسعود ضاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي (١٩١٤-١٩٢٦)، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٢٠.

^٧ فيليب حتي، المصدر السابق، ص٤٤٠-٤٤١.

^٨ الأمانة المعنية: حكم المعنويين جزءاً كبيراً من لبنان مدة ١٨١ سنة، ولا يعرف الكثير عن اصل هذه العائلة التي دخلت لبنان عند مطلع القرن الثاني عشر واستوطنت منطقة الشوف وجعلوا من بلدة بعلتين عاصمة لهم، بلغت قوة المعنويين السياسية التي كان قد أسسها فخر الدين الأول ذروتها في عهد حفيده فخر الدين المعني الثاني، ومن ثم أخذت تضعف رويداً رويداً الى ان زالت أخيراً بموت الأمير احمد عام ١٦٩٧ سبط فخر الدين الثاني ينظر: فيليب حتي خمسة آلاف سنة من تاريخ المشرق الأدنى، الدار المتحدة للنشر، بيروت، مج٢، ط١، ١٩٧٥، ص١٤٩.

^٩ فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) أمير لبناني ولد في بعلتين، وتسلم إمارة فيها، وإنشاء جيشاً وتعاقد مع أمراء تونيكيا ليقدما له الخبراء في صب المدافع، ثم قصد إيطاليا بعد اضطرابه الى مقابلة لبنان، وعقد مع بعض أمراءها معاهدة لتقديم العون لكنهم خذلوه فعاد سراً الى لبنان واجتمع بأعوانه ثم عفا عنه السلطان العثماني وجعله والياً على صيدا ثم منحه نابلس وعجلون واستلم مزارعين من إيطاليا لتعليم اللبنانيين طرقهم في الزراعة، انتفض على الحكم العثماني لكنه فشل ونفي الى استنبول حيث قتل فيها. ينظر: عيسى اسكندر معلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦، ص٤٤ وما بعدها؛ محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومنسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٢٧٧.

^{١٠} جمال زكريا وآخرون، الأزمة اللبنانية: أصولها، تطورها، إبعادها المختلفة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣١.

أدى هذا التفوق المادي والسياسي والعسكري الى تصاعد مخاوف السلطات العثمانية، التي بدأت تخطط لتوجيه ضربة حاسمة للامير فخر الدين الثاني، وبالفعل شنت الدولة العثمانية هجوما ضخما على الإمارة المعنية وطارت الأمير، حتى قضت عليه^{١١}، ونظرا لأن العثمانيين كانوا يتبعون الأسلوب السطحي نفسه في الحكم اكتفت بإعلان آل المعن الخضوع للسلطان العثماني وظل الحكم في البيت المعني^{١٢}.

أنشأ العثمانيون ولاية صيدا عام ١٦٦٠ لترقب الإمارة المعنية ولقطع الطريق على اللبنانيين ولإخماد الروح الاستقلالية فيهم، وبسبب تعدد الولايات العثمانية المحيطة بالإمارة المعنية توزعت أجزاء هذه الإمارة بين ولاية دمشق وطرابلس وصيدا، وكان هذا الوضع سببا في تنافس الولاة للعثمانيين على تبعية الإمارة لأي منهم، إذ كان أحمد باشا والي دمشق يناقسه والي صيدا الذي كانت دائرته تمتد الى النصف الشمالي من جبل لبنان والي بيروت أحيانا ولكن كان والي دمشق يمد سيطرته حتى بيروت، وقد أدى هذا الوضع الى أن يسعى الأمير اللبناني الحاكم الى أن يستغل تلك المناهضات في الحفاظ على منصبه وعلى أمارته^{١٣}.

عادت فرنسا علاقتها بالمشرق إذ كانت من أوائل الدول الأوروبية التي أبرمت اتفاقيات مع الدولة العثمانية، وكان أولها معاهدة الصداقة بين الملك فرانسوا الأول والسلطان العثماني سليمان القانوني في شباط ١٥٣٥^{١٤}، وقد احتوت هذه المعاهدة على عدة بنود منها منح الرعايا الفرنسيين حرية الملاحة في المياه الإقليمية للإمبراطورية العثمانية، وحرية التجارة وتخفيض نسبة الكمارك والمحافظة على أموالهم، وأطلق على هذه التسهيلات التي منحت لرعايا الدولة الفرنسية اسم "الامتيازات" وترجع أهمية هذه المعاهدة الى إنها تعد منظمة لحياة الرعايا الفرنسيين وأقامتهم في أقاليم الدول العثمانية، وتمتعت فرنسا في ظل هذه المعاهدة من الناحيتين القانونية والعملية بمركز متفوق ومرموق في الولايات العثمانية^{١٥}.

^{١١} فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٦٥-٤٦٧؛ عيسى إسكندر المطوف، المصدر السابق، ص ٢٠٢ وما بعدها.

^{١٢} جمال زكريا قسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٢.

^{١٣} المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.

^{١٤} بول بولاط وكلودين ريللو، سياسة فرنسا في البلاد العربية، ترجمة: كامل فاعور ونخلة فريفر، مراجعة: عطا حمادة، دار القدس، بيروت، دت، ص ١٤؛ نقولا زيادة، إبعاد التاريخ اللبناني الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣٣-٣٤.

Foreign Office, Syria and Palestine, London, 1920, P.24.

^{١٥} حكمت فريحات، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى (١٩١٦-١٩٢٠)، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٩٨٧، ص ٢١.

تلت معاهدة الصداقة، معاهدة أخرى بين الدولتين في ١٨ تشرين الأول ١٥٦٩م، وبموجبها أباحت حرية التنقل للراعياء الفرنسيين بين الموانئ العثمانية وممارسة التجارة فيها، وضمنت لهم الحريات الفردية والدينية والتجارية، كما ضمنت لهم الحصانة في منازلهم وإعفاءهم من الخضوع للقانون المدني وقانون العقوبات العثمانية، وحددت هذه المعاهدة أنواع البضائع التي يحق للفرنسيين المتاجرة بها، وعينت الرسوم الكمركية المفروضة عليها^{١٦}. عمدت الحكومة الفرنسية استناداً إلى الامتيازات التي حصلت عليها إلى التدخل في لقطار المشرق العربي لصالح قوافل الحج للكاتوليكية الذاهبة إلى بيت المقدس^{١٧}، وعقد الملك هنري الرابع (HENRY4)^{١٨} معاهدة صداقة مع السلطان العثماني في العشرين من أيار عام ١٦٠٤ بموجبها عمل على تجديد الامتيازات وأضاف إليها مكسباً آخر هو الاعتراف لملك فرنسا بحق حماية المسيحيين الكاثوليك من رعايا في الشرق وإن يسمح لهم بالعيش بامن وطمانينة وحرية التنقل دون عائق^{١٩} وتبنى لويس الرابع عشر (LOUIS14)^{٢٠} في عام ١٦٤٦ قضية الجالية المارونية في لبنان إعقاب زيارة الأساقفة المارونيين لفرنسا^{٢١}.

أخذت فرنسا تنمي مصالحها في بلاد الشام، وعدت نفسها حامية للموارنة في جبل لبنان، وتوثقت عرى الصداقة بين الموارنة والفرنسيين، ففاغمت فرنسا في الخامس

¹⁶ علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩-١٩٤٥، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص١٤.

¹⁷ رافت غنيمي الشبخ، التاريخ المعاصر للأمم العربية الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص١٠٤.

¹⁸ هنري الرابع (١٥٥٣-١٦١٠): أول ملك من أسرة آل بوربون على فرنسا اشتهر بشجاعته وسرعة بديهته واهتمامه بعلمة الشعب، أنكر في البداية البروتستانتية وعاد إليها بعد ذلك وعينه هنري الثالث وريثاً افتراضياً إلا أن العصبة الكاثوليكية رفضت ذلك وبعد وفاة هنري الثالث هزم جيوش العصبة، وفي عام ١٥٩٤ تمكن من دخول باريس وفي عام ١٦٠٠م تزوج من ماري ميديتشي. ينظر محمد شفيق غريال، المصدر السابق، ص١٩٠٨-١٩٠٩.

¹⁹ حكمت فريجات، المصدر السابق، ص٢٣.

²⁰ لويس الرابع عشر، ملك من أسرة آل بوربون حكم فرنسا في عام ١٦٤٣م بعد وفاة والده وفي عهده قويت فرنسا وأصبحت دولة كبرى، ويطلق المؤرخون على عصر لويس الرابع عشر "قرن الملكية المطلقة" التي مارسها لويس بخصى حدودها مما جعله أعظم عصره في أوروبا فمارس نفوذاً واضحاً على كل الملوك والأباطرة المعاصرين له فلقبه الفرنسيون بـ"الملك الشمس" الذي طور بلاده في جميع المجالات وجعل منها دولة كبرى توفي في عام ١٧١٥م، ينظر:

The Mc Grew- Hill Encyclopedias., OP-Cit, Vol6, P.586-588.

²¹ محمد أنيس ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص١١٥.

من آذار عام ١٦٥٥ بتعيين أبو نوفل الخازن وهو احد مشايخ آل الخازن للموارنة في جبل لبنان نائب قنصل لفرنسا في بيروت، ثم قنصلاً لها عام ١٦٦٢م^{٢٢}. كانت لهذه الصلة بين الموارنة والفرنسيين ذات فائدة للموارنة من الجانب المياسي إذ أدى الأمر الى تغير خطير في ميزان القوى المارونية-الدرزية، لحلول الموارنة محل الدرّوز في السيطرة المياسية^{٢٣}. انتقلت الامارة في جبل لبنان في عام ١٦٩٧م من المعينين الى الأسرة للشهابية، بعد وفاة آخر أمير حاكم من بيت معن دون عقب ذكره له وحصلت فترة قلق وفوضى، ونشب نزاع بين الأسر الكبيرة وتنافسوا على الحكم بينما كان العثمانيون يراقبون هذا الوضع^{٢٤}.

إما بالنسبة للامتيازات للفرنسية، فظلت تتأرجح بين التجديد والتجميد حسب السياسة الفرنسية التي كانت تنتهجها الحكومة الفرنسية تجاه الدولة العثمانية، وتمكن لويس الخامس عشر (Louis 15)، من تجديد الامتيازات في الثامن والعشرين من أيار عام ١٧٤٠م، وأضفى عليها صفة "الأبدية" وأصبحت هذه الامتيازات قانون الفرنسيين الذين يعيشون بمقتضاه في بلاد الدولة العثمانية^{٢٥}.

مع قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م، عمل رجالها على المحافظة على علاقة فرنسا مع الدولة العثمانية، لذلك قامت الأخيرة بالاعتراف بالثورة الفرنسية، ولكن هذه العلاقة لم تدم وقتاً طويلاً وخصوصاً بعد قيام الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) باحتلال مصر ومن ثم زحف الى بلاد الشام^{٢٦}. كان اقتراب الحملة الفرنسية من لبنان قد عزز التوتر بين الموارنة والدرّوز، فقد انتظر الموارنة وصول الفرنسيين بشوق فيما خشي الدرّوز خشية شديدة^{٢٧}. وصل نابليون الى مدينة عكا في الرابع من آذار عام ١٧٩٨م، وفرض حصار عليها، إذ تحصن فيها والي صيدا احمد باشا الجزار، ولهذا أخذت مكانة الأسرة

²² ونظراً لخدماته منح الملك لويس الرابع عشر الى أبي نوفل الجنسية الفرنسية، واخذ احفاد أبي نوفل الخازن يتوارثون هذا المنصب حتى عام ١٧٥٨ وجرى فيما بعد تعين مارونيين آخرين في هذا المنصب منهم غنّور السعد من عين تراز كبير معاوني الأمير يوسف الشهابي، للمزيد ينظر: فليبي حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٨٥-٤٨٦.

²³ كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٢-٤٣.

²⁴ سليم بطرس اوسابيوس، دليل مراحل لبنان عبر التاريخ، دم، ١٩٥٥، ص ٢٤؛ زاهية قدوة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢٦٢.

²⁵ حكمت فريحت، المصدر السابق، ص ٢٤.

²⁶ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٧٧.

١٨٠-١٨٤.

²⁷ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٥٠.

الشهابية ترتفع في نظر القوى المتصارعة، وتوالت المكاتبات وأرسل أحمد باشا الجزار يطلب المساعدة من الأمير بشير الشهابي الكبير^{٢٨}، فاعتذر الأخير عن تلبية الطلب متظاهراً بأنهماكه في إخماد الفتن التي يثيرها عليه أقاربه في الجبل^{٢٩}، وتلقى الأمير بشير الشهابي رسالة من قبل نابليون جاء فيها: "بعد أن تم امتلاكه على القطر المصري بكامله قطعت الصحراء ودخلت الأراضي السورية واحتلت حصونها التي كانت بيد الجزار وأرغمته على الاعتزال في عكا، وقد أسرعت لإطلاعك على ما تقدم لعلمي بما في ذلك من دواعي المرور والارتياح، فإن لتصاراتي هذه قد قضت على طغيان رجل وحش كان شراً على الجنس البشري وعلى الأمة الدرزية الشجاعة، وفي نيّتي أن أحقق استقلال الأمة الدرزية واخفف عنها الجزية المفروضة عليها لتؤمن حرية تجارتها واتساعها، واني راغب في أن تحضر شخصياً في اقرب وقت ممكن ووضع التدابير اللازمة لإنقاذك من عدونا المشترك"^{٣٠}. لم يجب الأمير بشير الشهابي على الرسالة فبعث نابليون إلى الأمير برسالة ثانية يعاتبه فيها على إهماله الرد فوقعت هذه الرسالة بيد والي صيدا أحمد باشا الجزار^{٣١}.

كذلك وصلت إلى الأمير بشير الشهابي رسالة من سندي سميث (Sadny Smath) قائد القوات البحرية البريطانية في البحر المتوسط حث فيها الأمير ورجاله على التعاون مع أحمد باشا الجزار ضد الغزو الفرنسي^{٣٢}، إلا أن الأمير بشير الشهابي

²⁸ الأمير بشير الشهابي الكبير (١٧٦٠-١٨٥٠) ولد في غزير (بالقرب من بيروت) قربه والي صيدا أحمد باشا الجزار فولاه إمارة لبنان، عمل في تعزيز الإدارية فحضر رجال الإقطاع ووطد الأمن والعمل في لبنان، حالف الأمير بشير محمد علي باشا على العثمانيين عام ١٨٣١م ثم نفاه البريطانيون إلى جزيرة مالطا عام ١٨٤٠م اهتم بالمشاريع العمرانية وبنى في بيت الدين قصراً فخماً، توفي في اسطنبول، وتقلت رفاته إلى بيت الدين عام ١٩٤٨، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٢، ط٥، ١٩٨٠، ص٥٧.

²⁹ David Urquhart, the Lebanon history and Diary, vol 1, Republished by Gregg International Publishers Limited, London, 1972, p.122.

³⁰ ركز نابليون بونابرت في رسالته على الدروز دون الموارنة وذلك إن مكّنة الدروز كانت هي الأعلى حتى ذلك الوقت وكان بونابرت بحاجة إلى كسب القوى الأقدر على تقديم المساعدة له وكذلك أن التلويق في الإمارة الشهابية كان للدروز فقد اتجه إليهم بونابرت دون إتباع السياسة التقليدية التي دأبت عليها بعض الحكومات الأوروبية التي كانت تسعى لدى مسيحي الشام للتنسيق معهم ضد الدولة العثمانية، للمزيد من التفاصيل ينظر: جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص٤٣-٤٤.

³¹ يقال بأن الأمير بشير الشهابي تعدد أبقاعها في يد أحمد باشا الجزار تحسباً من المستقبل، ينظر: سليم بطرس أوسابيوس، المصدر السابق، ص٤٨.

³² للمزيد من التفاصيل حول رسالة سندي سميث إلى الأمير الشهابي الثاني، ينظر: عبد العزيز سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠، جامعة بيروت العربية، =

لم يقدم المساعدة إلى والي صيدا ولا إلى نابليون واثق الوقوف على الحياد^{٣٢}، ويشير يوسف السودا^{٣٣}، بأن نابليون أنكر حرج موقف الأمير فاكتفى منه بملازمة الحياد وبعدد الميل عليه مع الجزائر.

بعد فشل نابليون في دخول مدينة عكا الذي استمر للقتال ٦٤ يوماً^{٣٤} اضطره إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى مصر إذ ترك جيشه فيها وعاد إلى فرنسا بسبب تطور الأوضاع هناك^{٣٥}.

من آثار هذه الغزوة المباشرة انعكاسات على السياسية اللبنانية فقد أراحت ولو مؤقتاً أمير لبنان من مضايقات والي صيدا، فضلاً عن إنها شنت من حمى التوتر بين الموارنة والدروز، وما إن فشلت الحملة وترجع للقائد الفرنسي حتى أخذ أحمد باشا الجزائر الانتقام من الأمير بشير الشهابي لعدم تلبية طلبه، وأخذ الجزائر للتدخل بالشؤون الداخلية اللبنانية، بإسناد الأمارة إلى بعض الأمراء من الأسرة الشهابية المناوئين للأمير بشير، ووصل حالة الجبل في فوضى لم يعرف لها مثيل، كذلك ساعدت هذه الغزوة الجبل في لفتاحه على الغرب، إذ فتحت الأبواب في وجه المؤثرات الحديثة وهي ظاهرة من أخصب للظواهر في تاريخ المنطقة^{٣٦}.

توجه الأمير بشير الشهابي إلى قبرص ثم إلى مصر إذ قابل هنالك الصدر الأعظم سليمان باشا (قائد الحملة العثمانية على مصر) وعلى إثرها التقى سليمان باشا

== ١٩٧٤، ص ١٥٨-١٥٩، المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية، حكم أربعة قرون ١٥١٧-١٩١٦، ج ١، ١٩١٦، ص ٥٦.

David Uraquhart OP.cit P.122

³³ A-L-Tibawi, A modern History of of Syria including Lebanon, and Palestine, Macmillan, First published, London, 1969, P.37..

³⁴ حيث خشي بشير الشهابي من انتكام الجزائر له واثباتاً لعزله في الحياد اهدى نابليون بونابرت إلى بشير بندقية شينة عربون المودة والصداقة، في سبيل لبنان، طبع بمطبعة مدرسية صناعية، الإسكندرية، ١٩١٩، ص ١٦٤.

³⁵ قام بعض الخبراء البريطانيون في تحسين الثغر تحصيناً قوياً وفقاً لأحدث النظم الحربية، ينظر: اتطونبوس أبي خاطر، مختصر تاريخ جبل لبنان، للمطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣، ص ١١٤٨ إبراهيم جلال بك، من يوميات الجبوتي، دار اخبار اليوم، ديت، ص ٩٨.

³⁶ تواترت الاتهام إلى نابليون بتلغيف حلف أوربي ضد فرنسا، للمزيد ينظر: احمد نجيب هاشم ومحمد قاسم، التاريخ الحديث والمعاصر، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٦٠؛ محمد فؤاد شكرى، الصراع بين البرجوازية والقطاع ١٧٨٩-١٨٤٨، دار الفكر العربي، القاهرة، مج ١، ١٩٥٨، ص ٣٧٨-٣٧٩.

³⁷ ملحم فريان، تاريخ لبنان السياسي الحديث، الاستقلال السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ج ١، ط ٢، ١٩٨١، ص ٦٨-٩٦.

بالجزار واقفنه السماح للامير بشير بالعودة الى جبل لبنان^{٣٨}، ولم يسلم الامير بشير من ضغوط والي صيدا حتى عام ١٨٠٤م اذ توفي الجزار وبهذا ازيلت عقبة رئيسة كانت تعترض سبيل الامير بشير لتحقيق اغراضه، وبدأ الامير بتوطيد مركزه في لبنان وما ان حل عام ١٨١٩م لصبح سيد لبنان المطلق^{٣٩}.

خضعت بلاد الشام من بينها جبل لبنان في الاعواد (١٨٣٢-١٨٤٠م) الى سيطرة محمد علي باشا، وقد احدث الاحتلال المصري لبلاد الشام تغيراً خطيراً في الوضع الدولي اذ اعلن الباب العالي ان محمد علي خرج على السلطة وارسل جيشاً لطرد ابنه ابراهيم باشا من بلاد الشام^{٤٠}.

اصطدم ابراهيم باشا بالجيش العثماني عند مضيق بيلان^{٤١} فهزم الجيش العثماني وتمكن ابراهيم باشا بعد ذلك من دخول انطاكية واصبحت جيوشه على مشارف جبال طوروس واستجد السلطان العثماني محمود الثاني^{٤٢}، بالدول الكبرى، ولكنها كانت مشغولة اذ بريطانيا كانت منهكة في شؤونها الداخلية والاوروبية^{٤٣}، بينما فرنسا كانت متحمسة لفوز محمد علي، لاذ ان الفرنسيين كانوا ينظرون الى والي مصر وكأنه خليفة نابليون الروحي في مصر فلم يجد السلطان العثماني الا روسيا^{٤٤}.

لقد هال ظهور البورج الروسية في الاساتنة كل من فرنسا وبريطانيا فسارعتا الى عقد صلح بين محمد علي والسلطان العثماني وعرف باتفاق "كوتاهية" وبموجبه

³⁸ الخوري منصور الحتوني، من تاريخ لبنان نبذة مختصرة في المقاطعة الكسروانية، نقحها وهذبها ونشرها: يوسف ابراهيم يزبك، د.م ط٢، ١٩٥٦، ص ١٨٠.

³⁹ المصدر نفسه، ص ١٨٢؛ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٥٢.

⁴⁰ احمد عزت عبد الكريم وآخرون، تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، دار سعد مصر للطبع والنشر والاعلان، القاهرة، د.ت، ص ٩٠.

⁴¹ يقع مضيق بيلان بين انطاكية والاسكندرون.

⁴² محمود الثاني (١٧٨٤-١٨٣٩) سلطان عثماني جلس على العرش عام ١٨٠٨م بعد خلع اخيه مصطفى الرابع، استمرت في عهده الحرب الروسية-التركية (١٨٠٦-١٨١٢) وفقدت فيها الدولة العثمانية بسرابيا ولكنها عوضتها باسترجاع صربيا ١٨١٣م، اخمد ثورة علي باشا والي ياتينا وقضى على ثورة اليونانيين في المرحلة الاولى من حرب الاستقلال اليونانية، واباد عام ١٨٢٦م فرق الاكثارية لتزدهم على النظام وفي عهده غزا محمد علي فلسطين وسوريا والاتاضول، توفي قبل ان تصله اخبار انتحار جيشه في معركة نزيب، وتسليم الاسطول التركي لمحمد علي بالاسكندرية، ينظر: محمد شافعي غريال، المصدر السابق، ص ١٦٦٣.

⁴³ اسد رستم، بشير بين السلطان والعزير ١٨٠٤-١٨٤١، الخوري منصور الحتوني، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية، القسم الاول، بيروت، ١٩٥٦، ص ٨٥-٨٩؛ هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، المرحلة الاولى ١٧٧٤-١٨٥٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٣١.

⁴⁴ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

اعطي لمحمد علي بلاد الشام بشرط ان ينسحب من الاتاضول^{٤٥}. ولكن روسيا رفضت ان تسحب بولارجها الا بشروط وبالفعل عقدت معاهدة هنكار اسكلسي في تموز عام ١٨٣٣م وبموجبها بلغ النفوذ الروسي لوجه في السلطنة العثمانية^{٤٦}.
لم تطمئن فرنسا وبريطانيا الى هذه المعاهدة واستمرت فرنسا في تأييدها لمحمد علي، على امل ان يضمن لها نجاحه مقام الصدارة في المنطقة ورفضت القبول بأية تسوية على حسابها، وقررت بريطانيا ازالة محمد علي من بلاد الشام^{٤٧}.
كان الحكم المصري في بلاد الشام بصورة عامة وفي جبل لبنان بصورة خاصة حكماً موقوتاً فلا عن نفقات الاحتلال الباهظة فبدأ ابراهيم باشا باتخاذ عدة اجراءات تصفية منها استخدام السخرة والتجنيد الاجباري وفرض ضرائب فادحة^{٤٨}، وحاول الفرنسيون في جبل لبنان باقناع الاهالي من النصارى بان الضرائب الباهضة التي فرضها محمد علي لها ما يبررها عقب التهديد باشهار الحرب عليه من قبل بريطانيا والدول الكبرى ولكن هذه المحاولات لم تقل في تهنتهم^{٤٩}.
بدأ التقارب بين مختلف الطوائف المناهضة للحكم المصري، واتفق الموارنة والشبيعة والسنة والدروز في انطلياس في الثامن من حزيران عام ١٨٤٠م على التضامن فيما بينهم ثم على الثورة على المصريين^{٥٠}. واصدر البطريرك يوسف حبيش

^{٤٥} تختلف اتفاقية كوتاهية في سائر الاتفاقيات كونها تمت شفهيًا، ينظر: اسد رستم، المصدر السابق، ص ٩٣-٩٤.

^{٤٦} نوقان قرقوت، تطور الفكرة العربية في مصر ١٨٠٥-١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٠٠-١٠٨.

Derek Hopwood, The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914 (Church and politics in the Near East) Clarendon press Oxford, London, 1969, P.6-7

^{٤٧} كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٦٨، ٦٤.

^{٤٨} انطوان كتافكو، فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا، وثائق تاريخية نقلًا عن تقارير انطوان كتافكو فُصل النمسا في عكا وصيدا ١٨٣١-١٨٤١، ترجمة: الخوري بولس قراني: مطبعة القليس بولس، حريصا، ١٩٣٧، ص ٣٨؛ الخوري منصور الحتوني، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٧.

Iliya F. Harik, Politics and Chang in traditional Society Lebanon, 1711-1845, Princeton University press, New Jersey, 1968, p.244.

^{٤٩} احمد طريبن، ازمة الحكم في لبنان منذ سقوط اسلاوة الشهابية حتى ابتداء عهد المتصرفية (١٨٤٢-١٨٦١) دراسة في التاريخ السياسي والاجتماعي، دم، ط١، دمشق، ١٩٦٦، ص ٥١.

^{٥٠} فليب حتي، المصدر السابق، ص ٥١٥.

نداء بالثورة على المصريين واصدرت السلطات العثمانية مراسيم عدة تحرض على الثورة وكان لبريطانيا دور كبير في التحريض اذا اخذت تمشد الهمم في جبل لبنان^{٥١}. حاولت فرنسا وهي الدولة الكبرى الوحيدة التي نصرت محمد علي ومساعدته في وقت الثورة في لبنان عليه ولكن موقفها كان دقيقاً فقد كان الثوار الموارنة ينتظرون مساعدة ملك فرنسا لويس فيلي^{٥٢}، وكان محمد علي يعلق عليه الآمال ولكن محاولات الفرنسيين في حث البطريك على وقف الثورة فشلت، وسعى الفرنسيين لدى محمد علي تقديم تنازلات معينة للموارنة بوقف الثورة وكان المشروع الفرنسي يقوم على ما يلي:

١. عودة المنفيين من عكار وسنار.
٢. إلغاء التجنيد.

٣. للحكم الذاتي لجبل لبنان على ان يدفع ضريبة سنوية لوالي مصر. ولكن هذه الجهود الفرنسية لم تحرز تنهماً، وبذلك فشل الفرنسيون مع الجانبين^{٥٣}. قررت بريطانيا ازالة محمد علي من بلاد الشام وبدأت اتصالاتها مع الدول الكبرى (بروسيا، النمسا، روسيا) واتفقوا على الحل دون انهيار الامبراطورية العثمانية وارسلوا مذكرة مشتركة طالبوا فيها السلطان العثماني على قطع المفاوضات الجارية مع محمد علي، اما فرنسا فاثرت الاستمرار في تأييد محمد علي، وطالت المفاوضات بين الدول الكبرى، لكن فرنسا لم تبدل موقفها، فما كان من الدول لا انها انفردت بالعمل فقعبت مع العثمانيين في ١٥ تموز ١٨٤٠م معاهدة لندن، وفيها عرضت الدول على محمد علي ولاية مصر وراثياً، وولاية عكا مع الجهات للشامية الجنوبية مدى الحياة، على ان يعلن قبوله بهذا العرض في مدة عشرة ايام، فاذا لم يفعل تسحب الدول عرضها الخاص بولاية عكا، لما اذا لم يجب في مدة عشرين يوماً، تسحب الدول عرضها بكامله^{٥٤}.

^{٥١} جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٧٥؛ كمال جنبلاط في مجرى السياسة اللبنانية، اوضاع وتخطيط دار الطباعة للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص ٧٠.

^{٥٢} لويس فيليب: ولد في باريس ١٧٧٣، من عائلة آل بوربون حكم فرنسا من عام ١٨٣٠ الى ١٨٤٨ شهد عهده الازدهار الثقافي والاجتماعي واسقط حكمه بثورة شباط ١٨٤٨م، ينظر:

The Mc Graw-Hill Encyclopedis., Op. Cit., Vol6, p.593-594.

^{٥٣} جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ٧١.

^{٥٤} للمزيد عن معاهدو لندن ينظر: هيلينا كويان، لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية، ترجمة وتقديم سمير عطا الله، منشورات هاي لايت، لندن، ١٩٨٥، ص ٣٨-٣٩، اسد رستم، المصدر السابق، ص ١٨٥ وما بعدها؛

A. B. Cunningham, The early correspondence of Richard wood 1831-1841, vol, London, 1966, p.152-153.

ثارت تائفة فرنسا على هذه المعاهدة، لكنها كما قدر وزير خارجية بريطانيا بالمرستون، لم تكن على استعداد للمغامرة بحر مع الدول الأوروبية في سبيل محمد علي، وشرعت الدول الاخرى باتخاذ تدابير احترازية، فأمرت بريطانيا اسطولها في البحر المتوسط بقطع جميع المواصلات البحرية بين مصر والموانئ الشامية^{٥٥}. في الحادية عشر من ايلول عام ١٨٤٠م ظهرت البورج البريطانية والنمساوية في مياه بيروت، وقصفت بيروت بالمدافع، ونجحت الدول الحليفة من السيطرة على المناطق الساحلية، وفي الثالث من تشرين الثاني من العام نفسه سقطت عكا اهم موقع ساحلي للمصريين^{٥٦}، ونجحت بعد ذلك في سحق قوات ابراهيم باشا الذي اضطر الى الانسحاب الى مصر^{٥٧}.

كان تأثير الحملة المصرية على بلاد الشام بشكل عام وجبل لبنان بشكل خاص عميقاً جداً، فبعد ان التزمت فرنسا جانب محمد علي رافضة القبول بأية تسوية على حسابه، كان من الطبيعي ان تجد دعايات الفرنسيين وتحركاتهم صدى بين الموارنة، بينما التزمت بريطانيا جانب السلطان العثماني فوجدت دعاياتهم وتحركاتهم استجابة بين الدروز، فكانوا ثائرين على محمد علي، فضلاً عن انها نفت اسفينا قوياً بين بريطانيا وفرنسا^{٥٨}. وبانتهاء الاحتلال المصري، انتهى عهد الامير بشير الشابي الكبير في جبل لبنان الذي ساند محمد علي وتم نفيه الى مالطا^{٥٩}.

من خلال ذلك يتضح بأن القوى السياسية الخارجية ادت دوراً خطيراً في اثارت حركة التمرد التي وقعت في جبل لبنان عام ١٨٤٠، وانها لم تكن ردة فعل للاحداث الخارجية فقط، بل انها عكست ازمة اجتماعية معقدة ففريت بين الفلاحين والمشايع الاقطاعيين في وجه الخطر المشترك، اذ انتفض الفلاحون الموارنة والدروز ضد الاضطهاد والظلم والسيطرة المصرية الممقوتة، وثار المشايخ لاستعادة ما فقوه في عهد الامير بشير الشهابي الكبير من امتيازات وحقوق ومكانة، فوحدوا مسعاهم فضلاً عن ما تلقوه من دعم خارجي كان الفضل في تعزيز حركتهم.

^{٥٥} كمال سلمان الصبيبي، المصدر السابق، ص ٦٨.

^{٥٦} اسد رستم، المصدر السابق، ص ٢١٢-٢١٣.

^{٥٧} Malcolm H. Kerr, Lebanon in the Last Years of Feudalism (1840-1868), Beirut, 1959, p.3.

^{٥٨} احمد طريبن، المصدر السابق، ص ٥٢.

^{٥٩} جواد بولس، تاريخ لبنان، ترجمة: جورج حاج، مراجعة: يوسف الحوراني، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ٣٤٥.

ثانياً: الحروب الاهلية اللبنانية

١- الحرب الاولى عام ١٨٤١م

بعد انتهاء حكم الامير بشير الشهابي الكبير عام ١٨٤٠م بدأ عهد جديد في تاريخ جبل لبنان، لاذ اكتسب للموارنة قوة اكثر من التي اكتسبوها في عهد الامير بشير، فمشاركتهم في جلاء القوات المصرية زادتهم ثقة بانفسهم، وبدأت تتكون لديهم فكرة استقلالية، وتكون لدى بعضهم امل بتخليص الجبل كله، ولتحكم فيه بتأييد من فرنسا ودعمها^{٦٠}.

جربت كل من الدول الاوربية الكبرى ان تتخذ من الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية ما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة، ولاسيما اذا كان عامل الدين والطائفة من افضل واخصب هذه الوسائل واخطرها اثرأ على للطوائف المختلفة، ولدى القناصل والممثلون والعملاء ادولراً غاية في الخبث لاثارة النزعات وبلبله النفوس وزرع الفتن والمكائد^{٦١}.

ومن بين هؤلاء الكولونيل روز (Rose) القنصل البريطاني الذي جاء الى بيروت عام ١٨٤٠ وكان هدفه الاول هو اسقاط النفوذ الفرنسي في المنطقة العربية، وكانت لکلمته قيمتها في الدوائر العثمانية في بلاد الشام^{٦٢}. وحاولت بريطانيا التقرب من الموارنة الا انهم لم يفلحوا حيث بعث القنصل البريطاني في بيروت روز تقرير رسمي الى حكومته يقول فيه: "ان الموارنة مستسلمون نفساً وجسداً الى فرنسا، وعليه فلم يبق لانتکثر ان تختار في الامر بل امسى من المحتم عليها عضد الدروز"^{٦٣}.

نتيجة لذلك حول البريطانيون اهتمامهم الى الدروز فبدعوا بانارة شكوك الدروز بنوايا فرنسا، بوصفها حارسة الموارنة فسرت الشائعات عن تسليح الفرنسيين للمسيحيين ضد الدروز وعن وقوف قوات فرنسية على اهبة الاستعداد لدعم المسيحيين عند أي اضطراب، ولم يستغرب الدروز لهذه الشائعات، اذ شهدوا قيام بعض الرهبان للموارنة رفع العلم الفرنسي على اديرتهم فعدوها تحدياً لهم^{٦٤}.

^{٦٠} احمد طربين، المصدر السابق، ص ٥٤.

^{٦١} Earl Carnarvon, Recollection of the Lebanon, Notes on their religion, third Edition, London, 1861, p.119-120; Foreign office, op-cit, p.33.

^{٦٢} جمال زكريا قاسم واخرون، المصدر السابق، ص ٨٤.

^{٦٣} فيليب وفريد الخازن، مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان ١٨٤٠-١٩١٠، مطبعة الصبر، مج ١، ١٩١٠، ص ١٧٧؛ فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان، حاضرها وجنورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ٥٩.

^{٦٤} كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٩٠.

كذلك بذل القنصل الروسي في بيروت بازيلى (Bazely) اهتمامه الى الدعوة لحشد صفوف الطائفة الارثوذكسية تحت الراية الروسية مع الحرص على توسيع الخلاف بين الارثوذكس والموارنة ضد الكنيسة الكاثوليكية وبذلك ظهر نفوذ ديني جديد يجابه النفوذ الفرنسي، فضلاً عن قنصل النمسا في بيروت فكبكر (Fkbker) اذ صرح منذ وصوله قائلاً: "ان حماية الكاثوليك في الشرق أصبحت الآن من حق النمسا"، ولم يكتف بذلك بل قدم للبطريرك الماروني مبلغ (٤٥٠٠) ليرة ذهبية ليوزعها على المنكوبين، كما وزع مبالغ اخرى على رجال الدين الروم الكاثوليك وخاطبهم بحضور البطريرك بأن حكومته مستعدة لدفع مليون فرنك اذا قبلت الطوائف الكاثوليكية حماية امبراطور النمسا⁶⁵.

ارسلت فرنسا قنصلها بورية (Boure) الخبير بشؤون الشرق والسياسة العثمانية، وكانت فرنسا تبذل جهوداً للحفاظ على نفوذها عند الدروز وكانت تريد لبقاء الموارنة والدروز بعيدين عن تأثير بريطانيا والنمسا وروسيا ومما قاله القنصل الفرنسي بورية: "ان وجود النصارى ضروري للدروز، وان وجود الدروز لا غنى عنه لضمان كيان النصارى"⁶⁶.

اما في الداخل فكانت الحالة شديدة الاضطراب، وخصوصاً سوء ادارة بشير الشهابي الثالث⁶⁷ الذي اكتسب عدولة الجميع، وبعد عودة زعماء الدروز الاقطاعيين الذين اجبروا على ترك البلاد في لواخر الحكم المصري طالبوا بالحقوق والامتيازات التي خسروها، الا ان بشير الثالث رد هؤلاء واتخذ تدابير تزيد في اضعاف نفوذهم وجرد اخرين من بعض ما تبقى لهم من سلطة، ودبر ايضاً خطة لتنفيذ منبحة لهم، ولكن من حسن حظ الدروز ان القنصل الفرنسي كان لا يزال يسعى الى كسب ود الدروز الى جانبه، فحذر الزعماء الدروز مما يدبر لهم⁶⁸.

وفي ايلول عام ١٨٤١م وقعت حادثة كانت للشرارة الاولى لاشعال نار الفتنة، وكانت بداية الاصطدام بين الدروز والموارنة، ذلك ان مارونياً اصطاد حجلاً على ارض لحد دروز بلدة بعقلين فوق من جراء ذلك خصام اتخذ في الحال صيغة طائفية، اذ اغارت جماعة من مسيحي دير القمر على بلدة بعقلين بالسلاح فقتلوا خمسة

⁶⁵ احمد طربين، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

⁶⁶ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٨٨.

⁶⁷ بشير الشهابي الثالث: حاكم لبنان (١٨٤٠-١٨٤١) المعروف بالصغير، كان ضعيف الارادة عاجز عن امسك زمام الحكم، فلمسلم نفسه للاتراك فارسلوه الى الامتانة وتوفي فيها عام ١٨٦٠، ينظر: فرنيان توتل، المنجد في الطب والطوم، معجم لاعلام الشرق والغرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١، ١٩٦٠، ص ٧٧.

⁶⁸ البعد التاريخي للحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنت على الموقع التالي:

عشر درزيا^{٦٩}، ولكن ما ان علم البطريرك الماروني بالحادث فأرسل وفداً لتسوية المسألة واعلن مشايخ الدروز عن صدق رغبتهم في نسيان الحادث^{٧٠}. وانتهر الدروز دعوة الامير بشير الثالث لزعمائهم في ١٣ تشرين الاول ١٨٤١ ام لباحثهم في نظام توزيع الضرائب الجديد، وتقدموا نحو دير القمر وحاصروا قصر الامير، وهاجم فريق منهم دور المسيحيين في المدينة، وتحول القتال الى كارثة مروعة بالنسبة لموارنة دير القمر^{٧١}، وما ان سمع البطريرك بما حدث في دير القمر حتى اغلق ابواب الكنائس وطلب من كل مسيح ان يحمل السلاح وهاجمت القوات المارونية بعض المواقع المتفرقة الدرزية لينتشر لهيب الحرب الاهلية بسرعة في البلاد، وكان من الواضح منذ البداية ان كفة الدروز ارجح، لا سيطروا على المناطق المارونية في الجنوب، واتجهوا بعد ذلك الى مناطق الشمالية ووقف الروم الارثوذكس الى جانب الدروز اذ كانوا يعتقدون ان التفوق الماروني يعرضهم الى اضطهاد ماروني يهدف اخراجهم من عقبتهم^{٧٢}.

عندما اشتد الضغط الدرزي على الموارنة استنجد الاخير بالسلطات العثمانية وبالقناصل، ولاسيما بالقنصل الفرنسي، واثيرت الدوائر الفرنسية للحكومة والشعبية بانباء الحرب الاهلية، وتوالت على الفرنسيين استجدات الموارنة وتقارير قنصلهم تحثهم على القيام بعمل ايجابي لاناذ الموارنة، وكانت السلطات الفرنسية مستعدة لان تقدم على خطوات تحافظ بها على مكانتها بين الموارنة لان هزيمتهم توحى بانها هزيمة فرنسا في بلاد الشام، ولهذا ارسلت الحكومة الفرنسية وحدات من بحريتها الى السواحل اللبنانية وما ان وصلت حتى اجتاحت الموارنة موجة من الفرح، ورفع العلم الفرنسي فوق بعض الاديرة، ووزعت القنصلية الفرنسية السلاح على الموارنة، واعلن الفرنسيون عن انحيازهم الكامل بجانب الموارنة، وبذلك فقتوا الدور الذي كان من الممكن ان يلعبوه في التوفيق بين الدروز والموارنة^{٧٣}.

لثار هذا الامر كل من العثمانيون والبريطانيون والدروز، ورأت السلطات العثمانية ان فرصتها لفرض نظام الحكم المباشر، واوفدت مصطفى باشا اذ اجتمع مع زعماء لبنان، واعلن انتهاء حكم اسوة آل شهاب وقرأ فرمانا باسناد الحكم في جبل لبنان

⁶⁹ فؤاد افرام البستاني، مذكرات رستم بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ١٩٥٥، ص ١٠٥.

⁷⁰ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ٨٠.

⁷¹ احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٢٢.

Iliya F. Harik, op-cit, p.105.

⁷² سعيد الصغير، بنور معروف (الدروز) في التاريخ، مطبعة الانلقن، بيروت، ديت، ص ٨٢-٨٣.

البعد التاريخي للحرب الاهلية اللبنانية بحث منشور في الانترنت، المصدر السابق.

⁷³ جمال زكريا قسم واخرون، المصدر السابق، ص ٨٩.

الى عمر باشا النمساوي، قابل الدروز الاجراءات العثمانية بالترحيب والرضا بينما امتنع الموارنة من ذلك^{٧٤}، لا وعارضت فرنسا الاجراءات العثمانية لانها تحد من نشاطهم في البلاد^{٧٥}.

اسفرت هذه الحرب والتي عرفت بـ "الحركة الاولى" عن مقتل ٣٠٠ رجل، وعن دمار في الممتلكات تقدر قيمته بنصف مليون دولار، ولحرق قصور الشهابيين^{٧٦}.

عجز عمر باشا النمساوي في ان يظفر بولاء الدروز او الموارنة وتعاونهم معه وزداد التوتر مرة ثانية، وفشل العثمانيون في اعادة الحكم المباشر الى جبل لبنان^{٧٧} كما ان السفراء الاجانب رفضوا المشروع العثماني، وعلى اثر ذلك قدم الفرنسيون مشروعاً، هو ان يحكم جبل لبنان امير مسيحي وعودة الامير بشير الشهابي الكبير، الا ان بريطانيا رفضت هذا المشروع، كما ان الدروز لا يرضون بعودة الشهابيين الى الحكم^{٧٨}.

بدأت المفاوضات بين الممثلين الاوربيين مع الباب العالي لاعادة تنظيم الجبل واقترح مترنيخ (MTERNCH) رئيس وزراء النمسا مشروعاً وبموجبه يقسم جبل لبنان الى منطقتين اداريتين (قائمقاميتين) شمالية يتولى ادارة شؤونها قائمقام ماروني، وجنوبية يتولى ادارتها قائمقام درزي، ويتبعان والي صيدا، وافقت الدول على المشروع، واضطرت فرنسا ان تقبل به، وفي الاول من كانون الثاني عام ١٨٤٣م عين اسعد باشا والي صيدا، الامير حيدر اسماعيل لبي الملع قائمقام على منطقة النصارى، والامير احمد ارسلان قائمقام على منطقة الدروز^{٧٩}.

رفض البرلمان الفرنسي التصديق على هذا المشروع وشعر بان شكل الحكم الجديد قد يلحق الحيف على لبنان وصرح بوجوب الرجوع الى ادارة حكم تكون مطابقة لاماني اهل لبنان^{٨٠}.

يتبين لنا ان قيام الحرب الاولى هي تسوية اولى لحساب قديم اذ كان للعلاء الفرنسيين والبريطانيين دور لا يستهان به في الاضطرابات وانتشار الفوضى، وذلك لايجاد نقاط استناد لهم في الجبل، فضلاً عما كان يولده بوارج حرية تابعة لهذه الدولة او تلك، وكان نزاع عملاء الدولتين يمثل النزاع التقليدي بين فرنسا وبريطانيا، فضلاً عن سياسة الباب العالي الجديدة، وهي سياسة الحكم المركزي المباشر وما يقتضيه من الدس

⁷⁴ المسعودي، المصدر السابق، ص ٦٦؛ سعد الصغير، المصدر السابق، ص ٨٣؛ ملحم قربران، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦.

⁷⁵ احمد طريين، المصدر السابق، ص ٦٨.

⁷⁶ فيليب حتي، في التاريخ، ص ٥٢٧.

⁷⁷ Lliya F Harik, op-cit, p.268.

⁷⁸ جمال زكريا قاسم واخرون، المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥.

⁷⁹ Malcolm. H Kerr, op-Cit, p.6-7; Iliya F.Harik, op-cit, p.271.

⁸⁰ يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢١٢.

والتفرقة بين عناصر السكان كي يتمنى إخضاعها جميعاً، فضلاً عن كل هذا ان لبنان كان ارضاً خصبة لتقبل بذور الفتن ونموها، وان لجوءهم في كل آن وحين الى قناصل الدول الاجنبية قد شجع هؤلاء على المضي في تدخلاتهم واسهموا في اعطائهم دوراً اساسياً في تقرير مستقبل لبنان وللعلم بمصيره.

٢- الحرب الثانية عام ١٨٤٥م

انطوى نظام القائمقاميتين على صعوبات خطيرة اذ ان الكثير من الدروز كانوا يسكنون قائمقامية النصارى، وكذلك للنصارى يسكنون قائمقامية الدروز، وهذا ما اكده سفير فرنسا في الاسكندرية بوركناه (BOURQUENEY) عندما كتب الى وزير خارجيته غيزو (GEZO) قائلاً: "ان تطبيق نظام الحكم الجديد في المناطق المختلطة يلاقي صعوبات توقعناها ولكنها تفوق مخاوفنا الاولى"^{٨١}.

لم يمض وقت طويل على تطبيق نظام القائمقاميتين حتى اصطدم الدروز والموارنة مجدداً، اذ بدأها النصارى واحرقوا (١٤) قرية درزية، وفي ايار عام ١٨٤٥ نشبت الحرب الاهلية وامتدت الى معظم المناطق^{٨٢}، وعندما اشتد القتال بدا واضحاً ان كفة الدروز هي الارجح وتوالت الهزائم على الموارنة في عبية ودير القمر وجزين وزحلة وحاصبيا^{٨٣}، واخذ الموارنة يطلبون من القناصل انقاذهم من الدروز وحلفائهم^{٨٤}، استمرت هذه الحرب التي اتخذت صفة الحرب الدينية حتى شهر تموز عام ١٨٤٥ وعرفت بالحرب الثانية^{٨٥}.

وجه ممثلوا الدول الكبرى مذكرة جماعية الى والي صيدا وجيهي باشا^{٨٦} بسبب الحوادث الاخيرة، لفتوا فيها النظر الى عدم التزام جنود السلطان جانب الحياد مما سهل العداء وتفاقمه، كما وجهت الحكومة الفرنسية الاتهامات الى السلطات العثمانية لاذ ارسل وزير الخارجية الفرنسي غيزو الى سفيره في الاسكندرية بوركناه مذكرة اشار فيها الى "ان الجنود (العثمانية) غمست يدها في دم المسيحيين في ظروف عديدة وانت اعمالاً بربرية بحيث لم يبق انى شك في تأمر الباب العالي مع اعداء الموارنة"^{٨٧}.

⁸¹ احمد طربين، المصدر السابق، ص ٧٧.

⁸² فيليب حتي، في التاريخ، ص ٥٢٩.

⁸³ Lliya F. Harik, op-cit, p.272.

⁸⁴ انضم الى جانب الدروز في الحرب الارثوذكس وشجعهم القنصل الروسي بازيل وكذلك جماعات قوية من المسلمين السنة للمزيد بنظر: نظام القائمقاميتين والحرب الاهلية الثانية (١٨٤٢-١٨٤٥)، بحث منشور في الانترنت على الموقع الاتي:

<http://www.Maqatel.com>

⁸⁵ المسعودي، المصدر السابق، ص ٦٧.

⁸⁶ خلف اسعد باشا على ولاية صيدا في الثالث من ايار عام ١٨٤٥م

⁸⁷ يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

طرحت مسألة لبنان على البرلمان الفرنسي في جلسة ١٥ تموز / ١٨٤٥م واتهم احد الاعضاء وهو دي كارتر بارب (DE CATER PARB) الحكومة الفرنسية بالضعف وعدم قيامها بالواجب نحو اللبنانيين فاجابه غيزو، بأن السلطات العثمانية هي المسؤولة عن الحوادث الاخيرة وصرح ايضا بان فرنسا لا تقدر عن مساعدة اللبنانيين في تحقيق امنيتهم وانها لا تتحول عن سياستها القديمة المعروفة من المطالبة باعادة اماره لبنان ما كانت عليه^{٨٨}.

دار جدال شديد في البرلمان الفرنسي وتصدى دي منتا لامير (de mnti lamber) للسياسة الفرنسية نحو لبنان وأشار في خطابه "ان فرنسا هي حامية مسيحي لبنان ولكنها عاجزة عن الانفراد بالتدخل في اموره"، وانتقد حكومته لانها فتحت باب مشاركة الدول الكبرى لفرنسا في تحديد مصير لبنان، اذ ان بريطانيا تساند الدروز وتعمل على ارغام المسيحيين في لبنان على الاقتناع بان الحماية الفرنسية لا تفيدهم وانما حماية بريطانيا لهم هي المفيدة^{٨٩}. واجاب غيزو: "لا ريب انه لم يجل في خاطر المسيو دي منتا لامير ان على فرنسا ان ترسل جنودا الى سوريا لمنق القلاقل اذ ليس في وسعها ان تعمل سوى ما يولياها نفوذها بتبنيها الحكومة العثمانية الى ما هو جار في سوريا لتراقب سلوك ماموريتها وتشاد عليهم لياتمورا بامرها بحيث تكون ادارتها منظمة فعالة نافذة. وليس اصعب من اجراء هذه الاصلاحات في تركيا فكيف يطلب الينا ادخالها بتمامها فجأة في بلاد اكثر اضطرابا من سائر ولايات السلطنة"^{٩٠}. واكد غيزو دور حكومته في لبنان قائلا: "ان سفير الملك في الاسطانة اتفق حالا حالا الى شواطئ سوريا بارجنتين.. وهي تنقل جميع المساعدات المادية بانذلة كل ما بوسعها من العصد الادبي واذا اقتضى الامر سنلحقها ببوارج اخرى" و اضاف "اننا باتفاقنا مع سائر الدول الاربع لنعمل سوية على صيانة المصالح المتوجب علينا حفظها في الشرق لم نكتب على انفسنا عهدا بعدم التدخل الا باتفاق الدول الخمس، ولم نخل ايدينا ولم نتنازل عن حقنا بالانفراد في حماية مسيحي الشرق كلما استطعناها وتوجب علينا ولم نعدل عن اجراء مفعول هذه الحماية مستقلين كلما رأينا الظروف مناسبة لقد اقمنا على تسوية بعض المسائل باتفاق الدول الخمس حين رأينا الاتفاق على تسويتها في العاجل طبقا لمصالح الاهلين افضل من الانفراد بها وعندما تحققنا في وسعنا الاستقلال بتسويتها لم نترك مقدار ذرة من امتيازاتنا القديمة"^{٩١}، و اضاف ايضا "اننا بحاجة الى زيادة للتوفيق بين لرائنا وآراء الحكومة البريطانية في الحوادث الجارية في لبنان وفي اسبابها والوسائل الجدية للكافة لمعالجتها لا يوجد بعض التباين في

^{٨٨} المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

^{٨٩} عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

^{٩٠} فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

^{٩١} عبد العزيز سلمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٩٠-٣٩١.

الاراء بخصوصها بين معتمدي للحكومتين في سوريا ولنا لا اوثاب بل لوكد ان الحكومتين تنتظمهما نية واحدة وهي عدم السماح بتجدد الفظائع التي جرت في لبنان وتسليم الموارنة ليد الدروز او بالعكس^{٩٢}.

من الخطاب الذي رد به الوزير الخارجية الفرنسي غيرز يتبين لنا ان الحكومة الفرنسية كانت قد حركت بعض قطعها الحربية الى لبنان تحت ستار تقديم المساعدة للموارنة الذين نكبهم الدروز وكانت تسعى الى ارسال جنود فرنسيين الى سوريا الا ان وزير الخارجية الفرنسية كان يدرك ان ذلك يتطلب موافقة بريطانيا على هذه الخطوة اذن كانت فرنسا تخطط باستمرار لاستعمار لبنان مستغلة للعاطفة الدينية والمذهبية، لقد كانت هذه الدول الاستعمارية نكية في استخدام المبادئ النبيلة والانسانية من اجل تحقيق اهدافها الاستعمارية.

بذلت الحكومة الفرنسية جهدها في سبيل اعادة الامارة اللبنانية والغاء اتفاق السابع من كانون الاول ١٨٤٢م فلم تجد التعضيد الكافي من سائر الدول^{٩٣}.

نتيجة لتلك الاحداث ارسلت الدولة العثمانية وزير خارجيتها شكيب افندي الى بيروت لتنفيذ سياسة تؤدي الى الاستقرار، اذ وصلها في ١٤ ايلول ١٨٤٥م وطلب من قناصل بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا ان لا يتدخلوا مطلقاً في شؤون البلاد الداخلية واستدعاء رعاياهم فوراً بما فيهم الارمنيات البروتستانتية والكاثوليك في مهلة اقصاها عشرة ايام ريثما ينتهي من وضع نظام جديد^{٩٤}.

اعاد شكيب افندي تنظيم للقائمقاميتين على اسس جديدة بحيث يكون لكل قائمقام مجلس يرأسه القائمقام نفسه من نائب للقائمقام، وقاضي ومستشار عن كل من الوظائف الخمسة "السنة، الدروز، الموارنة، الروم الارثوذكس، والروم الكاثوليك بينما تقتصر تمثيل الطائفة الشيعية في المجلس بمستشار^{٩٥}، وقام شكيب افندي بتعيين اعضاء مجلسي القائمقاميتين وكان للمجلس في كل من القائمقاميتين مهمتان الاولى مالية وهي تقدير الضرائب وتوزيعها على المناطق وجبايتها والثانية قضائية وهي النظر في الدعاوى المحالة عليه من القائمقام وعرف هذا النظام بنظام شكيب افندي^{٩٦}.

إما فرنسا فوقفت موقف المتحفظ وأكدت بأنها تريد الرجوع الى وحدة السلطة المسيحية برئاسة آل شهاب وضرورة تقوى الموارنة لذلك فقد صرحت إنها تعد بان نظام

⁹² فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.

⁹³ يوسف السواد، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

⁹⁴ نظام القائمقاميتين والحرب الاهلية الثنية (١٨٤٧-١٨٤٥) بحث منشور في الانترنت، المصدر السابق.

⁹⁵ لعدم اعتراف العثمانيين باتظمة شرعية خاصة بالشعبة للمزيد ينظر:

Illya E. Harik, op. cit., p.272.

⁹⁶ Ibid., p.273.

شكيب افندي تدبير مؤقت، إما بقية الدول الأوروبية فكانت تريد وضع نهاية للمسألة اللبنانية، وبدأ لها ان نظام شكيب افندي هو أفضل نظام للتسوية في ذلك الوقت لأنه يؤيد استقلال الجماعات المسيحية في جبل لبنان وتعطيهم ضمانات جدية^{٩٧} ووضع النظام الجديد إحكامه موضع التنفيذ في نهاية تشرين الأول عام ١٨٤٥م^{٩٨}.

٣. الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٨٦٠م والموقف الدولي منها

كان النشاط الفرنسي الواسع النطاق في بلاد الشام كفيلاً بأن يحدث العناصر المؤيدة لفرنسا في جبل لبنان لاثارة القلاقل، وكان الصلاه الفرنسيون يبتشون روح الشقاق والنزاع بين سكان الجبل، لتتيح لهم فرصة ارسال حملة عسكرية بحجة حماية المسيحيين^{٩٩}.

كذلك رأى البريطانيون ان مصلحة حكومتهم تعتمد على مساعدة الدروز وتقويتهم بعد ان فشلوا في كسب الموارنة لصالحهم^{١٠٠}. فضلاً عن ان بعض التحريضات والاثارات قام بها البريطانيون والموظفين العثمانيين من اجل اثارة القلاقل والاضطرابات لكي تثبت للحكومات الأوروبية ان الحكم المباشر هو الحكم المناسب لهذه المنطقة المقلقة لراحة السلطات العثمانية والمسؤولة عن توتر علاقاتها من وقت لآخر مع الحكومات الأوروبية^{١٠١}.

كل هذه العوامل التي اثارت النزعات الطائفية ساعدت في حدوث اشتباكات بين الدروز والموارنة في نيسان عام ١٨٦٠ بسبب شجار بين لثنين من الاطفال هما ماروني ودرزي في بلدة بيت مري، ولكن اصحاب الشأن من اهالي البلاد هدؤا الفتنة^{١٠٢} لكن الاشتباكات تجددت في ايار من العام نفسه لاذ قام فريق من مسيحي منطقة المتن بالهجوم على قرية صليما وقرنابل وبتخنية المختلطة السكان وطردوا منها سكانها الدروز، فقام الدروز بالهجوم على قرية بين مري واضرموا النار فيها وفي عدة قرى مسيحية اخرى، واشترك الجنود الاتراك في السلب والنهب والاعتداء على المسيحيين، وفي منطقة الحدث وبعدا احرقوا دور الشهابيين وقتل الامير بشير الشهابي الثالث، واضطر فريقاً من للمسيحيين الى مغادرة قراهم التي نشبت فيها النيران^{١٠٣}.

97 احمد طربين، المصدر السابق، ص ٩٢.

98 كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ١٠٥.

99 لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص ١٦٢.

100 احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢٣.

101 فؤاد شاهين، المصدر السابق، ص ٧٣.

102 جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ١١٤.

103 زاهية قدوة، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

103 عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٤١٣-٤٢٢.

قادت الحرب الاهلية الى التخريب والتدمير على نطاق واسع، وانتشرت الاحداث من لبنان الى دمشق واصبحت هناك فتنة طائفية دموية، وجاءت من حوران وحدات درزية قوية لشد ازر دروز الجبل، وتخرج موقف المواردنة حتى لصيحت الحوادث في نظر القناصل مذبح للمسيحيين وعرفت بمذابح الستين^{١٠٤}. حث والي صيدا خورشيد باشا الطرفين على وقف القتال ونجح في التوصل الى صلح بين الطرفين في السادس من تموز عام ١٨٦٠م، اتفق فيه الجانبان على نسيان الماضي وعدم المطالبة بتعويض^{١٠٥}.

وصلت انباء حوادث لبنان الى اوربا ووجدت صدى في اوساط الراي العام، واتصلت الحكومة الفرنسية مع الدول بشأن التدخل في لبنان، لاذ ارسل وزير الخارجية الفرنسي توفنيل (Thouvenel) في السادس من تموز من العام نفسه، تعليمات بهذا المعنى الى سفراء دولته في لندن وفيينا وبطرسبرغ وبرلين ليعرضوا على تلك الدول رأس الحكومة الفرنسية بارسال لجنة الى لبنان، وتكون غايتها البحث في اسباب الاقتتال وبيان درجة مسؤولية كل فريق، والتعويض عما جرى، جرى وايجاد نظام حكم يحول دون تكرار الحوادث الدامية^{١٠٦}.

ارسل توفنيل الى سفيره في الاسكندرية دولاڤليت (do lavilet) يدعوه للاتصال بالخارجية العثمانية للمفاوضة مع الباب العالي ويؤكد اعتماد فرنسا عليها في اعادة الهدوء والنظام للجبل، وعلى اثر تلك المفاوضات ارسل السلطان العثماني عبد المجيد الى نابليون الثالث (Napoleon III)^{١٠٧} رسالة في السادس عشر من العام نفسه لكد له فيها عزمه على اجراء العدل^{١٠٨}. وبالفعل ارسل السلطان العثماني وزير خارجيته فؤاد باشا وخوله صلاحيات واسعة، وفي السابع عشر من تموز من العام نفسه، وصل الى

104 سعيد الصغير، المصدر السابق، ص ٨٦-٨٨.

105 كمال سليمان الصليبي المصدر السابق، ص ١٤٢.

106 يوسف السودا، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

107 نابليون الثالث (١٨٠٨-١٨٧٣) ولد في باريس وهو ابن لويس بونابرت ملك هولندا، حاول الاستيلاء على العرش في عام ١٨٣٦م وعام ١٨٤٠م الا انه فشل والقي القبض عليه، وفر بعدها الى لندن، وعندما نشبت الثورة في فرنسا عام ١٨٤٨م، رأى نابليون فيها فرصة جديدة لتحقيق امله، وبالفعل انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية في العام نفسه، لم يستطع نابليون ان يكون مطلق اليد فقام عام ١٨٥١م بانقلاب ومدد رئاسته الى ١٠ سنوات واصبح حاكماً مطلقاً، في عهده شهدت فرنسا نمواً اقتصادياً سريع نتيجة للثورة الصناعية وتبنى نابليون هذا التطور، في عهده لعبت فرنسا دور محوري في حرب القرم وتوحيد إيطاليا.

The Mc Graw-Hill, op.cit., Vol8, p.67-69.

108 فيليب وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ٢، ١٩١١، ص ١٦٨؛ يوسف السودا المصدر السابق، ص ٢٥٠.

بيروت ونجح في معالجة الامور ببراعة وحزم، فبطش بالمسؤولين عن الاحداث، واعدم البعض وسجن البعض الاخر حتى استطاع ان يعيد الامن والاستقرار الى البلاد^{١١٠}.

عزم نابليون الثالث على التدخل العسكري المباشر في جبل لبنان، واخبر وزير خارجيته توفنيل سفير بريطانيا في باريس كولي (Cowley) على قرار الامبراطور، واضطرت الحكومة البريطانية ان توافق على مبدأ التدخل المسلح شريطة ان يكون ذا صفة ودية لا فرنسية ووفقاً لشروط يتفق عليها^{١١١}.

وفي الثالث من اب عام ١٨٦٠ عقد مؤتمر في باريس اثر دعوة الحكومة للفرنسية واجتمع ممثلوا الدول الخمسة والدولة العثمانية^{١١٢} ووضع المجتمعون بروتوكولا حدد بموجبه صيغة الحملة وشروطها، واهم ما جاء فيها ان ترسل فرنسا نصف الحملة العسكرية المنفق عليها، وعقب وصول القوات الفرنسية الى بلاد الشام يتفق قائدها مع فؤاد باشا على اسلوب التحرك والعمل^{١١٣}. ولمر الامبراطور نابليون الثالث بحشد ستة الاف جندي في معسكر شالون (في فرنسا) والقي خطاباً على الجنود في السابع من اب لخص فيه مهمة الحملة وأشار قائد الحملة دي بوفور (Beaufort De) بوضوح الى ان للحملة لا تسعى فقط الى تلك الحروب الصليبية بل كذلك الى تحقيق الاهداف التي فشل في الوصول اليها نابليون بونابرت^{١١٤} ووصلت الحملة الفرنسية الى بيروت في السادس عشر من اب عام ١٨٦٠^{١١٥}.

بدأ قائد الحملة الفرنسية دي بوفور اتصالاته مع فؤاد باشا، وبدأت الصدامات بينهما لان فؤاد باشا كان يعمل على ان يلتزم دي بوفور حدوده ولن يقنعه بأنه لا يعمل على ارض فرنسية فاقترح عليه ان يتحرك في ديار الموارنة فقط ولن يتحرك فؤاد

¹⁰⁹ A. L. Tibauoi, op. cit., p.129.

¹¹⁰ احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٣٧.

¹¹¹ مثل فرنسا في المؤتمر: توفنيل، وعن بريطانيا كولي، وعن النمسا مترنيخ، وعن روسيا كيسيلوف، وعن بروسيا الامير هنري دي رومي، وعن الدولة العثمانية احمد توفيق اللندي، ينظر: احمد طربين، المصدر السابق، ص ١٣٩.

¹¹² تم توقيع الاتفاقية في الخامس من ايلول عام ١٨٦٠م بعد ان حصل ممثلوا الدول على اعتماد التوقيع من حكوماتهم، للمزيد حول بنود الاتفاق ينظر:

A. L. Tibauoi, op. cit., p.130.

¹¹³ خطاب الامبراطور نابليون الثالث الى جنود الحملة المرسلة الى بلاد الشام بتاريخ ٧ اب ١٨٦٠م، ينظر: عبد العزيز سليمان، المصدر السابق، ص ٤٦٢؛ فليب وفريد الخازن، المصدر السابق، مج ٢، ص ١٢٥١.

Earl Carbarvon, op. cit., p.121.

¹¹⁴ يوسف الصواد، المصدر السابق، ص ٢٥١.

باشا في ديار الدروز فرد دي بوفور على ذلك بان مهمة الحملة هي تأديب الدروز فقط، وانه لا بد من ملاحقة الدروز الا ان البريطانيون وقفوا الى جانب الدروز واخذوا يبررون الاعمال التي قاموا بها والقاوا بالاثمة على الموارنة لان بريطانيا كانت تخشى من ان يوسع الفرنسيون دائرة نشاطهم في بلاد الشام^{١١٥}.

التقى فؤاد باشا بالجنرال دي بوفور في جب جنين في البقاع ودعا الى تضيق دائرة عملياته معترضا على محاولة التغلغل داخل سوريا، بحجة انه يستحيل عليه تهدئة الاحوال وتوطيد الامن في الوقت الذي يرتكب للمسيحيين سلسلة من الجرائم والتعديت غي اعقاب الحملة الامر الذي يؤدي الى تجدد الاشتباكات الدموية وان البريطانيين لن يتخلوا عن الدروز فتتوتر العلاقات بين الطرفين فاضطر دي بوفور ان يوقف عملياته وطلب منه فؤاد باشا الا يتعدى حدود اتفاقية الثالث من اب عام ١٨٦٠^{١١٦}.

ارسلت الدول الاوروبية فضلا عن الحملة العسكرية لجنة دولية تمثل الدول الكبرى الاوروبية الخمسة^{١١٧}، برئاسة فؤاد باشا ووزير الخارجية مندوبا عن السلطان الى بيروت وعقدت اللجنة اجتماعها الاول في الخامس من تشرين الاول عام ١٨٦٠، وامحصرت مهمتها كما حددها وزير الخارجية الفرنسية في التحقيق عن حوادث الستين والحليولة دون تجدها وتقدير الخسائر وايجاد الوسائل للتحقيق وتعويض المنكوبين واجراء تعديلات على نظام جبل لبنان^{١١٨}.

انشغلت اللجنة الدولية بوضع مشروع تنظيم جبل لبنان، ففرنسا كانت تسعى جاهدة الى توحيد لبنان تحت حكم مسيحي كما كان عليه الامر ايام بشير الشهابي الكبير، الا ان هذا المشروع رفضته كل من بريطانيا والدولة العثمانية^{١١٩}.

اقتربت بريطانيا ان يقسم لبنان الى ثلاث قائمقاميات مارونية ودرزية وارثوذكسية، ووقت فرنسا ضد هذا المشروع وقامت بمساعي دبلوماسية حثيثة في التصدي له، واقتربت فرنسا مكانه مشروعا اخر يعد لبنان مقاطعه تتمتع باستقلال ذاتي ويترأسها حكام لبناني من الطائفة المارونية، وقررت الدول الخمسة الكبرى الموافقة على هذا المشروع مقترحة فيه ان يكون الحكام عثماني مسلما، وتقرر اخيرا تبني اقتراح غلوتز (Glotez) سفير روسيا والذي يقضي بان يقوم في لبنان حكام مسيحي يعنيه الباب العالي^{١٢٠}.

١١٥ جمال زكريا قاسم وآخرون، المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

١١٦ احمد طريبن، المصدر السابق، ص ١٤٧.

١١٧ ناب في اللجنة عن فرنسا بيكلار، وعن بريطانيا دفرين، وعن روسيا دي نوفيكوف، وعن النمسا فيكبر، وعن بروسيا دي ريفوس، ينظر: احمد طريبن، المصدر السابق، ص ١٥٦.

١١٨ المصدر نفسه، ص ١٥٦.

١١٩ كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٢٠ احمد طريبي، المصدر السابق، ص ٩٩ وما بعدها.

توصلت للجنة الدولية بعد ان عقدت ٢٩ جلسة في بيروت والاستانة الى اقرار نظام للبنان، تم التوقيع عليه في التاسع من حزيران عام ١٨٦١م في الاستانة الذي عرف بـ"النظام الاساسي" وبموجبه اصبح جبل لبنان سنجقا (متصرفية) عثمانيا له استقلاله الداخلي، على ان تضمن كيانه الدول المنة الموقعة على النظام، وعملا باقتراح الحكومة الفرنسية تم تعيين دلود باقما في ١٢ حزيران ١٨٦١م اول متصرف لمدة ثلاث سنوات^{١٢١}، وفي ايلول عام ١٨٦٤م اعيد النظر في النظام الاساسي وادخلت عليه تعديلات جديدة وبموجبه مددت ولاية المتصرف الى خمسة سنوات بدلا من ثلاث سنوات^{١٢٢}.

وهكذا حققت فرنسا انتصارا لا يتسهان به حيث نجحت في ايجاد سلطة مسيحية واحدة في الجبل مستقلة عن والي صيدا او والي دمشق ومرتبطة مباشرة بالاستانة فضلا عن الضمانات الدولية. واعتز الموارنة في لبنان بعلاقتهم بفرنسا ولم يحاولوا اخفائها ولقبوها بـ"الام الحنون"^{١٢٣}.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة الى جملة من النتائج لعل من ابرزها:

١. ان مرحلة الدراسة الممتدة (١٨٤١-١٨٦٠)، تعد مرحلة متميزة في تاريخ لبنان، بل هي من اخطر المراحل بسبب اقرارها علنا للمبادئ والتقسيمات الطائفية، والتي تطورت الى الحروب الاهلية الثلاث التي شهدتها البلاد ابان تلك المرحلة.
٢. كشفت الدراسة الاساليب المتعددة التي سلكت المياسة الفرنسية بحجة الدفاع عن مصالح وحماية الاقليات للمسيحية في لبنان، وكانت تهدف من وراء ذلك التغلغل في لبنان وتحطيم الوحدة الوطنية بين لبنائه.
٣. تبين من خلال الدراسة ان فرنسا قد استغلت مكونات الشعب اللبناني المختلفة، فتدخلت في تشجيع فئة على اخرى من اجل خلق التجزئة وتكريس المياسة الطائفية في البلاد.
٤. افصححت هذه الدراسة عن الوسائل السياسية والاقتصادية والمالية التي جربتها كل الدول الاوروبية في مرحلة الحروب الاهلية، بما يكفل لها بسط نفوذها في المنطقة.

¹²¹ جونثان راندال، حرب الالف عام في لبنان، ترجمة: فندي الشعار، دار المروج، بيروت، ١٩٨٤، ص ٥٨.

A. H. Hourani, Syria and Lebanon, Apolitical Essay, Beirut, New Impression, 1968, p.15.

¹²² نادر العطار، سوريا في العصور الحديثة، مطبعة الانشاء، دمشق، ج ١، ص ٢٢٤، نقولا زيادة، المتصرفية الجمهورية، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الخامسة، العدد ٥٢، شباط ١٩٨٣، ص ٣٨.

Iliya F. Harik, op. cit., p.276.

¹²³ جونثان راندال، المصدر السابق، ص ٦٢، كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

ظاهرة العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي

الاستاذ المساعد الدكتور

حبيب عبد القادر محمود الشاوي^(١)

المقدمة

ان ماشهده العالم وحتى يومنا هذا من تطور في الصياغات والمفاهيم المتعلقة بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. واتخاذها صيغا واشكالا متعددة، منها الصراع التاريخي بين الشرق والغرب او ظهور القطبية الثنائية التي تمثلت بالمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، او كانت هناك سياسات مختلفة تظهر وتختفي حسب متطلبات الاوضاع الدولية القائمة، كسياسة الوفاق الدولي، او سياسة الانفراج، او سياسة الاحتواء والاحتواء المزدوج، او ماسمي بالامن المستعاد، او للصراع بين دول الشمال ودول الجنوب^١. او الخصخصة، او ماسمي في الوقت الحاضر بالنظام الدولي الجديد، او العولمة، فكل ذلك انما يؤثر بشكل واضح الى هدف واحد، الا وهو تحقيق مصالح انية وتكتيكية او استراتيجية بعيدة المدى لخدمة دول الغرب وعلى رأسها الامبريالية الامريكية وحليفاتها الصهيونية العالمية، وقد نهيا للولايات المتحدة الامريكية المناخ الامثل والظرف المواتي للتربع على عرش النفوذ العالمي وتبو مكان الصدارة في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ودول المنظومة الشيوعية مع بداية عقد التسعينات من القرن المنصرم. ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى الى بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري والحضاري على العالم، وتولي مركز القيادة الواحدة، والمطلقة في ادارة شؤون العالم بكل امكانياتها وفي مثل هذا الوضع الذي ساد العالم برز مايسمى (بالاحادية القطبية) ذات لطابع الامريكي، ومصطلح العولمة في مفهومه الشائع، ليكون على وجه الخصوص مرادفا لجميع هذه المتغيرات الحقيقية وتوصيفا لانعكاساتها على جميع الانشطة الحياتية في العالم، حين تمكنت هذه الاحادية من التعجيل في وضع النظم والقوانين ويجاد المؤسسات المختلفة لتحويل العولمة من اطارها الاقليمي الى اطارها الكوني الشامل، وبهذا فقد طرحت نظرية العولمة

^(١) رئيس قسم النظم السياسية في كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

^١ المقصود بدول الشمال هي الدول الصناعية الكبرى الثمان (الولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، كندا، اليابان، إيطاليا، روسيا الاتحادية) اما دول الجنوب فهي كافة دول العالم الثالث او الدول النامية.

كأيدولوجية للهيمنة الغربية والتي تدعو الى احلال القيم والمؤسسات ونامط التفكير الامريكية الغربية في مجال شؤون الحياة محل القيم والمؤسسات والثقافات الاصلية للمجتمعات الانسانية الاخرى وتحقيق النموذج الغربي في الحياة وفرضه بمختلف الوسائل والسبل على هذه المجتمعات، وقد استخضمت لهذا الغرض جميع وسائل الاعلام المختلفة والفكر والتوجيه والمعلومات لفرض سيطرة العولمة على جميع شعوب العالم، وهي في واقعها (امركة) للبشر جميعا. فمثل هذا التوجه انعكس على كافة دول العالم عموما وعلى اقطار الوطن العربي بشكل خاص، وذلك لما تمتاز به هذه الاقطار من موقع استراتيجي وثروات هائلة، بل ان اقطار الوطن العربي معرضة لتحمل اعباء انعكاسات العولمة اكثر من غيرها من مناطق العالم الاخرى. لكونها هدفا لاستراتيجيا لمختلف القوى العالمية الفاعلة من جهة ولضعف تماسك نظامها الاقليمي وتوزع ولائاتها الاقليمية والدولية من جهة اخرى. وبذلك يصبح بالامكان سهولة اختراقها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا وهذا بطبيعة الحال يشكل تحديا خطيرا وكبيرا على مستقبلها ووجودها، وقد جاءت اهمية موضوع البحث عندما نتوقف من اجل تحديد رؤية عربية لهذا الموضوع ذو الاهمية الخاصة كمحاولة متواضعة للتعرف على حقيقة ظاهرة العولمة بكل تجلياتها التي ظهرت في السنوات الاخيرة ومن ثم انعكاسات هذه الظاهرة السلبية والايجابية منها على اوضاع اقطار الوطن العربي والتي اصبحت مثار جدل ونقاش من قبل الكثير من المختصين والباحثين فيها، فالاقتصاديون والسياسيون، وعلماء الاجتماع وحتى المعماريون يتحدثون عنها بلهجات مختلفة وينظرون اليها من زوايا واتجاهات متباينة، ورغم كل ذلك لم يستطيعوا التوصل الى حقيقتها الكاملة، وهذا ماظهر عندما بدأت ظاهرة العولمة تفعل فعلها على ارض الواقع في هذا الكون ومنذ سنوات، لانها لم تعد مجرد مفهوم يتداوله اصحاب العلاقة وانما اصبحت ممارسة يومية وعملية مستمرة ودائبة تنمو وتتطور مع مرور الوقت وعلى كافة الاصعدة والمستويات.

ولغرض الاحاطة بمجمل التفاصيل التي يتطلبها موضوع البحث فقد تم تقسيمه الى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسية، تناولت في المبحث الاول التعريف ببعض مفاهيم العولمة المتداولة وجذورها التاريخية، وفي المبحث الثاني تناولت مضامين وابعاد العولمة سواء اكانت منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، اما بالنسبة للمبحث الثالث والاخير فقد تناولت فيه انعكاسات جميع مضامين وابعاد العولمة في جوانبها المختلفة على اوضاع اقطار الوطن العربي ثم خاتمة البحث.

اتمنى ان يكون قد وفقت في هذا المعنى العلمي المتواضع ومن الله التوفيق.

البحاث

المبحث الأول

التعريف بمفاهيم ظاهرة العولمة

جنور العولمة التاريخية:

لقد سبق ظهور العولمة أفكار واتجاهات سياسية دولية كانت تحاول تجاوز مسألة حدود الدولة القومية واختصاصات المباداة، وتطمح إلى إيجاد صيغ مشتركة بين الثقافات والحضارات على اختلافها، وإيجاد سبل للحوار والتعاون وحسب مقتضيات المصالح المشتركة، وقد حاول المبشرون بتلك الأفكار والاتجاهات إضفاء صيغة العالمية عليها والسعي للتستر على مآعدها من دعوات وأفكار.

وقد ظهرت في هذا الموضوع بعض الدراسات التاريخية والسياسية التي أشارت إلى أن جنور العولمة موعلة في القدم وتعود مؤثراتها إلى حقب تاريخية أقدم بكثير من مجرد الاسترشاد بالاستكشافات الجغرافية الأوروبية التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي. في الوقت الذي نجد فيه البعض الآخر يعتبرها قديمة أيضاً، أي تعود لعدة قرون مضت ومنذ أن بدأت الاستكشافات الأوروبية في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، وهي وثيقة الصلة بالتطورات التكنولوجية في المجال الاقتصادي والتجاري، منذ اختراع البوصلة وحتى عصر الأقمار الصناعية^٢. بينما يعتبرها البعض أن بداياتها الأولى تعود إلى القرن التاسع عشر مع بدء الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا والأمريكيتين، وقد اقترن ذلك بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا الأمر الذي أدى إلى ولادة نظام عالمي متشابك الأوضاع ومعد بتفاصيله الحيوية فعرّف بالعالمية ثم بالعولمة^٣، إلا أننا نجد من جانب آخر هناك إجماع بين الباحثين والمختصين على أن العولمة قد بدأت في أوروبا تحديداً في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي وعند ظهور دول معينة في ذلك الوقت كإسبانيا والبرتغال وكذلك هولندا وبريطانيا ثم حصول تغير وتحول في قيم التجارة، حيث جاءت العولمة في ثوبها الأوروبي، وما تمخض عن ذلك من استعمار لدول العالم الأخرى.

فالعولمة ليست بظاهرة جديدة، إنما هي قديمة بقدم القيم الرأسمالية ومؤسساتها المنبثقة عن هذه القيم، وإن الاهتمام المتزايد بها وبالذات في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين إنما جاءت بشكل واضح نتيجة لانتهاء المنظومة الاشتراكية بزعمامة الاتحاد السوفيتي، وبالتالي تبوؤ الولايات المتحدة الأمريكية القصب

^٢ جلال أمين، العولمة والدولة، ملف العرب والعولمة، المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٨٨، شباط ١٩٩٨، ص ٢٣.

^٣ أحمد مصطفى صبر، اعلام العولمة وتأثيره على المستهلك، نقلا عن مجلة (الاسلام الوطني)، مجلة العربي، العدد ١٣٨٨، حزيران ١٩٩٨، ص ٧٠.

المهيمن فيما يسمى بالنظام الدولي الجديد. وقد تزامن مع هذه المتغيرات التطور الكبير الحاصل في المجال التقني والتكنولوجي ودخول العالم عصر الشبكات والمنظومات المعلوماتية.

فالعولمة مصطلح جرى تسويقه من قبل الدول الرأسمالية الكبرى ويعتبر احد الوسائل التي تستخدمها هذه الدول في الوقت الحاضر من اجل استعباد واستغلال الشعوب مثله مثل مرحلة الاستعمار في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ثم ان ذلك لا يختلف عن مرحلة الانتداب التي نشأتها عصبة الامم في عصر العشرينات من القرن الماضي، ولا يختلف عن مرحلة الاستقطاب الدولي واقامة الاحلاف العسكرية الدولية التي كانت ابرزها الحرب الباردة التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) واصبحت بذلك العولمة هي المرحلة المتممة لكل هذه الاوضاع التي مرت بالعالم. وبهذه الصورة فانها تعتبر نتيجة طبيعية ناجمة عن التطورات الدافعة بقوة في عالم اليوم نحو قيام نظام جديد تتغير تبعاً الى الخصائص والوظائف التي يقوم عليها هذا النظام^٤.

ومع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الكتابات والاحاديث عن العولمة على المستوى الاوربي، فنجد من بين هذه الكتابات والاحاديث من يؤيدها بشكل مطلق لانه يجد فيها الرفاهية والرخاء والحرية الفردية المطلقة. ومنهم من يراها شر مستطير، ولها مصيبة ستحل بالبشرية ان عاجلاً او آجلاً، فهذا الانقسام لم يكن مقتصرًا على الكتابات والاحاديث المختلفة فقط وانما أصبح الانقسام ظاهراً بين الدول والمنظمات بين مؤيد ومعارض، ففي جانب الدول المؤيدة وهي الدول الكبرى على رأسها الولايات المتحدة الامريكية التي تسعى الى السيطرة على الآخرين وان تصبح العولمة هي القدر المحتوم على البشرية الذي لا يبدل له عنها، بينما تقف في الجانب الاخر دول ومنظمات تعمل وتناضل من اجل افضال هذا الاتجاه الامبريالي، وجعل العالم يقوم على التعاون الدولي للزينة من اجل السلام والامن والاستقرار والسيادة لدوله ومن ثم احترام خياراتها الوطنية واستقلال قراراتها والحفاظ على خصوصيتها الوطنية والقومية وثقافتها الاصيلة. وهناك في نفس الوقت انقساماً واضحاً بين المنظمات التي انشأتها وتقوم على انشائها الدول الكبرى، والتي تقوم على تسخير امكاناتها الهائلة والواسعة لتنفيذ مآربها في السيطرة والاستقلال، وبين منظمات تسعى

^٤ حميد حمد السعوت، العولمة والدول النامية، مجلة دراسات، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلام، ليبيا، العدد الرابع، السنة الاولى، ١٩٩٩، ص ٥٢.

^٥ حسن جواهر، منطقة الخليج بين ضغوطات العولمة الاقتصادية وتحديات التكامل الاقليمي، السياسة الدولية، العدد ١٤٤، السنة ٢٠٠١، ص ١١.

بكل جهدهما لتكوين رأي عام ضاغط يجابه ويواجه هذا التوجه الذي يريد بكل قوة وانتفاع ان يهدم كل ما هو وطني وقومي وانساني^٦.

- بعض مفاهيم العولمة المتداولة

ان ظاهرة العولمة التي نتجت عن مخاضات الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتقني والاعلامي والتي كانت تعتمد كلها على طبيعة الاوضاع الدولية يشئى عواملها المتضاربة وظروفها المتناقضة، مما جعل هذه الظاهرة تمتاز بصعوبة حصر تعريفاتها وتفسيراتها، ذلك لانها من الناحية العملية ظاهرة متعددة الوجود وذات استمرارية، الا ان هذا الغموض الذي يكتنف جوهر العولمة وتقاصيلها الدقيقة لم يمنع المختصين والمهتمين بمثل هذه الامور من تحديد الخطوط العريضة والرئيسية واهم الملامح المرتبطة بهذا المصطلح القديم الجديد.

فمصطلح العولمة يمكن استخدامه بصيغة المصدر، أي تكون دالة على الممارسة والفعل، وبذلك نقابلها بالانكليزية كلمة (Globalization) ونستخدم كذلك بصيغة اسمية فتدل على الظاهرة، ونقابلها بالانكليزية كلمة (Globalism)^٧ ويرادف مصطلح العولمة في اللغة الفرنسية (Mondialisation) حيث تم ترجمة هذا المصطلح الى العربية تحت مصطلحات عدة وهي: الكونية، الكوكبية، العولمة، الكوكبية، الشؤلة، السلطة، والليبرالية الجديد... الخ.

وفي ضوء ذلك كله فمن الاهمية بمكان هنا عرض بعض الاراء والافكار حول مفاهيم العولمة المتداولة واغراضها وطبيعتها ومكوناتها وعناصر القوة ودوائها من اكثر من وجهة نظر بالرغم من عدم سهولة تحديد مفهومها بشكل نهائي وثابت لحد الان فهي انن (عدا كونها لاتزال مشروعا الان، فأنها متعددة المعاني والدلالات والمواقف حيث تعكس تعددا في المواقف والمصالح والاهداف، فالاقتصاديون والسياسيون وعلماء الاجتماع والمثقفون من مختلف الاتجاهات يتحدثون عنها بلهجات مختلفة وينظرون اليها من زوايا متباينة لكن ليا منهم لايقف على حقيقتها بصورة كاملة)^٨. فنجد عالم الاقتصاد ينظر لظاهرة العولمة بمنظور معين. وعالم السياسة ينظر اليها بمنظور اخر، وعالم الاجتماع ينظر اليها بمنظور ثالث وهكذا فالعولمة اصبحت تمثل اكثر من مفهوم واغلبها انما يتطرق بثورة معلومات وتكنولوجيا واعلام وسيطرة... الخ. فها هو الموقف عموما بالنسبة لمصطلح العولمة في الوقت الحاضر،

^٦ حكمت عبد الله البراز، العولمة والتربية، سلسلة الحلق (٢٢)، دار الشؤون الثقافية العامة، الحاق عربية، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص ٧-٨.

^٧ حكمت عبد الله البراز، المصدر السابق، ص ١٠، نقلا عن عز الدين اسماعيل، العولمة وازمة المصطلح، مجلة المنورخ العربي، العدد ٤٩، ٢٠٠٠، الكويت، ص ١٦٧، عن نعم شومسكي.

^٨ المصدر نفسه، ص ١٣.

وعلى جميع هذه المستويات، حيث نجد ان لكل عالم منظاره الخاص الذي ينظر فيها اليها، فمصطلح العولمة ظهر في اول الامر ضمن مجال المال والتجارة والاقتصاد. الا انه لم يعد مفهوما اقتصاديا محضا، فالعولمة يجري الحديث عنها الان بوصفها نظاما لو نسقا ذا ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد⁹.

فالبعض يرى في جوهر معنى العولمة هو (تفكيك الامم والدول والجيوش وتفكيك المجتمع بأسره وتفكيك الفرد وتجريده من القيم والاخلاق والمبادئ الدينية المقدسة)¹⁰.

ويرى البعض بأنها ماهي الا (مرحلة جديدة تنكث فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، ويحدث تلاحم غير قابل للفصل بين المحلي والعالمي، بروابط ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وإنسانية)¹¹. ويرى اخر انها (المفهوم الدال على نظام جديد للعالم هي في دور الاتجاز-ينظر اليه- من الزاوية الاقتصادية على انه قمة التطور التي وصلت اليها للرأسمالية حيث تسعى العولمة الى ان تستبدل برأس المال الوطني رأس المال العالمي وما يترتب على ذلك من انقلاب جوهري في شبكة العلاقات التي تربط الانسان بواقعه وبالاخرين من جهة تاريخية وميراثه الثقافي او الحضاري بصفة عامة من جهة اخرى)¹².

وقد عرفها الكاتب الفرنسي (دلفوس) بأنها (عملية التبادل الشامل والاجمالي بين مختلف اهداف الكون حيث بمقتضاه يتحول العالم الى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي نموذج للقرية الكونية الصغيرة، التي تربط ما بين الناس والاماكن ملغية المسافات ومقدمة المعارف نون قيود)¹³.

ونجد العولمة عند البعض الاخر بأنها: اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقنية ضمن اطار

⁹ محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣٦.

¹⁰ محمد مسعد سماحه، العولمة الامريكية والعولمة البديلة، النور، المنة التاسعة، العدد ٨٥، مارس ١٩٩٨، ص ٢٢.

¹¹ بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة وروية نقدية، كتاب الامة، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المنة الحادية والعشرون، العدد ٨٦، ٢٠٠٢، ص ٢٢.

¹² عز الدين اسماعيل، المصدر السابق، ص ١٦٣؛ نقلا عن حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص ١١-١٠.

¹³ عبد الله ابو راشد، العولمة، اشكالية المصطلح ودلالاته في الانبيات المعاصرة، مجلة معلومات دولية، السنة السادسة، العدد ٥٨، ١٩٩٨، ص ٥٨.

من رأسمالية حرية الاسواق، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة^{١٤}.

ويشير البعض بأن: العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي، بل انها ايضا دعوة الى تبني نموذج معين... وهي ايضا ايديولوجية تعبر بصورة مباشرة عن ارادة الهيمنة على العالم، واقصاء الخصوصي^{١٥}.

ويرى احدهم ان العولمة هي مفهوم تجريدي، مفهوم مركب ذو ابعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية.. وفي اطاره يصبح البعد الجغرافي اقل تأثيرا في اقامة واستمرار العلاقة عبر الحدود والمسافات ولكنها مع تلك ظاهرة ديناميكية لها حركات ثلاث، الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال، واقتصاد السوق، وعولمة الانتاج عبر الشركات متعددة الجنسية^{١٦}.

ويرى احد الكتاب العرب بأن العولمة هي (آخر مراحل الرأسمالية وانها نهب منظم وقاس لثروات الشعوب فضلا عن تهديدها للهوية الثقافية والقومية)^{١٧}. وهذا الرأي يتفق مع ما اشار اليه المفكر الفرنسي روجيه جارودي من ان العولمة هي (وجه اخر للاستعمار... وان مايفعله الامريكان هو تنويع ثقافات للشعوب الاخرى مع بريرتها لانه مجتمع لاثقافة له)^{١٨}.

ويقترّب من هذا الرأي ايضا الدكتور مسعود ظاهر عندما يعتمد على تحليل المضمون الواقعي لظاهرة العولمة فيرى بأن (نظرية العولمة ليست سوى الوجه الاخر للهيمنة الامبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الامريكية)^{١٩}.

ويؤكد باحث اخر على ان العولمة انما هي (نمط سياسي اقتصادي ثقافي لنموذج غربي متطور خرج بتجربته على حدوده لعولمة الاخر، بهدف تحقيق اهداف وغايات فرضها التطور للمعاصر)^{٢٠}.

وفي لقاء مع نادية مصطفى في مجلة المجتمع نجدها وقد اعتبرت العولمة ماهي الا (عملية تقودها القوى الفاعلة المؤثرة في النظام العالمي حاليا، من اجل ترويج قيم وسلوكيات وسياسات ومفاهيم النموذج الغربي الرأسمالي الليبرالي بأبعاده السياسية

^{١٤} سيف علي الجروان، العولمة الاقتصادية واختراقها الحدود القومية للدول، المنتدى، العدد ١٠٠، ١٩٩٨، ص ١٠.

^{١٥} يركات محمد مراد، المصدر السابق، ص ٢٣.

^{١٦} فريدة النقاش، تحليل كتاب الوطنية في عالم بلا هوية، جريدة العرب، لندن، العدد ٥٨٤٣، في ٢٨/٣/٢٠٠٠ نقلا عن حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص ١٤.

^{١٧} حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص ١٤.

^{١٨} جريدة الثورة، العدد ١٠١٥١، في ١٦/١١/٢٠٠٠، نقلا عن المصدر نفسه، ص ١٤.

^{١٩} نايف علي عبيد، العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢١، ١٩٩٧، ص ٢٨.

^{٢٠} حاتم عثمان، العولمة والثقافة، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، كانون الاول ١٩٩٩، ص ٥.

الثلاث، بمعنى قيم التحول الديمقراطي وقيم حقوق الانسان في المنظومة الغربية، والاقتصادية بمعنى الننتاج الاقتصادي لتطور الرأسمالية وتداول مفاهيم مثل عالمية الاستثمار، وعالمية انتقال رؤوس الاموال وتحرير التجارة، ونقل التكنولوجيا، فهناك حالة من الانتشار الاقتصادي من مركز دولي معين الى سائر انحاء العالم على صعيد هذه المجالات الاقتصادية المختلفة، وهناك ثالثا البعد الثقافي الاجتماعي الذي اضحى الان المحور الاساسي لعملية التفاعل العالمي حيث يسعى النموذج الغربي المهيمن الى ان تصبح مفاهيمه وقيمه وسلوكياته هي القيم والمفاهيم والسلوكيات هي الشائعة والمنشرة والمتبناة بلا منازع²¹. ومثل هذه الابعاد الثلاثة إنما تعبر عن مضمون العولمة الحقيقي لو انها تجيب عن سؤال مهم ما الذي يتم عولمته، وهذا هو ما يحصل الان في عالم اليوم.

ويرى الباحث من خلال مجموعة التعاريف السابقة بأن مفهوم العولمة غير واضح المعالم نظريا وعمليا، وانه ظهر بدليتا في مجال المال والتجارة والاقتصاد، ومعنى ذلك سيادة الجانب الاقتصادي وتهيمش الجانب السياسي والثقافي، ثم اتسع نطاق هذا المفهوم بعد ذلك ليشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصالات، وغيرها من الامور التي تتعلق باهتمامات دول العالم في عصرنا الراهن، وفي ضوء ذلك فاني ارى ضمن هذا الواقع بأن ظاهرة العولمة تعني: نظام عالمي شمولي لكافة نواحي الحياة البشرية، وهذا النظام يعتبر من مراحل تطور النظام الرأسمالي في العالم وبهذا المعنى توصف بكونها اعلى مراحل الامبريالية العالمية.

وبالرغم من اتفاق البعض واختلاف البعض الاخر في تحديد مفهوم العولمة الا اننا نجد ان جميع المختصين والباحثين لم يتفقوا على مثل هذا التحديد بشكله الدقيق والملائم لمفهوم ظاهرة العولمة، فجميع هذه التعاريف والرؤى التي اشرنا اليها انفا تختلف في ابعادها وتجلياتها ومؤشراتها ومازالت غير واضحة المعالم على المستوى النظري والعمل، بالرغم من كون هذه الظاهرة في الوقت الحاضر تلقى بضلالتها على الواقع المعاش وبشكل مباشر في كافة نواحي الحياة البشرية وفي جميع انحاء العالم.

²¹ نادية مصطفى، فرق بين العالمية في الفكر الاسلامي والعولمة في الفكر الغربي (لقاء في مجلة المجتمع)، العدد ١٣٢، ١٩٩٨، نقلا عن رعد كامل الحياي، العولمة وخيارات المواجهة، شركة الخنساء، بغداد، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٩.

المبحث الثاني مضامين وابعاد العولمة

ان الحقيقة القائمة كما اشرنا لنفا، وهي ان ظاهرة العولمة أصبحت واقعا معاشا ويلقي بضلاله بكل قوة على كافة جوانب الحياة البشرية سواء الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية والثقافية، ويبدو ان بداية هذه الظاهرة كان في مجال المال والتجارة والاقتصاد أي سيادة العنصر الاقتصادي وتهميش الجانب السياسي والثقافي ثم اتسع نطاق العولمة بعد ذلك حتى جرى الحديث عنها بوصفها نظاما او نسقا ذا ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، فهي الان نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال، كما يشمل مجال السياسة والفكر والابديولوجية، أي انها تعني جعل الشيء في مستوى عالمي أي نقله من المحدد الى اللامحدد الذي بنأى عن كل مراقبة، وعما ساعد على بروزها بهذا الحجم والانتشار هي التغيرات والتطورات الهائلة في مجال الاتصال والمعلومات الذي اعتبر احد الممببات الرئيسية في ظهور العولمة وجعلها تأخذ ابعادا واشكالا متعددة، وفي جميع الاحوال ولأجل فهم واستيعاب هذه الظاهرة بالقرر المناسب لأبد من ان نتناول هذه الاشكال بكافة مضامينها وابعادها سواء اكان في شكلها الاقتصادي والسياسي والثقافي وسنتناولها تباعا وكما يلي:

أولا: العولمة الاقتصادية:

تتفق اغلب الدراسات المتعلقة بموضوع العولمة من ان اثارها وانعكاساتها تبدو اكثر وضوحا في الجانب الاقتصادي وبصورة مبكرة عن سواها من جوانب الحياة الأخرى وكما اشرنا الى ذلك قبل قليل، وذلك لما للجانب الاقتصادي من اثار بينية وسريعة في بنية المجتمعات وفي تأثيره المباشر على حياة الافراد، وتبدو هذه الاثار ايضا متداخلة ومتشابهة بحيث يصعب الفصل بينها او عزل تأثيراتها.

فلغة الاقتصاد والمصالح الاقتصادية هي لغة مشتركة بين جميع الامم والشعوب لذلك فإن مدخل العولمة هو مدخل اقتصادي خاصة ونحن نرى في عالم اليوم وجود واقعين، فالاول هو الواقع الرأسمالي الذي يمتلك عناصر القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والمالية والتقنية، ومثل هذا الواقع تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ومقابل ذلك واقع اخر يتمثل في واقع الدول النامية ومنها قطار الوطن العربي وهي دول واقطار مهينة ومنقادة بالنتيجة لهذا الواقع المقابل. لذا يسعى العالم الرأسمالي لابعاد هذه الدول عن تسخير ثرواتها لصالح مشاريعها الحضارية والتنمية وربطها بمشاريع الرأسمالية العالمية والابقاء على حالة التبعية²². وضمن هذا السياق استطاع بعض المختصين والدارسين ان يرى للعولمة الاقتصادية من منظور معين وهي انها

²² سيار الجميل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الاوسط مفاهيم عصر قدام، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٣٦.

(وصول نمط الإنتاج للرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة ذاتها. أي أن ظاهرة العولمة التي نشهدها هي بداية عولمة الإنتاج والرأسمال الانتاجي، وقوى الإنتاج الرأسمالية وبالتالي علاقات الإنتاج للرأسمالية أيضا ونشرها في كل مكان مناسب وملامح خارج مجتمعات المركز الأصلي ودوله)^{٢٣}.

ويرى آخر بأنها (الانتقال التدريجي من الاقتصاد الدولي إلى الاقتصاد العالمي، أي الانتقال من الاقتصاد الدولي الذي تتكون خلاياه القاعدية من اقتصاد متمحور على الذات ومتنافس إلى الاقتصاد العالمي المتميز ببروز نظام اقتصادي معولم انتاجيا وخميا وتكنولوجيا وماليا ونفديا وتجاريا وصناعيا واستثماريا)^{٢٤}.

وهذا ما يوضح عندما حاولت سيمون رايش تلخيص بعض مظاهر العولمة الاقتصادية بالقول (أن العولمة اتسمت عمليا بأنها سلسلة من الظواهر الاقتصادية في جوهرها تشمل تحرير الأسواق ورفع القيود عنها وخصخصة الأصول وتراجع وظائف الدولة ولاسيما ما يتعلق منها بالرفاهية الاجتماعية ولنتشار التقنية وتوزيع الإنتاج التصنيعي عبر الحدود والاستثمار الاجنبي المباشر، وتكامل اسواق رأس المال وتشير في قالبها الاقتصادي الاضيق إلى انتشار المبيعات ومنشآت الإنتاج وعمليات التصنيع على مستوى العالم والتي تعيد تقسيم العمل عالميا)^{٢٥}.

أما مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الاكتاد) فيرى في العولمة الاقتصادية بأنها (ظاهرة متعددة الوجوه تشمل أبرز مظاهرها النمو السريع في التجارة الدولية وتدفقات رؤوس الأموال وازدياد أهمية الخدمات في كل من التجارة والاستثمار الاجنبي المباشر على السواء، وتكامل عوامل الإنتاج على الصعيد العالمي والتولم المؤسس بين البلدان فيما يتعلق بسياسات التجارة والضرائب والاستثمار وسائر الانظمة الاقتصادية لتصبح العلاقات بين الأمم تتكيف بشكل متزايد وفق انظمة المؤسسات المتعددة الاطراف لمنظمة التجارة الدولية والتجمعات الإقليمية)^{٢٦}.

وفي هذا الاتجاه نرى بأن العولمة الاقتصادية قد وجدت فرصتها لكي تتبلور في صيغة آليات وتوسع من خلالها لانتشارها وتحقيق اهدافها والتي تمثلت بالمؤسسات

²³ صادق جلال العظم، ماهية العولمة، مجلة الطريق التونسية، العدد ٤، تموز-أب ١٩٩٧، ص ٧٠.

²⁴ حميد الجميلي، استشراف مستقبل الاقتصاد العربي في ظل المتغيرات الدولية، بغداد، بيت الحكمة، ١٩٩٧، ص ٢٦-٢٧.

²⁵ ريتشارد هيجوت، العولمة والأقلمة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة محاضرات الإمارات، ٢٥، أبو ظبي، ١٩٩٨، ص ٣٥؛ نقلا عن حكمت عبد الله البراز، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.

²⁶ عبد اللطيف هبم، العولمة وانعكاساتها على الدول العربية، مجلة كلية المعارف الجامعة، العدد ٢، السنة الأولى ١٩٩٩، ص ١٦١.

المالية والتجارية العالمية، والتي تبرز في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكما يوضح ذلك ايجانسيو رامونيت عندما يقول (لقد اقامت العولمة دولتها الخاصة بها، وهي دولة فوق الاوطان. تمتلك الآلات والشبكات والوسائل الخاصة وشبكات العولمة مكونة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي ومنظمة التجارة العالمية)^{٢٧}. وفي نفس هذا الوقت فقد عرفها الدكتور محمد الاطرش بأنها (تعني بشكل عام اندماج اسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقنيات ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وان العنصر الاساسي في هذه الظاهرة هي الشركات للرأسمالية الضخمة متخطية للقوميات)^{٢٨}. فمثل هذه المؤسسات كانت قد فرضت وجودها ونفوذها وشروطها ، فأصبح الغرب من خلالها يروج لمصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الاخرى السياسات الاقتصادية التي يعتقد بأنها مناسبة^{٢٩}. حيث تظهر لنا الهيمنة الساحقة للدول الرأسمالية في هذا المجال التي تمثلت في دعم الرأسمالية وتعميق التبعية الاقتصادية والسياسية للدول النامية، وعلى وجه الخصوص اقطار الوطن العربي.

ثانيا: العولمة السياسية:

سنحاول في هذا المجال التطرق الى مايعنية مفهوم العولمة السياسية وهو انه كيف تبلور مثل هذا المفهوم في ضوء مآل اليه للوضع الدولي الراهن الذي اتسم بهيمنة القطب الواحد على الساحة الدولية، والمتمثل بالولايات المتحدة الامريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية في اوربا الشرقية. مع بدايات عقد التسعينات من القرن المنصرم. ذلك لان انهيار احد طرفي التوازن الدولي قد ادى الى استفادة الطرف الاخر وانفراده في مجال القوة والثراء^{٣٠}. مما يعني قيام هذا الطرف المهيمن الى دعوته بتغليب فلسفته السياسية ومايريده من اتساع اجواء الديمقراطية والحريات الفردية بحيث تتوافق مع توجهاته الفكرية ومحاولته لجعل هذه للتوجهات لتشمل كافة انحاء العالم، وان ذلك لا يتم الا باعلان الانفتاح السياسي واقامة الاسواق الحرة وقرار مشروع التعددية السياسية وحرية الفكر والرأي واقامة البرلمانات الحرة

٢٧ حاجم الحسني، العولمة ماذا والى اين، دار السلام، العدد ١٢٣، تشرين الاول ١٩٩٨؛ نقلا عن رعد كامل الحويلى، المصدر السابق، ص ١١.

٢٨ محمد الاطرش، العرب والعولمة، مالمسل، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٩، ١٩٩٩، ص ١١٠.

٢٩ صموئيل هنتون، الاسلام والغرب، افلق الصدى، ترجمة مجدي شرش، ط ١، ١٩٩٥، ص ٤٢.

٣٠ رجاء ابراهيم سليم، النظام العالمي الجديد وانعكاساته على افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٧، ن ٢، ١٩٩٢، ص ١٨٤.

وغيرها من الامور والاجراءات والتصرفات التي تتسجم مع النموذج الغربي بكافة تفاصيله³¹. فمثل هذه المستجدات العالمية الجديدة التي برزت خلال عقد التسعينات تضع الدول امام تحديات خطيرة، فمع تزايد الانتفاع من اجل خلق عالم بلا حدود اقتصادية وبلا حدود ثقافية، يتجه الى خلق عالم بلا حدود سياسية وهو الخطوة القادمة الذي تحاول القوى المستفيدة منه وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية بأن تصور ذلك على انه تطور حتمي للاوضاع الدولية الجديدة.

فلم تعد الدولة القومية في ظل هذه الاوضاع بالقدر الذي تستطيع فيه من عدم الاختراق، ولم تعد هي صاحبة القرار فيما يتعلق بشؤونها الداخلية او سياستها المحلية³².

ولقد برزت خلال هذه الحقبة من تاريخ العالم الجديد مع بدايات القرن الحادي والعشرين ايضا قضايا عالمية مهمة مثل قضايا الديمقراطية، وحقوق الانسان والبيئة والتلوث ومشاكل الانفجار السكاني وازدياد نسبة الفقر وانتشار الجريمة والمخدرات وتنامي ظاهرة الارهاب، مما حدى بمروجي العولمة على ان مثل هذه القضايا لا يمكن حلها من خلال الدولة القومية منفردة بل تحتاج الى جهود دولية واستجابات دولية جماعية لحلها، ويقوم الغرب بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على تشجيع قيام الديمقراطية في الدول التي لاتخضع لسيطرتها، حتى يتمكنوا من لتزاعها من نفوذ قوى اخرى منافسة لهم او منافئة، الا اننا نجد بانهم لايشجعون على التحول الديمقراطي في الدول التي تخضع لنفوذهم وسيطرتهم³³. وبذلك نرى بأن مثل هذا التصور السائد في الغرب الحديث الذي يتظاهر بالمسعي للثوب من اجل تصحيح الديمقراطية والليبرالية وهما دعائما للعولمة، وهو نفس التصور الذي تسعى من خلاله الولايات المتحدة الامريكية الى فرض قناعة تامة لدى شعوب العالم بأنه لاجل ان ينجح عمل الديمقراطية في الدولة لابد ان يتنامى جميع مواطنوا الدول الديمقراطية جذور القيم الموروثة في مجتمعاتهم وان يأخذوا بامساك جديدة في الحياة³⁴.

اذن فالعولمة السياسية تعني كما يذكر ذلك السيد يمين (بان نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية وما يتمتع ذلك من رفض وانهاء السلطوية والشمولية في الحكم

³¹ خالد سعيد توفيق، العالم الثالث وقضايا حقوق الانسان في ظل الوضع الدولي، رسالة نكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ايلول ٢٠٠٠، ص ٧٤.

³² عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد ٢٤٣٨، تشرين الاول ١٩٩٩، ص ٨٢.

³³ برهان غليون، ومجموعة باحثين، حول الخيار الديمقراطي، دراسات نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، لبنان، حزيران ١٩٩٤، ص ١١٦.

³⁴ فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق حسن الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص ٩٠.

وتتبنى التعددية السياسية والالتزام بحقوق الانسان وكذلك استخدام الامم المتحدة لحماية حقوق الانسان في العالم والحماية الدولية للأقليات والتدخل الدولي والانساني وغيرها من البات مايعرف بالنظام الدولي الجديد³⁵.

ويرى اخرون بأن العولمة السياسية في مضامينها وابعادها تعني التحرر من قيود الدولة والديمقراطية، وهو محاربة القيم الوطنية ومحاربة الارهاب وتقسيم الدول الى دويلات صغيرة او تكوينات سياسية هشة لتحويل تلك الدول الى الذليلة والهامشية ثم انسحاقها³⁶. وعلى هذا الاساس فإن العولمة السياسية بصورتها للواضحة تقوم على فرض القيم السياسية الامريكية مثل: التحرر من قيود الدولة القومية والتطلع الى افاق العالمية بكل مايتضمنه ذلك من حقوق الانسان كما تفهمها الولايات المتحدة الامريكية وديمقراطية السوق ومحاربة القيم الوطنية والعرقية. وباختصار شديد تحويل العالم الى مجتمع عالمي تسوده قيم ومبادئ موحدة على حساب الهوية الوطنية والتنوع الثقافي والتعدد الحضاري للشعوب، وهذا مما يؤدي الى تقليص وفقدان الدولة بكثير من سيادتها الوطنية من خلال تفتيت تدريجي للوحدات والتكوينات السياسية وتحويلها الى دويلات صغيرة وضعيفة، وبذلك يصبح ماجرى ثلقائيا سواء اكان مباشرا او غير مباشر في بنية الانظمة السياسية والاجتماعية³⁷.

نخلص من ذلك كله في تحديد مفهوم العولمة السياسية الى ان الدولة ضمن هذا المفهوم لاتعد تتمتع بالسيادة المطلقة والابالحرية التامة في اتخاذ قراراتها الداخلية وتسيير شؤونها المحلية من خلال مؤسساتها الوطنية وهذا يعد خطوة مهمة في تحقيق العولمة السياسية وسيطرة النموذج الرأسمالي على العالم وتشكيل نظام عالمي جديد احادي القطبية تتولى الولايات المتحدة الامريكية زعامته.

ثالثا: العولمة الثقافية :

من الواضح والمعروف ان مسألة الثقافة العالمية بمفهومها الارحب تعني توسيع المدارك وتعميق الوعي بضرورة التعايش والحوار بين الامم والشعوب فتملأ لنا الحق في حرية الاعتقاد وخصوصية الهوية والاعتزاز بالحضارة والتاريخ، فللشعوب معتقداتها وحضارتها وتاريخها، فلا سبيل لذن الابحور الحضارات والانفتاح الفكري والثقافي بين الامم، وان التنوع الثقافي في عالم اليوم اصبح قاعدة من قواعد القانون الدولي استنادا الى ميثاق الامم المتحدة والعهود والاتفاقات الدولية التي تحكم علاقات

35 السيد يمين، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨، ص ١٤.

36 محمد سعيد سماحة، العولمة الامريكية والعولمة البديلة، مجلة النور، المنة التاسعة، ١٩٩٨، ص ٢٢.

37 المحامي حسن حافظ، العولمة... والخيارات الاخرى، جريدة التأخي العراقية، العدد ٤٦٧٥، في

التعاون الثقافي لكل شعب من شعوب العالم وإبراز للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الانسانية القائمة على وحدة الجنس البشري ووحدة الصفات المشتركة التي اودعها الخالق في الطبيعة الانسانية. فطالما اصبحت الهوية بهذا اللرسوخ في طبائع الامم والشعوب فلا مجال هنا الى تجاوزها او محوها او انصهارها في بوتقة هوية واحدة ومسيطر عليها مهما تكن الذرائع والدوافع والاسباب، فليس مثل هذا الموضوع خروج على طبيعة الانبياء وتمرد على سنن الفطرة فحسب، بل انها محاولة مكشوفة وواضحة باتجاه لغاء هويات الشعوب، وفي مثل هذه الحالة اخذت في وقتنا الحاضر تتخذ شكل وصورة الهيمنة الاستعمارية على المستوى الثقافي والفكري والاعلامي، وهذا الاستعمار بما لايقبل الشك يعتبر اسوء اشكال الاستعمار³⁸.

وهذه الامور تعتبر بلا شك من اهم سمات للعولمة الثقافية الاحادية المصدر وهي التي من خلالها تقوم الولايات المتحدة الامريكية في الوقت الحاضر بغزو العالم لاجل خلق قيم ثقافية وانماط وسلوك بعيدة كل البعد عن القيم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات المعولمة، وبالتالي تشويش الشخصية الثقافية وزعزعة الانتماء الوطني وتركيز اهتمام ووعي الانسان من المجال العالمي، ففي ظل العولمة الثقافية يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشر ويستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية التي ربما ستحل تدريجيا محل الولاءات والانتماءات الوطنية³⁹. فالعولمة الثقافية بهذا الاتجاه تعني انفتاح الحضارات والثقافات العالمية على بعضها البعض بشكل حر ودون قيود او حواجز وتحقيق حالة من التنوع الثقافي القائمة على حرية انتقال القيم والثقافات والافكار والقناعات مستفيدة من التطورات العلمية الهائلة في مجال الاتصال والمعلومات وبشكل يوحد الرؤيا العالمية، تجاه مشاكل العالم وقضاياها المشتركة، فالذي يحصل في عالم اليوم هو توجه ثقافة واحدة نحو الهيمنة على سائر الثقافات الاخرى، وهذه الثقافة كما هو واضح وجلي هي الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية التي تمثلها وتحتل لواءها الولايات المتحدة الامريكية وتسعى لتحقيق ذلك من خلال استغلال التطور الهائل والكبير في مجال الاتصال والمعلومات، فمن خلال شبكة المعلومات (الانترنت) ومن خلال المحطات الفضائية المرئية والمسموعة استطاعت الثقافة الاستهلاكية ان تحقق اكبر انتصاراتها في هذا العصر، ورغم ان هذه للثقافة ليست جديدة الا انها اصبحت منذ بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي اكثر رولجا ودخل العالم مرحلة عالمية للثقافة الاستهلاكية والشبابية.

وهذا مايجعلنا نعتبر ان العولمة الثقافية اليوم ماهي الا هيمنة الثقافة والقيم الامريكية كتعبير عن وضع النظام الدولي الجديد، لو بتعبير ادق نشر القيم والمبادئ

38 جواد مرسي، الرأسمالية نفسها، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠، ص ٤٠.

39 عبد الخالق عبد الله، المصدر السابق، ص ٧٧.

الامريكية كنموذج كوني، قد ترتب على ثورة المعلومات وتقنيات الاعلام والمعرفة وبالتالي الهيمنة الاعلامية الامريكية، جعل هذا للنموذج الامريكي يحل محل حضارات العالم ويشكل نوعا جديدا من الايديولوجية يجري تداوله من قبل جميع الشعوب⁴⁰.

وبهذا فإن نشر ثقافات الغرب في تلك الدول يتم بهذا الاسلوب حيث نرى بأن وسائل الاعلام العاملة ضمن النظام العالمي الحالي تساهم في جعل الثقافة الوطنية غريبة في بلدها، ويتم ذلك ضمن مايسمى (بعملية التحديث) ومن خلال تقنين الثقافة واهتماماتها فنرى الثقافات الشعبية الغربية تمتزج بثقافات الشعوب الشعبية بل وتبتلعها في بعض الاحيان⁴¹.

ويتضح لنا من خلال ذلك كله ان مستقبل الكون اصبح مرهون بعولمة العالم، وهي الصيغة الاستعمارية الجديدة التي تقوم على عدم احترام الانسان ونفي جنوره وحضارته وموارده وتجاربه وثقافته.

المبحث الثالث

ظاهرة العولمة وانعكاساتها على اوضاع افطار الوطن العربي

40 باسيل يوسف، حقوق الانسان بين العالمية والانسانية والعولمة السياسية، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٠، السنة الثانية، ١٩٩٧، ص٢٦.

41 عبد الستار الراوي، العولمة الفردوس وجحيم الواقع، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٠، السنة الثانية، ١٩٩٧، ص٣٢.

في جوانبها المختلفة

من الواضح والمعلوم ان الوطن العربي بمجموعه يعتبر اولى الاوطان المستهدفة في مبادئه وقيمه وتقاليده ووجوده الحضاري من قبل مايسمى بالنظام الدولي الجديد والمتمثل بظاهرة العولمة الذي ترعاه وتعمل على الترويج له الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، ذلك ان الوطن العربي يعتبر الفريد من نوعه في العالم بامتلاكه البديل القادر على المنافسة لهذا النظام الذي تريد الولايات المتحدة الامريكية من خلاله السيطرة الكاملة على مقدرات هذا الكون.

فالبحث في موضوع ظاهرة العولمة وانعكاساتها المختلفة والمتباينة على اوضاع دول العالم بشكل عام وعلى اوضاع اقطار الوطن العربي بشكل خاص وهو موضوع البحث الرئيس لما يتطلب في هذا المجال ان نتناول الجوانب المختلفة لهذه الظاهرة كل على حدة سواء التي تظهر في الجانب الاقتصادي والسياسي والثقافي، ذلك لصعوبة التعامل معه بكافة هذه التفاصيل لكون جميع شؤون الحياة كلا موحدا ومتكاملا تتبادل عناصرها بالتأثير والتأثر، هذا من جانب ومن جانب اخر ان العولمة كظاهرة تمثل تيارا خارقا يتعدى حدود تقسيم طبيعة الحياة البشرية الى امور وجوانب مختلفة وهي الاساس في اهدافها، حتى وان ادعى البعض بأن اهدافها تقتصر على الجانب الاقتصادي فإنها قد باتت في اطار تطبيقاتها حتى الوقت الحاضر تتجاوز الى العمل من اجل تغيير حياة العالم بكل جوانبه المختلفة، حيث تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من تسخير جميع التطورات التي حصلت في المجال التكنولوجي والتنفي وفي مجال الاتصالات والمعلومات والكمبيوتر للسيطرة على شؤون العالم الاقتصادية والسياسية والثقافية بأسم العولمة، لذلك سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على طبيعة انعكاسات مضامين وابعاد ظاهرة العولمة بجوانبها المختلفة على اوضاع اقطار الوطن العربي وهي كما يلي:

اولا: الجانب الاقتصادي :

ان اغلب الدراسات تكاد تتفق بأن الجانب الاقتصادي يكون اكثر وضوحا وبشكل مبكر عن سواء من مضامين وابعاد العولمة في جوانبها الاخرى في انعكاساتها وتأثيرها، وذلك للجانب الاقتصادي من ثار بينية وسريعة في بنية المجتمعات الانسانية وفي تأثيره المباشر على حياة الافراد، وحسبما ذكرنا في ثنايا البحث ان الاتجاه نحو العولمة وفرضها على الجميع انما اصبح يمثل سياسات دول وحكومات وشركات غنية وقوية لها مصالح كبيرة تحدها بنفسها دون النظر الى انعكاساتها على غيرها من الدول والحكومات والذي جاء كما هو معلوم نتيجة التطورات التكنولوجية والعلمية الهائلة على مختلف الاصعدة والمستويات حيث تسببت هذه التطورات الى مجموعة من الثورات فكانت هناك الثورة الالكترونية الدقيقة وتكنولوجياها في مجال

الاتصالات والمواصلات والصناعة وثورة المعلومات التي اخذت تغير المعطيات الاساسية للحياة والبنية الاقتصادية على وجه الخصوص وفي شتى المجالات الاخرى سواء كان هذا في المجال المعرفي والعلمي والمعلوماتي، وكذلك ايضا الثورة البيولوجية وثورة المكونات الوراثية⁴².

ولما كانت اقطار الوطن العربي تعتبر جزء حيوي ومهم غاية الاهمية في هذا العالم تتأثر به ويؤثر فيها وتتفاعل معه، فأننا نجد والحالة هذه ان انعكاسات ظاهرة العولمة بجانبها الاقتصادي وتحديدا على اقتصادات الدول النامية التي شأنها شأن غيرها من اقتصادات الدول النامية وحتى الاقتصادات المتحولة ستكون غير قادرة بالابتعاد عن هذه الظاهرة، حيث ان الدول الرأسمالية قد اتخذت من الشركات المتعددة الجنسيات اداة اساسية في عملية تعميم وتنفيذ عولمتها الاقتصادية من خلال سيطرة هذه الشركات على اقتصاديات دول العالم بعد ان منحها سلطات غير محدودة في هذا المجال، وقد ساعدت هذه السيطرة التطورات التكنولوجية والعلمية التي برزت بشكل كبير في مجالات الحياة كافة الى زيادة حجم التجارة العالمية وقامت بالتهيئة لتحقيق سوقا عالمية موحدة تتوافر فيها جميع المنتجات المختلفة والمتنوعة ومن ثم سهلت انتقال عوامل انتاجها بين الدول بنفس السهولة التي تنتقل بها سلعها عالميا⁴³.

وبذلك يتبين ان العولمة من جانبها الاقتصادي تعتمد وتبشر بمبادئها ونظامها ثلاث قوى عالمية رئيسية مهيمنة على انتاج واستهلاك معظم موارد ومؤسسات النذلأم الاقتصادي الدولي الحالي هذه القوى هي: حكومات الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والشركات المتعددة الجنسيات وغير الوطنية ومؤسسات التحويل والتجارة الدولية متعددة الاطراف وهي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية⁴⁴.

اذن والحالة هذه اصبحت الشركات الرأسمالية فوق القومية تشكل العنصر الاساس في مجال تحقيق العولمة من جانبها الاقتصادي، لكونها تعتبر من الشركات الضخمة والقادرة على الحد من سياسة الدول لانها تستطيع نقل فروعها من دولة الى اخرى بحيث تؤثر على الدولة التي تنتقل اليها فتشكل رادعا للدولة المضيفة بحيث تمثل دور الشرطي الذي يؤمن للنزالم الدولة المضيفة للاستثمارات والتوظيفات الى بلدان اخرى وهذا مما يؤدي الى انخفاض اسعار العملات والاسهم والسندات في الدولة

⁴² شاكتر محمد ذياب، ما العولمة، محاولة متواضعة لفهم العولمة، بغداد، مطبعة السندباد، ٢٠٠٤، ص ٢٧.

⁴³ المصدر نفسه، ص ٣٨.

⁴⁴ فائق علي عبد الرسول، نحو اطار عام لمستراتيجية التعامل مع المظومة الاقتصادية، ص ١١٧، نقلا عن مجلة الدليل، العدد الاول، السنة الاولى، مطبعة المعارف، بغداد، ص ١٥.

المضيفة وحدثت افلاسات عديدة، فانعكاسات مثل هذا الوضع سيؤدي الى ان تكون اقطار الوطن العربي امام ظاهرة جديدة وهي ان تحل الشركات المتعددة الجنسيات فيها محل الدولة القومية تدريجيا حيث تسعى هذه الشركات العملاقة الى تحطيم الولاءات للقيمة وابعاد اقطار الوطن العربي عن الولاء بعضها للبعض الاخر، ويتم ذلك من خلال مساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها من المؤسسات المالية المختلفة في الدول الرأسمالية، فالنظرة لهذه الشركات على انها تستثمر لموالها في هذه الاقطار تعتبر نظرة خاطئة، فهي في هذا الاستثمار انما تمتص لموالها عندما يتم فسخ المجال امامها للعمل فيها، ولوضح مثال على ذلك عندما نعلم بان مصر وحدها تستثمر (١٠٠) مليون دولار في مثل هذه الشركات^{٤٥}.

يتضح من ذلك ان هذا المستوى من النشاط الاستثماري في اقطار للوطن العربي بصفة خاصة والدول النامية بصفة عامة الذي تقوم فيه الشركات الكبرى غير الوطنية يعمل باتجاه تحويل الجزء الكبير من ثمار النمو الاقتصادي فيها الى للدول الرأسمالية من خلال الارباح التي تحققها هذه الشركات نتيجة عملياتها الاستثمارية والانتاجية والتسويقية^{٤٦}.

وبهذا نجد ان ارتكاز الاقتصاد العالمي على مجموعة من الشركات التكنولوجية والمالية والشركات المتعددة الجنسيات ادى الى تحول مصادر القوة المالية من الدول الى مجموعة من الشركات واسواق المال ومن ثم تحقيق الارباح الخيالية فوق ارادة الحكومات والمؤسسات الاقتصادية والمالية^{٤٧}.

فاقطار الوطن العربي التي لصبحت في عالم اليوم تتجه نحو العولمة الاقتصادية سوف تتعرض الى الكثير من الضغوط والتأثيرات السياسية من الدول الرأسمالية الكبرى لاجل ضمان مصالحها الاساسية والمنتمطة بمصالح الشركات غير الوطنية وبالتالي الى تحديد سيطرة الاقطار المضيفة للاستثمارات ودورها في تسيير اقتصاداتها الوطنية في تقديم الدعم للقطاعات المواكبة للنمو والفئات المتضررة من اعتماد سياسة الانفتاح على الخارج ومن ثم السير على وفي لية السوق في الداخل^{٤٨}. هذا من جانب ومن جانب اخر فان مايمليه نظام العولمة بهذا المستوى من التأثير على هذه الاقطار سيؤدي بلا شك مع مرور الوقت الى فقدان استقلالها واستقرارها

^{٤٥} مصطفى محمود الطحان، العولمة واعادة صياغة العالم، المجتمع، العدد ١٣٠٧، ١٩٩٨، ص ١٠.

^{٤٦} فائق علي عبد الرسول، المصدر السابق، ص ١٢.

^{٤٧} معالي فهمي حيدر، العولمة وتأثيرها على الموارد البشرية، بحث مقدم الى مؤتمر الاتجاهات الحديثة في ادارة الاعمال، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥.

^{٤٨} المصدر نفسه، ص ١٥.

الاقتصادي وذلك بخضوع جميع المؤشرات الاقتصادية الرئيسية الى التقلبات والتأثيرات الخارجية التي تتمثل في تدفق الاموال والمضاربات والاستثمارات الاجنبية بقوة وفي تدخل حكومات الدول للرأسمالية المتقدمة، وإن كل ذلك يجري من اجل ضمان استثمارات رعاياها في الاقطار المضيفة لهذه الاستثمارات^{٤٩}.

وفي ذلك كله نجد بأن ارتباط اقطار الوطن العربي بظاهرة العولمة الاقتصادية سينجم عنه اثار وانعكاسات خطيرة جدا وسلبية في مجال سياساتها الاقتصادية العامة عندما يترتب عليها الاندماج في هذه الظاهرة، حيث إن هذا المستوى من الاندماج يكون مشوها، لانه يقوم على اساس للتطور غير المتكافئ بين طرفي العملية، وهذا ما يظهر من خلال الاعتماد المتزايد لهذه الاقطار على التجارة الخارجية وازدياد اندماجها في الاسواق الرأسمالية للمسلع والخدمات ورأس المال بما في ذلك الاستثمارات والقروض والتسهيلات المصرفية، وإن من يقوم بكل هذه الأنشطة الاقتصادية هي الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات وقوانينها المفروضة على هذه الاقطار، إن هذه الشركات كما هو واضح ومعروف تعتبر مؤسسات اقتصادية بارزة تسيطر على الاقتصاد العالمي سيطرة حقيقية وتقوم حكومات الدول للرأسمالية المتقدمة بمساعدة هذه الشركات على اختراق الاقتصاد العالمي والسيطرة عليه، وبهذا تصبح هذه القوى المحركة الرئيسية لظاهرة العولمة في جانبها الاقتصادي.

ثانيا: الجانب السياسي :

إن ظاهرة العولمة السياسية لانقل خطورة عن انعكاسات ظاهرة العولمة الاقتصادية على واقع اقطار الوطن العربي، ذلك لاننا نعلم بأن هذه الظاهرة ما هي الا مشروع مستقبلي لكون مضامينها وابعادها الجوهرية لما تعتبر مرحلة تطويرية لاحقة لظاهرة العولمة الاقتصادية والثقافية التي سوف تؤدي الى قيام عالم بلا حدود ولاسياسة وهو الهدف النهائي لظاهرة العولمة السياسية.

فتحقيق العولمة الاقتصادية والثقافية سيسهل قيام عولمة سياسية التي في ظلها سيتغير مفهوم الدولة والسيادة، فالقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات ستتقل عبر المجتمعات والقارات بأقل من القيود والضوابط متجاوزة بذلك الدول والحدود الجغرافية ، ويمرور الزمن سيتم الوصول الى الحكومة العالمية الواحدة^{٥٠}.

وهذا يعني ان قوة الدولة سوف تضعف وتفقده هيبتها وسيطرتها وبالتالي هشاشة تكوينها ومن ثم يجعلها عرضة للتغير والتبديل كلما تطلبت مصلحة الدول الامبريالية

^{٤٩} فائق علي عبد الرسول، المصدر السابق، ص ١٢.

^{٥٠} عبد الخالق عبد الله، المصدر السابق، ص ٨١.

في ذلك، وستصبح الدول تابعا في كل شيء تقريبا لمثل هذا النظام المعولم بكل اتجاهاته عندما ترضى بذلك^{٥١}.

وفي ظل هذا الواقع السياسي المعولم، تحاول الولايات المتحدة الامريكية وهذا ماجري في عالم اليوم فعلا من فرض قيمها السياسية والاجتماعية بحسب فهمها وتحديداتها لهذه القيم مثل التحرر من قيود الدولة القومية والتطلع الى افاق العالمية بكل مايتضمنه ذلك من الدفاع عن حقوق الانسان واحترام مضايمنها وديمقراطية السوق ومحاربة القيم الوطنية والعرقية والارهاب^{٥٢}.

ان هذه السياسة الامبريالية القائمة في عالم اليوم سوف تنعكس على اية دولة من دول العالم وبشكل خاص على اقطار الوطن العربي عندما تحاول الوقوف تجاه هذه السياسة مستقبلا، والتي تتحقق من خلال ظاهرة العولمة في جانبها السياسي.

وهكذا نرى ان مايسمى بالنظام الدولي الجديد لو مايسمى بنظام العولمة في جانبه السياسي انما يجري نحو سياسة التقنيات التدريجي للوحدات والتكوينات السياسية وتحويلها الى كانتونات ودويلات صغيرة وضعيفة ليكون بالامكان السيطرة عليها وتوجيهها للوجهة التي تبتغيها الامبريالية العالمية، حتى يصبح ماجرى بشكل تلقائي سواء اكان ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة في بنية الانشطة السياسية والاجتماعية لاية دولة من دول العالم وبالاخص اقطار الوطن العربي^{٥٣}.

ومثل هذه السياسة تؤدي بالنتيجة الى الغاء سيادة الدول وانتهاك حدودها واستغلالها وسيكون تطبيق ذلك باستخدام كافة انواع التدخل الاقتصادي والسياسي فيها، واعلان العداء لاية دولة تحاول الدفاع عن سيادتها ومصالحها القومية والوطنية، وحتى اذا استدعى الامر اللجوء الى استخدام القوة بكافة اشكالها واساليبها، وهذا مانجده قد حصل في وقت سابق عندما شنت الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها عدوانها للعسكري على العراق عام ١٩٩١ بعد دخوله الى الكويت في ٢/٨/١٩٩٠، وكذلك عندما قامت الولايات المتحدة الامريكية باحتلال الصومال عام ١٩٩٤ لفرض سياستها الامبريالية عليه، واخيرا وليس اخرا عندما اعلنت ايضا الولايات المتحدة الامريكية والدول الحليفة معها الحرب على العراق مرة اخرى في ٢٠/٣/٢٠٠٣، ومن ثم احتلاله في ٩/٤/٢٠٠٣ بحجة امتلاكه لاسلحة للدمار الشامل، يبدو ان هذه النتائج للمعولمة في جانبها السياسي بانها سوف تفرض طرازها على جميع دول العالم عموما واقطار الوطن العربي بشكل خاص، وبهذا تصبح عملية وضع السياسات

٥١ حكمت عبد الله البزاز، المصدر السابق، ص ٤٥.

٥٢ رعد كامل الحياي، المصدر السابق، ص ١٠.

٥٣ المحامي حسن حافظ، المصدر السابق، جريدة التلغفي.

المستقلة للدول الواقعة تحت مطرقة العولمة عملية مستحيلة، وهذا ما يؤدي الى ضعف فاعلية السياسة الوطنية لهذه الدول.

ثالثا: الجانب الثقافي :

ان مختلف الدراسات والبحوث والتحليلات في مختلف ارجاء المعمورة في الوقت الحاضر تتناول قضية الحفاظ على الثقافات الوطنية والقومية والدينية، لما قد تحمله ظاهرة العولمة من اختراق لهذه الثقافات وتشويهها، بل قد تجعلها باتجاه مغاير لما هي عليه، وضمن هذا الاطار اثبتت عدة لطروحات، مثل اطروحة (الغزو الثقافي) و(الثقافة العالمية) حيث اسهمت ظاهرة العولمة على الصعيد الثقافي الى جانب عوامل ومتغيرات اخرى في لحياء الانتماءات الاولية والتحتية لبعض القوى والجماعات في العديد من الدول النامية وخاصة في اقطار الوطن العربي، حتى ان بعض الجماعات اصبحت اكثر توجسا وخشية على هويتها وخصوصيتها الثقافية والحضارية تحت ضغط عملية العولمة الثقافية، مما جعلها اكثر تشبها بهوياتها الذاتية⁵⁴.

فعملية العولمة تطمح بان تظهر بمستوى عالمي وشامل، وحتى ما نجحت الثقافات في اظهار نفسها ثقافات قومية انسانية، لغت ما عداها من الثقافات .. والصراع على الظهور بهذا المظهر هو الرهان الاساس لعولمة الثقافة، لانه يؤكد صلاحيتها في نظر الجماعة التي تحملها والجماعات الاخرى⁵⁵.

فكما هو معروف وواضح ان انعكاسات ظاهرة العولمة لا تتوقف عن تكوين مستوى اقتصادي عالمي، بل ادى الى تشكيل هذا النظام بآلياته المستحثة الى نتائج ثقافية خطيرة، حيث غيرت هذه للنتائج من طابع الشخصية القومية، عندما شكلت عولمة الاعلام والاتصال تهديدا مباشرا للتعددية الثقافية وطمس الهويات الثقافية للشعوب، وقد ساعد هذا النهج حالة الثقافة في بعض المجتمعات الانسانية الاقل تطورا، فنرى في هذا المجال ان ثقافة اقطار الوطن العربي أي المقصود بها الثقافة العربية عموما تعاني من لزولوجية غير مستقرة نتيجة لاحتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمتها الحضارية... وبالنتيجة استمرار اعادة متواصلة ومتعاطمة للزولوجية في الثقافة والفكر والملوك⁵⁶.

⁵⁴ جلال امين، المصدر السابق، ص ٣٥.

⁵⁵ شون مكبرايت واخرون، اصوات متعددة وعالم اخر، منشورات اليونيسكو، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص ٥٥٢، نقلا عن بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، كتاب الامة، العدد ٨٦، النوحة، ط ١، كانون الثاني شباط، ٢٠٠١، ص ٨٦.

⁵⁶ احمد مجدي حجازي، العولمة وتهديم الثقافة الوطنية، عالم الفكر، تشرين الاول، ١٩٩٨، العدد ٨، ص ١٤٢-١٤٣.

ومثل هذا الحال هو ما نسميه بالاختراق الثقافي الذي يعتبر من أبرز وأخطر الأساليب المتبعة من قبل قوى العولمة في صراعها مع الثقافة العربية الإسلامية، فتدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة والأعلام والثقافة الحديثة لنما القصد منه بث وإشاعة مفاهيم جديدة في أوساط متلقي اقطار الوطن العربي بشكل خاص ثم يتبعها توغل مبرمج إلى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الأساسية للثقافة العربية الإسلامية، مما يترتب على هذا المستوى من التوغل إلى زعزعة القناعات بها والترويج لمبادئ ومفاهيم قوى عولمة الثقافة التي تقوم على أساس تعميم الثقافة الأمريكية التي ستتحكم عقول المتقنين العرب . ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالقيم والمبادئ والامس والمركزات الجوهرية التاريخية المتأصلة في الثقافة العربية الإسلامية^{٥٧}. ويحصل كل ذلك من خلال ثورة الاتصالات التي مهدت لسهولة الاتصالات بين العالم اجمع في تبادل للمعلومة عبر اجهزة الانترنت التي تتصل بالاقمار الفضائية والقنوات الفضائية، فمثل هذا الكم الهائل من المعلومات التي باتت بالامكان الحصول عليها بكل سهولة ويسر والقدرة على التعامل للربط بين مختلف المعارف لاستنباط النتائج وتحليلها احدثت تغييرات وتحولات عميقة في انماط شعوب العالم واساليب تفكيرها وجعلت من هذا الكون (قرية صغيرة) حيث قربت المسافات بين الشعوب مما جعل الجميع يمثلون اليها ويسلمون لكل لطروحاتها في تقليد الغرب في كل مسارات الحياة والفكر والوجدان وبذلك لوجدت ثقافة جديدة تقوم على تكدير القيم واخساد الذمم والمبادئ والمفاهيم والتقاليد وتضع مصالح الفرد فوق المجتمع، وخلق عصرا جديدا مفرغا من القيم والمبادئ الروحية^{٥٨}.

اذن والحالة هذه فقد انتقل مفهوم العولمة من الجانب الاقتصادي والسياسي الى الجانب الثقافي والاعلامي وحتى الانبي أي ما يعرف ذلك الان (بالثقافة الشاملة) او كما يسمونه (بالقرية للصغيرة) او (المجتمع الكوني) الذي يكمن وراء انتشار الثقافات والتداخل الحضاري بين الشعوب بعد ان اصبحت المعلوماتية والانترنت وتقنياتها المتطورة اهم مرتكزات العولمة.

وما يسمى اليوم بمصطلح (القرية الصغيرة) و (القرية العالمية) و (القرية الكونية العالمية) انما المقصود بها هو ان العالم لم يعد بكيانات مجتمعية مفصولة او معزولة عن بعضها البعض، وانما اصبحت مترابطة بصورة عضوية، بحيث ان ما يحدث في أي بقعة فيه يؤثر في جميع بقاعه الاخرى مهما تباعدت المسافات او تباينت الثقافات، وكان وحدة المصير العالمي قد اصبحت حقيقة بالقوة نفسها التي تتحدث بها عن الوحدة

٥٧ حيدر كمونه، نور المناهج الدراسية المصرية في مواجهة مخاطر هيمنة فكر العولمة، جريدة النأحي، العدد ٤٥٦٩ في ٢٠٠٥/٩/٥.

٥٨ شاكر محمد نهب، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.

العضوية بقرية صغيرة، وها هي محطات التلفاز الكوكبية والصحافة الالكترونية وسوق الكتاب المنتشرة في مختلف بقاع العالم والحركة الدائبة على مدار الساعة، فكل ذلك شكل نزعة قوية ومستمرة لعولمة للثقافة^{٥٩}.

فانعكاسات العولمة الثقافية على اقطار العالم ومنها اقطار الوطن العربي تكمن من خلال وعبر وسائل الاتصال والتواصل التكنولوجي والاعلامي في عالم اليوم وكما نكرنا (قرية كونية) فموقع ودور الانترنت والثورة المعلوماتية التي تتحكم في مسيرتها شبكات الاتصال والتواصل للمتعددة الجنسية التي تعمل بالتناقص الحر في اغلبيتها هي شركات ذات جنسية امريكية، فترى ان معظم القنوات التلفزيونية الامريكية تعمل على تعجيد العولمة في الفكر وتوحيد نمط العيش بالحث والاسلوب السايكولوجي المؤثر بوسيلتي الاغراء والاثارة، وفي طليعة الانتاج الامريكي كمادة وفكر ومنهج للطروحات الايديولوجية تتركز حول الديمقراطية والحرية الفردية ومعاداة الشعوب.

ولما كانت العولمة هي ظاهرة عالمية تستند على الاختراق القسري او في احسن احوالها الاختراق التلقائي من خلال وسائل الاتصال بكافة انواعها المسموعة والمقروءة والمرئية التي اشرنا اليها لنفاء، فان عملية الاختراق الثقافي هي جزء لا يتجزأ من عملية الاختراق الكلي، وعلى هذا الاساس فان عملية الاختراق الثقافي في ظل العولمة ليست عملية تفاعل حضاري مطلقا بل ان في واقعها وحقيقتها عملية تهر ومحو للثقافة الوطنية من خلال الثقافة الغازية المعولمة، ويبدو كل ذلك جليا عندما تقوم الدول المتقدمة باحتكار للصناعات الثقافية، فمثل هذه الصناعات في الوقت الذي تعتبر غزوا اقتصاديا الا انها تشكل في نفس الوقت غزوا ثقافيا فكريا مبرمجا ينتشر بكل سرعة وقوة خاصة بين شريحة الشباب من خلال الافلام السينمائية والانوات الموسيقية وشرطة الكاسيت والفيديو والاسطوانات والآت التصوير باختلاف انواعها والعباب الشباب والاطفال الالكترونية الى غير ذلك من مبتكرات الثقافة الاجنبية المعولمة والتي تجد كثيرا ما تركز على العنف واثارة الغرائز والشهوات والبطولات الفردية الغازية^{٦٠}.

وهنا نلاحظ بان العولمة من خلال مضامينها وابعادها الثقافية بهذه الصورة انما تضع جميع اقطار العالم ومنها اقطار الوطن العربي بالذات امام تحديات جديدة وخطيرة تتصل بالتفتشة الاجتماعية والهوية الثقافية والوطنية، مما سيؤدي الى انعكاساتها المباشرة على كافة احوال هذه الاقطار سواء اكان ذلك بتغيير المفاهيم الاجتماعية السائدة فيها الى اخرى مناقضة لها او متعارضة في نهجها، والعمل من

^{٥٩} حفناوي بطي، الابن المقارن والتوجه نحو العولمة، مجلة الجسرة، العدد ٥، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٤-٣٣، نقلا عن بركات محمد مراد، المصدر السابق، ص ٨٦.

^{٦٠} حكمت عبد الله اليزاز، المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.

خلال ذلك بكل تواصل على قطع صلة أجيالها الجديدة بماضيها وتراثها ودينها وبالتالي إلى تدمير حضارتها التي يتحتم عليها هنا التخلي عن بعض خصوصياتها الثقافية الوطنية ومن ثم تهديد تعدديتها الثقافية داخل كل قطر من أقطارها.

وأخيرا لقد بات واضحا ومعطوما أن موضوع العولمة مع كل تجلياتها وتداعياتها وانعكاساتها أمرا مفروضا ومحتوما على الجميع، وذلك بالامتثال لكافة أطروحاتها في مسارات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الفكرية والوجدانية، بعد أن مكنتها التطورات التكنولوجية والعلمية المتواصلة من الانتشار السريع والموجه خاصة بعد للتطورات والمتغيرات التي حصلت على الساحة الدولية والذي جعلها تبرز بشكل أقوى في بداية عقد التسعينات من القرن المنصرم نتيجة انهيار النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ونظم منظومة الدول الاشتراكية وزوال الصراع الأيديولوجي بين الرأسمالية والشيوعية، ثم اعتب ذلك هيمنة النظام الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم والتحكم بمقرراته عن طريق ظاهرة العولمة، وفي ظل هذه الحالة التي يعيشها عالم اليوم أصبح الواقع المعولم هو القدر والمستقبل والمصير باعتباراه واقع اقتصادي وتكنولوجي متطور، لا يمكن لاية دولة من دول العالم مهما بلغت من قدرة وامكانية تقاويه ومنعه، ولن تعيش بمعزل عن هذا الواقع الاقتصادي العالمي الذي يتمثل بالعولمة ، وبهذا لا يمكن رفض كل ما جاءت به العولمة بالانفلات على للعالم، ذلك أن التطورات التكنولوجية والعلمية التي غزت العالم خلال العقدين الاخيرين فاقت بأنجازاتها العلمية على ما انجز على مدى قرون عديدة، إذن فلا بد من الاستفادة من هذه المنجزات العلمية، وإذا ما حاولت بعض دول العالم وبالذات اقطار الوطن العربي التخلي عن مثل هذه التطورات التكنولوجية وعدم مواكبتها لها ستحكم بالنتيجة على نفسها بالتخلف والخضوع والتبعية، فتكنولوجيا العصر الراهن تعتبر الحلقة الحاسمة في سبيل تحقيق التقدم والرفاه لاقطارها في مختلف مناحي الحياة من أجل الخلاص من تخلفها ومن ثم تضيق الفجوة التاريخية التي تفصلها عن عالم اليوم، فالثورة التكنولوجية والعلمية في جميع تفاصيلها التي تشهدها المجتمعات الانسانية تشكل في حد ذاتها تحديا للانسانية جمعاء ولا مجال هنا لأي دولة من دول العالم إذا متجاهلت هذا التحدي تصبح لامكانة لها في عالم الغد وبشكل خاص في مجال ثورة المعلومات والاتصالات والمواصلات ومختلف الصناعات، والتي اخذت هذه المحاولات من تغيير المعطيات الأساسية للحياة والبنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وما من دولة في العالم وهذا لايفيد اقطار الوطن العربي أن تقدمت في عصرنا الراهن الا بعد أن نجحت في ترسيخ نميجه الحضاري بالتطورات التكنولوجية وتحررت من كل الاغلال الفكرية التي حجب عقله على الابتكار، والتحفيز إلى التقدم المطلوب، ومن غير المقبول أن تكون اقطار الوطن

العربي في موقف المتفرج دون المشاركة في سباق العصر والا تصبح هذه الأقطار غريبة عن أحداث عصر التطور التكنولوجي والعلمي تسيرها الأحداث الى حيث تريد او لا تريد^{٦١}.

ومحصلة القول ان ظاهرة العولمة أصبحت واقعا ناتجا وقدرنا محتوما والتي جاءت اساسا من التطور الطبيعي للحياة الإنسانية، وفي مثل هذا الامر نجد بأنه ليس كل ما جاءت به العولمة خيرا او شرا فيه الكثير من الخطورة على العالم فهناك إيجابياتها التي لا تتحقق الا بشروط معينة ولها سلبياتها التي يمكن تفاديها، ولمواجهة كل هذه الاوضاع التي يعيشها عالم اليوم بمناعة فكرية وعقلية لاجل ضمان مصالح اقطار الوطن العربي الحيوية والاساسية مع جميع دول العالم.

الخلاصة

لقد رأينا من خلال البحث كيف ان ظاهرة العولمة قد تبلورت افاقها وابعادها مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحالي، حيث تمثلت احدى التحديات المباشرة التي فرضت نفسها على دول العالم المتقدم منها والنامية في ظل ما يسمى بالنظام الدولي الجديد الذي يعمل ضمن اليات العولمة المختلفة سواء اكان ذلك في الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، وبذلك شكل هذا التوجه توسع عملية اختراق لكل البنى الحضارية والقومية في العالم، وخاصة تلك الاقطار التي تمتلك ارثا حضاريا واقدارا اقتصاديا وموقعا استراتيجيا حيويا وفعالا، وهذه كلها تمثلت باقطار الوطن العربي وقد وجدنا من هذا الجانب كيف ان مضامين وابعاد العولمة المختلفة له انعكاساته المعينة على جميع اوضاع اقطار الوطن العربي، ففي ظل العولمة الاقتصادية سوف تختفي جميع الخصوصيات والهويات المحلية وتكون هذه الاقطار مجرد مشروعات يتم بولسطينها تنمية السوق الوطني والقومي وكل برامج النمو والتنمية وخصوصية كل قطر من هذه الاقطار الاقتصادية، ونهب كل ثرواتها وخيراتها والتحكم بها من خلال اليات تفصيلية وفي ظل العولمة السياسية ستنح للمسيطر التحكم في مراكز القرار السياسي وصناعته في كل قطر من اقطار الوطن العربي خنمة للاهداف الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وعلى حساب سيادة ومصالح هذه الاقطار وثرواتها الوطنية والقومية، ثم العمل على تفتيت كياناتها القومية وكل ذلك يبنى تخليها عن خصوصياتها الوطنية والقومية، ولما في ظل العولمة الثقافية فقد وجدنا ان هناك محاولات جادة ومتسارعة لعولمة العادات والتقاليد والافكار والغاء الخصوصية الثقافية لكل قطر من اقطار الوطن العربي من خلال عولمة جميع وسائل الاعلام، وان الاحداث اثبتت كل ذلك بشكل حاسم بان الولايات المتحدة الامريكية تسعى من خلال ظاهرة العولمة الى ابقاء نفوذها وتمركزها وسيطرتها في جميع المناطق الحيوية من العالم للحصول على الامتيازات التي تحقق طموحاتها وتكثف نفوذها وهيمنتها على العالم، وانها تستخدم كل الوسائل والسبل في سبيل تحقيق ذلك.

بالرغم من كل هذه الاوضاع التي سادت وتمود عالم اليوم من خلال افرازات ظاهرة العولمة، لايعني الاستسلام الكلي لها، الا انه لابد من المشاركة فيها، من خلال تبني وملاحقة جميع التطورات التكنولوجية والعلمية والتقنية والمعلوماتية والاتصالية واحراز التفوق فيها من قبل اقطار الوطن العربي حتى لا تكون منعزلة عن بقية دول العالم ومن ثم تزداد الهوة التكنولوجية بكافة تفاصيلها بينها وبينهم مع مرور الايام، وبذلك يقع على عاتق هذه الاقطار في هذا الزمن التحرك في اطار الايجابيات التي تتمتع بها العولمة ومن ثم تحصين نفسها في مواجهة سلبياتها، ذلك لان رفض مثل هذا الموقف سيضيع عليها فرصة الكينونة الخاصة بها، والذي سيسمح لها بوجود فاعل قائم خاص في المحافل الدولية، دون ان تبذل اية تضحية بقيمتها وراثتها ووجودها الحضاري والحفاظ على هويتها المحلية.

المثقف العربي والمرحلة الراهنة

الاستاذ المساعد الدكتور

محمد احمد حسن (*)

مقدمة:

تعد ((أزمة المستقبل)) التي تتعرض لها الأمم والشعوب من أخطر الأزمات التي تمر في حياتها اليوم، فلقد كان احد مسببات هذه الأزمة في القرن الواحد والعشرين هو:

((المشروع الأمريكي)) الذي يسعى الى الهيمنة الكاملة على العالم، عن طريق العديد من المحاور: الثقافية والاقتصادية والعسكرية، والسياسية وصولاً ((الرأسمالية المعولة)).

وإذا كان المنطق يؤكد انه لا يمكن للهيمنة الاستعمارية ان تستمر الى الأبد، فهذا أمر مستحيل، لأنه ضد منطق التاريخ، فان الذي يعزز المواجهة لكل التحديات هو ((المنقف)) لكونه الطليعي الذي يجعل ((الثقافة)) أداة في معركة المصير التي تواجهها الأمم والشعوب فهو الذي يمتلك زمام الثقافة وقيادتها ويحولها الى قوة يمكنها من الصمود في وجه ((التحديات)) و"الثقافات" الأخرى.

ينطلق البحث من فرضية مؤداها هل للمثقف العربي دور متميز في المرحلة الراهنة؟ فإذا كانت الإجابة على الفرضية بالإيجاب، عند ذلك سيكون دور "المنقف العربي" في تكوين موقف تجاه بعض المفاهيم "كالثقافة" و"الثقافة القومية" و"حوار الحضارات" و"الثقافة والعولمة" حيث تمكنه من فهم واقعه الثقافي فضلاً عن مساهمته في أغناء الثقافة الإنسانية.

المبحث الاول

مفهوم الثقافة والثقافة القومية

اولاً: مفهوم الثقافة:

تشكل النتائج التي تفرزها النكبات في حياة الأمم والشعوب عوامل أساسية لها تأثيرها وانعكاساتها على الثقافة والمنقف. وإذا ما أضفنا مع هذه النتائج تأثير الظروف الداخلية على الثقافة والمنقف ستظهر امامنا "حقيقة" مفادها ان: الثقافة قبل هذه النكبات لم تكن تستوعب بدقه معقولة قانون الصراع السياسي كما لم تكن تقدر التقدير الكافي ابعاد الصراع ولا أدولته ولا مقاييسه ولوزائنه، وهذا ما يمكن ان نطلق عليه "أزمة

(*) استاذ في كلية التربية - الجامعة المستنصرية

الماضي" اما "لزمة المستقبل" فهي لم تعد مجرد لزمة للعلاقة بين الثقافة وبين خط سير تطور المجتمعات، بل أصبحت بعد نكبات هذه الامم "لزمة العلاقة" بين الثقافة وبين مصير هذه الامم، اي لزمة مركبة.

ولما كانت المرحلة الراهنة تتميز بـ"الهيمنة والاحتلال" و"ضباع الهوية الثقافية" فكل دور للمتقف العربي لابد ان ينطلق من خصائص هذه المرحلة ومن حاجتها الى التحليل والتحديد. بمعنى ان هذا الدور يتركز في المساهمة في تصحيح اخطاء المرحلة السابقة أولاً وصولاً الى جعل الثقافة اداة في معركة المصير، كون الثقافة في مفهومها الصحيح هي: موقف كلي نظري وعلمي من الحياة.

فالثقافة ان ذات صلة حية بالحياة تتفاعل معها وتؤثر فيها، لان الثقافة ليست مطلقاً بل هي اداة تغيير وموقف حي من المشكلات الكبرى التي تطرحها التحديات المصيرية على الشخصية الانسانية حيث ان فاعلية الثقافة تأتي من مدى تمثيلها لآمال وطموحات الذين يحملونها ومن قدرتها على الإجابة على التحديات التي تواجه المجتمع، ومن صمودها في خضم صراعات عالمنا اليوم. لقد أصبح تقوق "الثقافة" اليوم يعني أمراً أساسياً واحداً وهو: الاتكون للثقافة على هامش حضارة العصر^(١). إذا ينتقي دور المتقف عندما تختلف الثقافة وتبتعد عن روح العصر وعن مسابرة ركب التقدم، فالمتقف لا يكون متقفاً حقاً بالابتعاد عن عصره وروح عصره، وهموم عصره، وقضايا عصره، وثقافة عصره.

ولما كان المتقف هو "انسان" تتجلى حقيقة لكونه الشخص الذي يستوعب حقيقة ذاته وحقيقة مجتمعه وأمته والمرحلة التاريخية للراهنة للتطور الإنساني، عليه ان يقرن مسيرته ببعض الخصائص والسمات ومنها: الا يكون في مسيرته "هاوية" تفصله عن واقعة السياسي والاجتماعي^(٢) وان لا يحمل تقويضاً من اي انسان ولا تعين له كيانه اية سلطة^(٣). المتقف يجب ان يكون مبدعاً، الا ان هذا الابداع لا يتحقق الا عندما يريد ان ينتج في ذاته ولدى الآخرين "وحدة الشخصية الحقيقية"^(٤). المتقف من

(١) من زيادة: معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧، ص ٤٦.

(٢) غ.أ. غبيريل اي غالان "الكتابة والتحديات السياسية"، ترجمة الريمس الجبرولي، مجلة افاق عربية، العدد ٣، بغداد، ١٩٩٠، ص ٩.

(٣) جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الادب، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.

بشراح "بنظرة كونية" تحدث تركيباً بين التخصص والموسوعية، بمعنى انه لابد للمثقف ان يقرأ في تخصصات مختلفة^(٥).

ثانياً: الثقافة القومية:

يؤكد الواقع بانه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وانما توجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية او بتدخل ارادي من اهلها على الحفاظ على كيانه ومقوماتها الخاصة^(٦).

فالثقافات القومية لذن تشكل عناصر للتنوع والتعدد في حين ان الحضارة هي عملية اندماج التنوع والتعدد وانصهارها. ولكن هذا لا يعني ان الثقافات القومية تستشابه وتتماثل، فالثقافة القومية التي هي: السلوك المادي والعقلي والروحي الذي يبتكره شعب من الشعوب في مسيرته، يستظل التعبير عن خصوصية الشعب وعبقريته، وهي تكون كذلك بمقدار مشاركتها ومساهمتها في المسيرة الحضارية الواحدة، اما اصالة الثقافة القومية فلا تكون بتجاوزها مع ماضيها بقدر ما تكون بتفتحها على الثقافات الاخرى وتكاملها معها^(٧).

فالامة العربية مثلاً تتميز ثقافتها بانها ثقافة عربية فيها بعد تراثي وبعد راهن وبعد مستقبلي، اي ان الثقافة العربية هي تعبير عن شخصية تنمو وتتفتح وتتجدد وتبدع، والشخصية العربية هي وعي متزايد وموقف حيوي من مشكلات الامة. ومن الجدير بالذكر التأكيد على ان مفهوم "الهوية الثقافية القومية"، لايعني الغاء او القساء الهويات الوطنية والقطرية، ولا الهويات الجموعية الاثنية والطائفية، فالتعدد الثقافي في الوطن العربي واقعة اساسية لا يجوز للقفل عليها بل لابد من توظيفها بوعي في اثناء واخصاب الثقافة العربية وتوسيع مجالها الحيوي .

ان جميع الثقافات القومية لأم لها تاريخ حضاري يحكمها اتجاهان في تمييز ثقافتها: الاول: الاصالة حيث تشكل واحداً من مكونات الحضارة القومية للامم ونعني بها: محاوره الماضي من اجل الحاضر والمستقبل^(٨).

الثاني: الحدائة والتي تقوم على المشاركة والمساهمة في هذا التحول الكبير الذي تشهده الانسانية اليوم^(٩). فالحدائة اذن هي: مشروع حضاري يقوم على عدة اسس^(١٠):

(٥) عبد الاله بلغزيز: حوار مع السيد ياسين "من اجل تحليل ثقافي لطواهر العالم المعاصر" مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣١٩، ٢٠٠٥، ص ٤٧ .

(٦) محمد عابد الجابري، "عشر اطروحات"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨، ص ١٤٤ .

(٧) معن زيادة : المصدر السابق، ص ٤٧ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٥٩ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٦٧ .

أولاً: الفردية وهي: استخلاص الفرد من شبكة الجماعة التي كان غارقاً فيها في القرون الوسطى.

ثانياً: العقلانية وهي: تقوم على الاعتماد على العلم والتكنولوجيا. إن إدراك مكونات الثقافة القومية في بعدي الأصالة والحداثة ميقوننا إلى معرفة شروط التشكل الأصلي للمنظور الحضاري الذي يكمن في وحدة إبعاد الشخصية الحضارية المتمثلة في الصلة الحية بالماضي، والمعاناة الحية للحاضر، والتفاعل الحي مع روح العصر المنطلقة نحو المستقبل، حيث إن تفاعل هذه الأبعاد الثلاث، الماضي، الحاضر، المستقبل، يكون ضمن العملية الجدلية التي يتشكل من خلالها منظور حضاري أصيل وحديث، وكل خلل في هذه العملية يؤدي إلى تشكل ناقص أو مزيف ينتهي إلى جمود يعطل تسارع النهضة، أو ينتهي إلى ضياع جديد، يربط المنظور الحضاري ربطاً تبعياً بنموذج مستعار.

المبحث الثاني حوار الثقافات وثقافة العولمة

أولاً: حوار الثقافات:

بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الثنائية القطبية، وتوقف الصراع الأيديولوجي بين الشيوعية والرأسمالية، واشتعال ثورة الأنثيات والخصوصيات الثقافية، برزت الحاجة إلى فهم العالم ثقافياً. أي اعتماد (منهجية التحليل الثقافي) الذي يعده السيد ياسين: المدخل الأساسي لتحليل العالم المعاصر^(١١). فقد انتهت اليوم الانساق الفكرية المغلقة، ومسطت الثنائيات التي سادت في القرن العشرين، أما للرأسمالية أو أما الماركسية أما القطاع العام وأما القطاع الخاص. في مقابل ذلك يطرح السيد ياسين: الانساق الفكرية المفتوحة التي تعتمد على التركيب لكن الجديد فيها هو أنه سيحصل تركيب بين عناصر متضادة^(١٢).

إن تحقيق الانساق الفكرية المفتوحة يعني الوصول إلى الفكر الآخر، كما تعني إن الثقافة العالمية بحاجة إلى (حوار حضارات) على حد تعبير المفكر الفرنسي روجية غارودي، إذ يتطلب الحوار تحطيم الحدود والحوالز بين الثقافات الدينية والقومية، سعياً للوصول إلى نقاط التقائها من أجل الاسهام المشترك في حل المشكلات المعاصرة

(١١) عبد الله بالقرزلي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٠.

للإنسان^(١٣). إلا أنه لا يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي ما لم يقتنع كل طرف بأن يتعلم شيئاً من الآخر، ثم استعداده لإعادة النظر في معتقداته الخاصة^(١٤).

فالموقف يبدأ حواراً من ارادة "الاعتراف" بالآخر ومن الإيمان "بوحدة" الإنسانية لكونه قانوناً أساسياً في حياة البشر كما أنه الأساس لخلق وعي حضاري يشكل ركيزة النطلع الجديد للعالم يفتش عن حضارة جديدة .

فالحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروعاً كونياً يتسع مع صنع المستقبل ابتغاء أن يصنع الجميع مستقبل الجميع . فالتجارب الحالية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، تتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الحادي والعشرين^(١٥).

إن ما يجب أن يدركه الموقف العربي هو أن الثقافة الكونية تحتاج إلى متقنين كونيين، فالتحدي أمام "الموقف العربي" في حوار الحضارات هو في "اكتساب الكفاية المعرفية" على حد تعبير السيد ياسين^(١٦).

فهمة الموقف العربي أن يشارك في حل المشكلات الإنسانية في حوار الحضارات في عصر يسمى "عصر عولمة المشكلات الإنسانية" فليس هناك مسافة كبيرة بين المحلي والخارجي، فالفقر وزيادة السكان والتلوث مشكلات محلية وعالمية وذلك لا مناصاً من مقارنة تنمو نحو الكونية لفهم ما يجري في العالم .
ثانياً: ثقافة العولمة:

تعني "العولمة" مصطلحاً ومشروعاً في لخص ما تعنيه اتساع العلاقات المفتوحة في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فهي إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن ارادة الهيمنة على العالم وأمركته، وقد حددت وسائلها لتحقيق ذلك في استعمال "السوق العالمية" أداة للاخلال بالتوازن في الدول القومية في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية، وذلك في اعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لاحتد التغيرات المطلوبة. على الصعيدين المحلي والعالمي وكانما يراد من العولمة "رسمة العالم غير للرسمالي"^(١٧). والعولمة كما يراها الكثيرون "سيرورة" استثنائية تتحرك تجاه مجتمع كوني شامل يفرض هيمنة المذهب المادي في الفكر

(١٣) روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة سليم العوا، ط٢، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٧.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(١٥) روجيه غارودي: الأصوليات المعاصرة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار العين، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢١١.

(١٦) عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص ٤٧.

(١٧) محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٥١.

العربي الحديث، حيث تدعم هذا التوجه وتترافق معه "صنغ ثقافية وتكنولوجية" و"أسواق استهلاكية" تبنيها هذه "لرأسمالية المعولمة" والتي من بين أهدافها في مستوى الثقافي تخصيصها ؟ ظهور ثقافة كونية "أحادية" تقوم عبر التفتيت باشاعة ما يطلق عليه، في مثل هذا المجال "الفوضى والتحكم" وهي من أبرز ما يشيعه "النظام العالمي الجديد"، الذي يواصل حركة البلوغ غاياته عبر أربعة محاور^(١٨):

الأول: هو محور الثقافة باكسابها طابعا ليديولوجيا يستمد مقوماته من "ثقافة عالمية أحادية شاملة تشهدا في قطاعات الاستهلاك وفي النزعة الليبرالية، وفي تداول اللغة الانجليزية، والهدف منها هو تحويل الكثير من القيم المحلية والتقاليد المتوارثة التي تحكم حضارات اجتماعية مهمة عن مسارها.

الثاني هو: المحور الاقتصادي الذي يعد المحرك الاساس لهذا "النظام".

الثالث هو: القوة العسكرية التي تشكل عنصرا فعلا لتحقيق ذلك وفرضه "نظاما" الرابع هو: المحور السياسي الذي يأتي محصلة لهذا كله، ويضمن تحقيق التفاعلات المتبادلة بين هذا الواقع بمعطياته والفكرة الاساسية للنظام العالمي الجديد.

ان ما يهمننا في هذا كله هو تعيين الفضاء للمجتمعي-الانساني الذي تتحرك فيه "ثقافة العولمة" والاثار الذي يمكن ان يكون في تجمع مجتمعنا العربي. فالمهمة الموكلة للثقافة-بحسب للمنطق للرأسمالي العولمي-هي: السيطرة على العقول باشاعة انماط ثقافية-حياتية جديدة سطحية المكونات والابعاد واتخاذها اساساً لكل عمل ثقافي^(١٩).

ان العولمة في هذا الاتجاه أصبحت تحمل في طياتها نوعاً آخر من الغزو الثقافي، أي من قهر الثقافة الأخرى لثقافة الضعف منها. لان العولمة الثقافية لاتعني مجرد صراع الحضارات او ترابط الثقافات، بل انها توصي ايضاً باحتمال نشر الثقافة الاستهلاكية والشبابية عالمياً^(٢٠).

ومع اننا نؤمن "بالعالمية" كونها تشكل اغناء للهوية الثقافية، الا اننا لنا موقف تجاه "العولمة" عندما تكون لخرقا لها وتمييعاً فالاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة هو الغاء الصراع الايديولوجي والحلول محله، الصراع الايديولوجي صراع حول تأويل الحاضر وتفسير الماضي والتسريع للمستقبل الاختراق الثقافي ليستهدف الاداة التي يتم ذلك التأويل والتفسير والتسريع يستهدف العقل والنفس^(٢١).

(١٨) ماجد السامرائي، "تساؤلات عن الدور التاريخي للمثقفين العرب"، مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب، العدد ٢٠، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٧٨.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢٠) جلال امين "العولمة والدولة"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٨، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٤.

(٢١) محمد عبد الجباري "عشر اطروحات"، المصدر السابق، ص ١٧.

لقد أدى الاختلاف في المواقف تجاه ظاهرة العولمة إلى تباين اتجاهات التعامل معها، فهناك اتجاهات رافضة بالكامل، وهناك اتجاهات تقبل العولمة من دون تحفظات، كما أن هناك اتجاهات نقدية تحاول فهم القوانين الحاكمة للعولمة، وهو الاتجاه الصحيح. لذا فإن مواجهة "العولمة" أخذت عند البعض حالة الانغلاق على الذات، أو تمثلت في رفض الحداثة فكرة وأفكاراً وعند البعض الآخر كانت المواجهة قائمة على منطق الحداثة. إن الانغلاق على الذات هو الموقف الأيسر اختراقاً للاستراتيجية الرأسمالية الجديدة لواقع المجتمعات غير العربية التي واجهت العولمة برد فعل سلبي، ففي حين مثلت الحداثة انقلاباً فكرياً جوهرياً في الواقع الإنساني، وخصوصاً ما تمثل في رؤيتها الأساسية التي تركز على أن الإنسان وبالتالي المجتمع هو المسؤول عن مصيره، وأن الإنسان صانع تاريخه، فإذا ما تمثلنا هذين الشرطين للحداثة في مواجهة العولمة، فإننا بلاشك سنتحرك بقوة ذاتية قادرة على أن تجعل للأشياء معناها، ونكون قد شاركنا فعلياً في مستوى الإبداع العربي في تطوير مفهوم الحداثة واغناء معناها^(٢٧).

إن مهمة الموقف العربي هي في الإجابة على أسئلة تخص طبيعة العلاقة بالمشروع الرأسمالي الغربي ككل ويمراحلته المختلفة وآخرها العولمة^(٢٨)؛
فالسؤال الأول: ينصب على الكيفية التي تجعل بها هذا (التعامل الفعال مع التاريخ) سبيلاً للتحرر: تحررنا نحن من أشكال الاستلاب كافة .

والسؤال الثاني هو: كيف نخلق الشروط الملائمة لهذا التفاعل في واقع عالمي-عالمي تهيم عليه "قطبية واحدة" .

والسؤال الثالث: كيف/ومن أين السبيل إلى تطوير القيم الإنسانية، بما فيها القيم الثقافية، لتجعل من الثقافة والفكر، ببعديها الإنساني، قوة تاريخية لخير الإنسانية

إن الواقع العربي بأحداثياته والتوقعات المستقبلية له يطرح على الموقف العربي^(٢٩)؛
١. قضية ثقافية التي هي "ثقافة تاريخية" حيث يطالبه بالانخراط في الحركة التاريخية الحاضرة لمناهضة العولمة، والتي يخرط فيها مثقفون كبار من العالم كله يومهم عدد من كبار المثقفين العرب اللذين يتعاملون مع هذا "المعطى العالمي" بكل ما يتطلبه للتعامل مع فكرة جديدة تنفي المجتمع الإنساني مستقبلاً ومصيراً.

(٢٧) ماجد السامرائي، المصدر السابق، ص ٨٠ .

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨١ .

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٨٢ .

٢. انه لأول مرة يتزامن فيها المتقف العربي فكرا وتفكيراً واهتماماً، مع المتقف في إنحاء أخرى من العالم، أسهاماً في الحوار الدائر حول قضية يرى فيها الجميع قضية الحاضر والمستقبل: العولمة ومستقبل الإنسانية، إذ يطلق المتقف العربي في إسهامه هذا من شروطه القومية، الثقافية والحضارية-التاريخية.
٣. ان يتقدم المتقف العربي الى واقع، كما الى نفسه من خلال عمله-توره الثقافي في مجتمعه بمقترحات في مستويين: مستوى قراءة العولمة بمستوى مواجهة العولمة، وهما أمران مهمان يرسمان ويؤكدان إبعاد الاستراتيجية الثقافية لهذا المتقف. ومع ان العديد من المتقفين العرب يؤكدون اليوم على أهمية التمسك بالثقافة القومية ويشددون على تكريس فكرة الأمة في مالها من وجود ثقافي وتاريخي حضاري، فان المحافظة على الشخصية العربية وتحسينها من هذه التأثيرات العولمية لا بد ان تكون نقطة الانطلاق لها في خلق المناعة الثقافية وتكوين الحس النقدي، جنباً الى جنب مع الانفتاح الثقافي الاصيل المرتكز الى وعي يستمد من التراث القومي في الماضي ومن المجابهة الدائمة للتحديات الراهنة مادة لبناء ثقافة معبرة عن شخصية الأمة، وجعل هذه الشخصية بمستوى القدرة على تحقيق تحول تاريخي في حياة الإنسانية.

التنافس الدولي في آسيا الوسطى (أوزبكستان نموذجاً)

الاستاذ المساعد الدكتور

مظفر نذير الطالب (*)

تمهيد:

أخذ التنافس الدولي في آسيا الوسطى يظهر بوضوح في العقد الأخير في القرن الماضي لأسباب عديدة سنتحدث عنها لاحقاً، واحتلت دول المنطقة مكانه أساسية في إستراتيجية العديد من القوى الدولية التي حاولت أن تتواجد فيها بكثافة وبأساليب مختلفة منها: زيادة للتواجد السياسي والحضور الدبلوماسي والتغلغل الاقتصادي، وأيضاً السعي إلى زيادة التواجد العسكري سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه في نهاية عام ١٩٩١.

فقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقاً من سعيها لأن تصبح القطب الأوحيد في العالم وبلا منازع، إن الفرصة قد منحت لها لتحجيم الدور الروسي في هذه المنطقة الحيوية سيما بعد أحداث الحادي عشر في سبتمبر ٢٠٠١، وبعد الحرب في أفغانستان حينما تمكنت من نشر قوات عسكرية ضخمة في المنطقة، والتي كان قد سبقها وجود نفوذ أمريكي واضح ومحاولات للتغلغل وإقامة علاقات متطورة مع العديد من دول آسيا الوسطى وبغض النظر عن السياسة الداخلية المتبعة من قبل تلك الدول إزاء شعوبها في الداخل.

في مقابل ذلك، لم تستطع روسيا أن تقف مكتوفة الأيدي في منطقة مهمة جداً لها لما تمثله من أهمية سياسية وأمنية واقتصادية. وهو ما دفعها لتأكيد حضورها فيها وبدعاوى مختلفة يأتي في مقدمتها المصالح المشتركة والإرث التاريخي الضخم وغيره.

أما الصين الشعبية، فلا يمكن إهمال دورها أيضاً لما تشكله المنطقة من أهمية بالنسبة لها إن على الصعيد السياسي أو الاقتصادي وفي ظل وجود تنافس صيني-أمريكي في المنطقة عموماً سيما وإن للصين تترك جيداً أن الوجود الأمريكي في المنطقة إنما يستهدف من ضمن ما يستهدفه، تطويقها، والحيلولة دون تغلغلها سياسياً واقتصادياً فيها.

(*) مركز دراسات وبحوث الوطن العربي - الجامعة المستنصرية

ولم يقتصر التنافس الدولي في آسيا الوسطى على الدول الكبرى المعروفه فحسب، وإنما أمتد ليشمل الكثير من الدول الإقليمية التي لها مصالح واضحة في المنطقة أيضاً والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

إن ما نقدم ، جعل منطقة آسيا الوسطى وما يجاورها تعيش في حالة تفاعلات وأنماط يمكن أن نقول عنها معقدة في العلاقات الدولية. وهو ما يشجع على القول- حقيقة- أن المنطقة مرشحة لأن تشهد في المستقبل المنظور حالة من التنافس أكثر عما شهدته سابقاً، أو حتى حالة من الصراع إن لم يكن مباشر بين القوى الكبرى ، فإنه سيكون صراع بالإنابة. وهو ما يحصل الآن.

بعبارة أخرى، ستبقى منطقة آسيا الوسطى محور التنافس الدولي مستقبلاً، فبالإضافة إلى وجود الأطماع الدولية فيها والتي تجعلها ميداناً للتنافس، هناك أيضاً العديد من الحقائق والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً، التي تدفع بهذا الاتجاه من ناحية، وتجعل المنطقة لأن تكون كذلك من ناحية أخرى، وهو ما سنحاول توضيحه في الصفحات اللاحقة من خلال الحديث عن أهميتها أولاً، وكذلك من خلال الحديث عن أهم القوى الدولية والإقليمية المتنافسة فيها ثانياً.

١- أهمية المنطقة وموقعها في التنافس الدولي:

تطلق تسمية آسيا الوسطى على المنطقة المتاخمة لروسيا من الجنوب والممتدة من بحر قزوين شرقاً إلى الصين وهي تتوزع حالياً على خمس جمهوريات.

وتتبع أهمية المنطقة من جملة حقائق نذكر منها:

- (١) إن أغلب دول آسيا الوسطى تقع على بحر قزوين. فمذ بداية القرن العشرين تقريباً وحتى أوائل التسعينيات منه كانت تطل على بحر قزوين دولتان فقط هما: الاتحاد السوفيتي من الشرق، والشمال، والغرب. وإيران من الجنوب. بيد أن تفكك الاتحاد السوفيتي (١٩٩١/١٢/٢٩). أتاح إمكانية ظهور أربع دول سابقة على بحر قزوين. فبالإضافة إلى روسيا الآن، هناك كازاخستان التي تطل على بقية الساحل الشمالي والركن الشمالي الشرقي لقزوين، وتركمانستان وتحتل الساحل الشرقي للبحر وأذربيجان وتحتل الشطر الجنوبي من الساحل الغربي للبحر، وإيران التي تحتل الساحل الجنوبي^(١). أما أوزبكستان فهي قرية أيضاً بحكم مجاورتها لكل من كازاخستان وتركمانستان.

(١) محمد فرج أبو النور ، داخستان ، الصراع على نطق بحر قزوين ، صحيفة البيان الاماراتية ١٩٩٩/٨/٢١ ص٧

(٢) رغم أن بحر قزوين مسطح مائي مغلق إلا أن أهميته لا يمكن إغفالها، فهو يقع في شمال غرب آسيا، ومحصور بين لأذربيجان، وإيران، وكازاخستان، وتركمانستان، وروسيا.

(٣) إن مما يزيد من أهمية المنطقة عموماً هو وجود البترول فيها إضافة إلى وجود الاحتياطات الهائلة في الكثير من دول المنطقة. في لأذربيجان يقدر المخزون النفطي على سبيل المثال بـ (١٧) مليار برميل، أما للمحتمل أو شبه المؤكد فيقدر بـ (٢٠-٣٠) مليار برميل.

أما كازاخستان فيبلغ المخزون المؤكد فيها بنحو (١٥) مليار برميل، إضافة إلى ما يقرب من (٢ تريليون) قدم مكعب من الغاز وهي بلاد شاسعة عكس لأذربيجان^(٢). وعموماً يقدر الاحتياطي للبترول في المنطقة ما بين (٢٠٠-٢٣٠) مليار برميل. بينما تقدر كمية الغاز الموجود فيها بين (٢٣٠-٣٥٠) تريليون م^٣.

وأياً كانت صحة التقديرات وما يرافقها أحياناً من أغراض سياسية فقد بات من المؤكد أن وجود المنطقة في الساحة النفطية ضاعف من تعقيدات الخريطة الإستراتيجية العالمية ليس فقط بسبب تزايد الطلب على البترول وإنما أيضاً لكون الدول البترولية المستقلة حديثاً في منطقة بحر قزوين هي على العموم دول متخلفة ولا تملك الأموال والتكنولوجيا المتطورة جداً واللازمة لاستخراجه واستغلاله بالشكل الأمثل، وكذلك تسويقه وفق خططها أو ما تملّيه عليه مصالحها الوطنية^(٤)، مما يتيح من إمكانية التدخل بشكل أو بآخر، هذا من ناحية. أما من الناحية الأخرى فقد أضحت التنافس على هذه المنطقة واضحاً لاسيما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وذلك من خلال سعي قوى الكبرى إلى إقامة تحالفات مع بعض الدول الموجودة في المنطقة أو تلك المطلّة على بحر قزوين، وأيضاً من خلال سعي تلك القوى إلى مد أنابيب البترول والغاز فيها.

(٤) إن مما يزيد الأمور تعقيداً في هذه المنطقة هو أن التنافس لا يقتصر على القوى الكبرى فقط، وإنما هناك العديد من القوى الإقليمية التي لها مصالح أيضاً وهو أمر طبيعي بالنسبة لها. فبالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وأوروبا، وروسيا باعتبارها من الدول الرئيسية المعنية بحكم موقعها، هناك

(٢) موقع الكتروني: <http://science.arabhs.com>

(٣) نفسه، أنظر كذلك: دارسه حول نفط بحر قزوين، منشورات مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية، صحيفة غسان، العدد ٨٧٦٥ : ٢٠٠٥/٦/١، ص ٢٤.

(٤) موقع الكتروني: <http://science.arabhs.com>

أيضا إيران، تركيا، هذا بالإضافة إلى الدول المحيطة بالبحر ذاتها أو القريبة منه.

(٥) إن إمكانية التدخل في المنطقة تبدو متاحة أو متيسرة لسبب مهم جداً يعود إلى وجود خلاقات واسعة حول أسلوب اقتسام ثروات بحر قزوين والتي لا يمكن تجاوزها بسهولة مما يدفع للقول بأن المنطقة يمكن أن تكون مرشحة لصراعات مستقبلية بغض النظر عن التنافس الموجود عليها حالياً. ولناخذ بعض الأمثلة باختصار.

الجزء المواجه لأذربيجان هو الأغنى بثرواته البترولية ، لذلك تتبنى باكو طريقة تقسيم قزوين على أساس أنه بحر مفتوح بحيث تكون لكل دولة مياهها الإقليمية التي تتمتع بسيادة مطلقة عليها، (١٢) ميلاً بحرياً وفق القانون الدولي، وتتلو ذلك منطقة اقتصادية تمتد حتى (٢٠٠) ميل بحري يحق للدولة استغلالها دون ادعاء بحق السيادة المطلقة عليها^(٥).

روسيا وإيران تطالبان بأن تكون لكل دولة من الدول الخمس مياه إقليمية تصل إلى (٢٠) ميل في شواطئها.

وإن تظل منطقة وسط البحر التي تبعد (٤٠) ميلاً عن الشواطئ ملكاً لجميع هذه الدول وإن تتم إدارتها بشكل مشترك. وهذا الاقتراح يتيح لهما الحصول على كميات كبيرة من البترول في المناطق المحاذية لشواطئهما^(٦). من ناحية أخرى، ترى روسيا أن تقسيم بحر قزوين بكامله بين الدول الخمس سيؤدي إلى عواقب جسيمة حيث يرى الخبراء الروس ضرورة أن تبقى أكبر مساحة في البحر موضع استغلال مشترك بين الدول المعنية كما يدعون إلى ضرورة أن يتم التعامل مع مسائل الثروة السمكية و الملاحية بصورة جماعية^(٧). وكانت روسيا وأذربيجان وكازاخستان قد وقعت اتفاقاً في تشرين الأول ٢٠٠٥ لتحديد مناطق استثمار الثروات الطبيعية في شمال بحر قزوين لا يتيح بأن يخضع ما يكمن في قاع البحر للسيادة الروسية أو الكازاخية أو الأذربيجانية، أما في جنوب البحر فإن هذه الدول لم تتوصل بعد إلى اتفاق حول الصفة القانونية للبحر وحصّة كل طرف منه^(٨).

(٥) د.محمد فرج أبو النور ، سبق ذكره ، ص٧

(٦) فاتح حسن، محاولة جديدة لتحديد الصفة القانونية لبحر قزوين ، صحيفة عمان، العدد ٨٩٠٠ ،

٢٠٠٥/١٠/١٤ ، ص٧

(٧) نفسه، ص٧

(٨) نفسه، ص٧

(٦) أهمية هذه المنطقة تتبع أيضاً من كونها تعتبر بمثابة البطن الرخوة لروسيا، وهي تشكل مع دول القوقاز المتاخمة لها خاصرة روسيا الجنوبية، وهما معا- آسيا الوسطى والقوقاز-حيطان ببحر قزوين. وما يضاعف من تلك الأهمية هو أن تسمية القوقاز تطلق عادة على المنطقة الواقعة بين بحر قزوين في الشرق والبحر الأسود في الغرب^(٩). وفي الوقت الذي تسيطر فيه روسيا على الجزء الشمالي من القوقاز، فإن الجزء الجنوبي تحتله ثلاث دول، هي أذربيجان في الشرق، وأرمينيا في الوسط، وجورجيا في الغرب على الساحل الشرقي للبحر الأسود^(١٠). وهذه الأسباب أكثر من كافية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لأن تضع للمنطقة في حساباتها هذا فضلاً عما تشكله من أهمية معروفة لروسيا، نظراً لما يشكله التواجد الغربي من خطر عليها. وبالتالي فإن التنافس الدولي على هذه المنطقة يجعلها محور لعبة كبرى مستمرة تشارك فيها مجموعة من القوى العالمية والإقليمية التي تتنافس من أجل السيطرة على المنطقة عموماً^(١١).

(٧) إن دول المنطقة تعاني من مشكلات داخلية كثيرة كانتشار الفقر والبطالة رغم توفر الثروات في العديد منها. هذا بالإضافة إلى وجود الكثير من الحركات الإسلامية التي بدأت تنهض بقوة بعد استقلال دول آسيا الوسطى وخرجها من الفلك السوفييتي. وهو ما أثار قلق الكثير من الدول الكبرى، وزاد من إمكانية التدخل في شؤونها تحت دعاوى مختلفة يأتي في مقدمتها ((مكافحة الإرهاب))، أو القضاء على الأخطار التي تهدد المنطقة أو غيرها. وهو ما سنشير إليه لاحقاً.

(٨) تتميز دول المنطقة بوجود تركيبه قومية متداخلة فيها كما هو الحال مثلاً الأوزبك والطاجيك اللذين ينتشرون في غالبية دول المنطقة، وهو الأمر الذي يثير بعض المشاكل الأمنية ويجعل المنطقة مرشحة لتجسير الصراعات فيها هذا في ذات الوقت الذي يجعلها أيضاً عرضة للتدخل.

أضف لذلك إن الكثير من دول آسيا الوسطى غير قادرة على البث في قضايا النظام السياسي، والمذهب الاقتصادي، حيث سيطرة فكر الحزب

(٩) د.محمد فرج أبو النور، سبق ذكره، ص ٨

(١٠) نفسه، ص ٧

(١١) د.محمد نقيب، اللعبة الكبرى في آسيا الوسطى تتواصل، صحيفة الرياض السعودية ٢٠٠٣/١٠/٩، ص ٩.

الواحد، والاقتصاد الحكومي المركزي^(١٢)، وهو ما يصطدم مع قوى التغيير في الداخل من جهة ويجعل المنطقة عرضة لتدخلات خارجية وخاصة الغربية منها من جهة أخرى. وهو ما حصل في بعض دول المنطقة كما منوضح لاحقاً من خلال الحديث عن أوزبكستان التي وقع اختيارنا عليها في هذه الدراسة.

٢- أهمية أوزبكستان في التنافس الدولي :

شغلت أوزبكستان مكانه مهمة في التنافس الدولي عبر السنوات الماضية لاسيما بعد الحرب في أفغانستان.

حيث احتلت هذه الدولة أهمية إستراتيجية في أجنده مخططي ومنفذي السياسة الخارجية الأمريكية خاصة وإنها-أوزبكستان-مثلت الحليف الأقرب للولايات المتحدة كما سيتضح لاحقاً، وهو الأمر الذي طالما أثار قلق كل من روسيا من ناحية، والصين من ناحية أخرى، للثتان سعنا إلى الوقوف بوجه النفوذ الأمريكي في المنطقة لما يشكله من خطر عليهما. أن أهمية أوزبكستان في التنافس الدولي تنأت من جملة الحقائق يمكن الإشارة إلى البعض منها باختصار شديد:

(١) أنها تقع في قلب آسيا الوسطى، وعاصمتها طشقند من أكبر مدن المنطقة يعيش فيها ما يقرب من ((٢,١٠٠,٠٠٠)) مليون نسمة، تحدها كازاخستان من الشمال الغربي، وتركمانستان من الغرب والجنوب الغربي، وأفغانستان من الجنوب، وطاجيكستان من الجنوب الشرقي وقرغيزستان من الشرق^(١٣). ويعني هذا أن كل دول آسيا الوسطى تلتف حولها. ولذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن تحتل أوزبكستان مكانة مهمة وأن تحظى بأهمية مضاعفة ليس فقط بالنسبة للقوى.

(٢) أنها تتحكم ببحر أورال مع كازاخستان^(١٤)، وتقع بين نهرين يعتبران من أهم الأنهار في المنطقة هما نهر ((سيروالديا)) أو ((سيحون)) كما تسمية كتب التراث العربي، و((امو داري)) أو ((جيحون))^(١٥).

(١٢) د. جعفر عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي، مجلة الفكر الجديد، العدد (٥)، السنة الثانية، آذار ١٩٩٣، ص ٢٤.

(١٣) عبد الناصر محمد، أوزبكستان وصفحات بين العنقبة والإسلامية، مجلة الجندي المسلم، العدد ١١٢، ٢٠٠٤/٨/١، ص ٤٥.

(١٤) مصطفى الطحان، جمهورية أوزبكستان الاتحادية، مواقع الكتروني: www.awaifo.net.

(١٥) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٣) التركيبة السكانية فيها تركيبة معقدة، وهذه التركيبة لاشك وإنها تؤثر على السياسة الأوزبكية على الصعيد الإقليمي من ناحية، وتجعلها محط اهتمام القوى الدولية التي لها مصالح في المنطقة من ناحية أخرى.

فعدد سكانها يبلغ ما يقرب من (٢٥) مليون نسمة، وهو الأكثر مقارنة بدول آسيا الوسطى المجاورة لها. يشكل المسلمون فيها نسبة (٨٨-٩٠%) ويتوزع السكان فيها على (٢٢) قومية يشكل الأوزبك أغلبهم (٧١%)، ثم الروس (٩%)^(١٦)، ويشكل الطاجيك (٤,٧%) والتتار (٣,٣١%)، والقوارق (٤,١%)^(١٧). والمهم أيضا هو أن لأوزبكستان امتدادات عرقية خارج حدودها. فالأوزبك يشكلون (٢٥%) من سكان طاجيكستان المجاورة، و(١٤%) من سكان قرغيزستان، و(١٠%) من سكان تركمانستان، و(٢,٥%) من سكان كازاخستان، وحوالي (١١%) من سكان أفغانستان^(١٨). أن وجود الأوزبك يمتد إلى كل الدول المحيطة بها من أفغانستان إلى حدود الصين، وهناك من يشير إلى أن عددهم يصل إلى ما يقارب من النصف من عدد شعوب المنطقة مجتمعة مما يجعل هذه الدولة تمثل الموقع الديمغرافي الأثني الأول في آسيا الوسطى^(١٩).

(٤) في أوزبكستان يوجد كميات كبيرة من البترول والغاز إضافة إلى كميات من خامات الفحم والنحاس والحديد والقطن، وهي الأولى في إنتاج القطن بالنسبة لدول المنطقة، وتأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة، كما يوجد فيها قطاع صناعي ضخم يشمل الصناعات الثقيلة وصناعات الحديد الصلب، والجرارات الزراعية وغيرها، إضافة إلى الصناعات الكيماوية^(٢٠). وإضافة لما ذكر في أعلاه، تعد أوزبكستان الدولة الرابعة في مخزون الذهب، والمابعة في استخراجه على مستوى العالم، كما أنها تمثل المرتبة الرابعة في استخراج اليورانيوم وتطويره^(٢١). وقد ساعد ذلك إضافة إلى الموقع لأن تكون أوزبكستان ميدان للتنافس الدولي، والذي ساعد على وجودة النظام الأوزبكي انطلاقا من اعتقاده إن أوزبكستان يمكن أن تلعب في ضوء الحقائق في أعلاه،

(١٦) ملحد عبد الله، انخراط كامل في الحظ الأمريكي، أوزبكستان، إمبراطورية كريموف العظمى.

موقع الكتروني: www.Intiqad.com

(١٧) عبدا لناصر محمد، سبق ذكره، ص ٤٤

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) مصطفى الطحطن، سبق ذكره.

(٢٠) نفسه.

(٢١) عبدا لناصر محمد، سبق ذكره، ص ٤٥

دوراً اقتصادياً مهماً في المنطقة من خلال الاعتماد على الغرب في هذا المجال وفتح الباب للاستثمار الأجنبي وتلقي المساعدات وغيرها.

(٥) يبدو أن المشهد السياسي في أوزبكستان معقد للغاية، فالحياة السياسية في أوزبكستان يسيطر عليها الحزب الديمقراطي (الشيوعي) سابقاً، وهو الحزب الحاكم ويقوده الرئيس الحالي ((إسلام كريموف)) الذي يسعى إلى تبني النموذج العلماني والذي يقف بشدة ضد تنامي الحركة الإسلامية الناهضة فيها ويزداد المشهد تعقيداً مع وجود الكثير من الأحزاب وغالبيتها محظورة. مثل حزب الجماعة الإسلامية الأوزبكية الذي يخضع لمراقبة شديدة من قبل الحكومة، ويعارض الشيوعية بقوة، ويتنهج النهج السلفي، وحزب ((أرك)) الحرية، وهو منافس قوي للحزب الديمقراطي، وحزب التحرير الإسلامي المحظور الذي يحظى بشعبية كبيرة ويعمل على إقامة دولة الخلافة، وحزب النهضة الإصلاحية^(٢٢).

وإزاء هذا الواقع فقد وجد كريموف أن التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية سيحقق له بعض طموحاته سيما تلك المتعلقة بتثبيت سلطته، والقضاء على الحركات الإصلاحية والتي غالباً ما كانت تنطلق من أفغانستان للقيام بعمليات مسلحة في الأراضي الأوزبكية. وهو الأمر الذي دفع كريموف أيضاً إلى تحديد نوع السياسة التي ينبغي إتباعها والتي حددها في كتابته ((أوزبكستان على طريق تعميق الإصلاحات الاقتصادية ١٩٩٦)) وفيه لحض الهدف النهائي لأوزبكستان "في بناء دولة قانون، وديمقراطية، ومجتمع علماني، وسياسة خارجية متفتحة"^(٢٣) بيد أن الكثير من ذلك لم يتحقق بسبب فرض سيطرة الدولة على الحياة السياسية والاقتصادية، وعدم القدرة على تأمين مستلزمات التطور الداخلي، وكذلك عدم القدرة على تلبية متطلبات الضغوط الخارجية المتمثلة في فرض الإصلاح، وتعزيز الممارسة الديمقراطية لاسيما في الأونه الأخيرة وهو الأمر الذي ساعد ضمن أسباب أخرى على تردي العلاقات بين طشقند وواشنطن وجعل المنطقة تشهد تحركات ملحوظة من قبل القوى الدولية التي لها مصالح في المنطقة كما سيتضح لاحقاً.

(٦) لعبت أوزبكستان دوراً مهماً وربما متميزاً في منطقة آسيا الوسطى عموماً وهو ما سنشير إليه لاحقاً. وزادت أهمية هذا الدور بعد الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة ضد أفغانستان كما أسلفنا، وفي حينها قدمت أوزبكستان قواعد

(٢٢) نفسه ص ٤٥، كذلك حسن الحسن، أفاق الصراع السياسي في أوزبكستان وآسيا الوسطى، ١١٦/

١٥ / ٢٠٠٥، موقع الكتروني: www.alokab.com

(٢٣) ملحد عبد الله، سبق ذكره.

ومجالات جوية لقوات التحالف. ففي مدينة ((تيرميز)) على الحدود الجنوبية تم نشر (٢٠٠) جندي ألماني، إضافة إلى المئات من الجنود الأمريكيان في قاعدة (كارشي-كي ٢) (خان آباد). هذه التطورات وجدت صداها لدى القوى الأخرى، كروسيا والصين على سبيل المثال والتي لم تكن ترغب في رؤية وجود قواعد عسكرية في مناطق مجاورة لهما وهو أمر طبيعي في ظل التنافس الموجود في هذه المنطقة.

وإذا كان الرئيس كرىموف قد ظل وإلى وقت طويل نوعاً ما حليفاً للغرب، وإذا كانت سياسته قد أثارت مخاوف العديد من القوى الدولية وجعلت المنطقة تعيش أوضاعاً غير مستقرة، إلا أن الأمور ما لبثت وأن تغيرت في الآونة الأخيرة بعد ما شعر كرىموف بوجود مساعي أمريكية لممارسة المزيد من التدخل في الشؤون الداخلية وحتى مساعي لتغيير النظام في أوزبكستان، مما دفعه للطلب من جميع القوات الأمريكية بمغادرة البلاد. وهو الأمر الذي كان مفاجئاً للعديد من المراقبين والمهتمين في الشؤون الدولية كما أنه أثار العديد من التساؤلات حول الأسباب الحقيقية وراء ذلك، وما يمكن أن تعكسه تلك التطورات على التنافس الدولي في المنطقة عموماً وفي أوزبكستان خصوصاً وهو ما سنحاول توضيحه لاحقاً.

٣- التحرك الروسي في آسيا الوسطى :

بعد حكم مستبد دام طويلاً، فقدت روسيا ذلك المجال الحيوي الذي أحاطت به نفسها طيلة الحقبة السوفيتية لاسيما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١. ولأجل تأكيد حضورها في الدول التي استقلت عنها ومن ضمنها دول آسيا الوسطى من ناحية، والمحافظة على نفوذها في تلك الدول عموماً من ناحية أخرى. وفي ظل اشتداد حدة التنافس الدولي في المنطقة، فقد سارعت روسيا إلى القيام ببعض الخطوات المهمة لتأكيد ذلك الحضور وللحيلولة دون تغلغل النفوذ الأمريكي والغربي عموماً ومنها:

(١) العمل من خلال رابطة الدول المستقلة وتنشيط دورها.

(٢) تفعيل منظمة شنغهاي.

(٣) تعزيز التعاون المشترك مع الصين.

٣- ١ : العمل من خلال رابطة الدول المستقلة :

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي سارعت (١٥) جمهورية سابقة إلى إعلان استقلالها وبعد تشكيل ما يسمى (بالفيدرالية الروسية) شكلت روسيا بعدها ما يعرف بـ (رابطة الدول المستقلة) التي ضمت (١٢) دولة. (روسيا، أوكرانيا، بيلاروسيا، أرمينيا، جورجيا، أذربيجان، كازاخستان، أوزبكستان، تركمانستان، قرغيزيا، طاجيكستان، مولدا فيا).

كانت روسيا على ما يبدو، تعتقد إن إنشاء تلك الرابطة سيمكنها من تحقيق أهدافها تلك، ويجعلها تتبوأ الموقع الذي ترغب في احتلاله، وهو ممارسة دور المهيمن، خاصة وإن هناك الكثير من المصالح المشتركة أولاً، ومع وجود الكثير من الحقائق الجغرافية والاقتصادية والسكانية المعروفة والتي لا يتسع المجال لذكرها ثانياً. بيد أن الملاحظ أن روسيا، لم تتمكن -على الأقل في البداية- من بلوغ أهدافها وخاصة إذا ما علمنا بأن العديد من دول الرابطة ومنها بعض دول آسيا الوسطى أبدت رغبتها في التوجه نحو الغرب. وهو ما حصل لاحقاً. الأمر الذي أضعف من الدور الروسي فيها، وفي موقعها في دول الرابطة عموماً، وحتى إلى توجيه الكثير من الانتقادات إلى السياسة الروسية في تعاملها مع الدول المعنية ومنها^(٢٤):

- ١- أن روسيا لم يكن بمقدورها تأمين ما يتطلبه تطوير تلك الدول ومساعدتها، مما دفع البعض منها في آسيا الوسطى وغيرها، إلى اللجوء للغرب والبحث عن المساعدات سيما وإن خروجها من الفلك السوفيتي واستقلالها لاحقاً تزامن مع وجود مشاكل كثيرة عانت منها تلك الدول.
- ٢- إن روسيا لم تكن جادة أو متحمسة لفكرة الكومنولث وهو ما عبرت عنه بعض دول الرابطة من خلال إدعائها بأن روسيا لم تخفي سعيها إلى تجزئة الدول المستقلة حديثاً. فهي -على سبيل المثال- دعت لاستقلال (أبخازيا) عن جورجيا، وإقليم (ترانديستان) عن مولدا فيا، إضافة إلى أنها وقفت إلى جانب أرمينيا ضد أذربيجان في صراعها على (ناغورني كاراباخ). والاهم إن كازاخستان عمنت إلى نقل عاصمتها من جنوب البلاد إلى شمالها خوفاً من وجود تطلعات روسية لسلخ الشمال حيث الغالبية الروسية وتركز الثروة هناك^(٢٥).
- ٣- إخفاق روسيا في معالجة المعضلات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، التي تعاني منها الكثير من دول الرابطة^(٢٦). الأمر الذي لو جد بيئة ملائمة لتقبل دخول الولايات المتحدة في آسيا الوسطى والقوقاز وهو ما تحقق بسهولة سيما بعد الحرب في أفغانستان^(٢٧).
- ٤- رغم أن روسيا كانت مدركة لمواطن الضعف والخلل في دول الرابطة، ورغم أنها تقدمت بالعديد من المبادرات بغية تنظيم وتعزيز التعاون الاقتصادي

(٢٤) د. هادي شادي، مستقبل رابطة الدول المستقلة، صحيفة الوطن العمانية، العدد ٧٩٣٣.

(٢٥) ٢٠٠٥/٤/١، ص ٧.

(٢٦) موقع الكرونو: <http://science.arabhs.com>

(٢٧) إيرول كرابل، المشاكل القومية في القفلس، موقع الكرونو: www.kafkas.org.tr

(٢٧) فاتح حسن، جورجيا وحلفاتها، نحو إقامة محور منلوئ لروسيا، صحيفة عمان، العدد ٨٩٤٩،

٢٠٠٥/١٢/٢، ص ١٨.

-٥-

والسياسي والعسكري بين الجمهوريات السابقة، إلا أن جهودها تلك لم تكلل بالنجاح الذي يصل إلى مستوى طموحها.

إضافة لما سبق، فإن هناك الكثير من المؤشرات التي توحي بأن العديد من دول الرابطة كانت تحبذ إتباع سياسات بعيدة عن موسكو، وعن وجود رغبة في تشكيل محور يهدف إلى الحيلولة دون خضوع بعض دول الرابطة للنفوذ الروسي. وهو ما عبرت عنه جورجيا-على سبيل المثال-في الفترة الأخيرة (تشرين الثاني-٢٠٠٥) سيما بعد أن اتهمت روسيا الرئيس الجورجي (ميخائيل ساكاشفيلي) بالعمل على تضيق النفوذ الروسي في القوقاز. وتحذرت بعض المصادر الصحفية عن أن المحور سيضم بالإضافة إلى جورجيا وأوكرانيا كلا من مولدا فيا ودول البلطيق الثلاث سيما وإن هذه الدول تسعى للاندماج بالغرب والاتضمام لحلف الناتو ودول الإتحاد الأوروبي. وفي السياق ذاته عبرت جورجيا عن رغبتها في سحب للقاعدتين العسكريين الروسيين من أراضيها. ففي تصريح له بتاريخ (٢٥/١١/٢٠٠٥) ذكر رئيس الوزراء الجورجي (زوراب نوجايديلي) في مؤتمر صحفي له في العاصمة الروسية ((إن توقيع اتفاقية سحب للقاعدتين العسكريتين الروسيتين من أراضي جورجيا ستخفف التوتر بين البلدين))^(٢٨) وشدد في الوقت ذاته على أن ((جورجيا لا ترغب بوجود قواعد أجنبية لأي دولة على أراضيها))^(٢٩)، والام أن جورجيا طرحت مسألة جدوى بقائها في رابطة الدول المستقلة إذا كانت القضايا-من وجهة نظرها- تسوى بضغط من روسيا، وإنها-الرابطة-استتفنت ككيان جماعي^(٣٠) وتشاطر أوكرانيا كذلك جورجيا في بعض توجهاتها، فقد استضاف الرئيس الأوكراني ((فيكتور بوتشونكو)) بداية شهر ((كانون الأول ٢٠٠٥)) قادة ثمان دول من الكتلة السوفيتية السابقة للتمهيد لإطلاق مجموعة إقليمية تهدف إلى دفع الديمقراطية في البلدان المعنية. وأطلق على المبادرة مجموعة (الخيار الديمقراطي). ومن وجهة نظره، فإن المبادرة ستساعد الدول في المنطقة في جهودهم المشتركة الهادفة إلى تعزيز التعاون الإقليمي، وإعطاء دفع للعملية الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان. وقد رحبت الولايات المتحدة بهذه المبادرة^(٣١) وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين روسيا وأوكرانيا تشهد في الوقت الحاضر حالة من التجاذب الناتج عن سعي

(٢٨) نقلاً عن صحيفة غان، العدد ٨٩٤٣، ٢٦/١١/٢٠٠٥، ص ١١

(٢٩) نفسه، ص ١٣

(٣٠) نفسه، ص ١٣

(٣١) فالج حسن، جورجيا وحلفاتها، سبق ذكره، ص ١٨

أوكرانيا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، الأمر الذي تعارضه روسيا ضمناً وتحاول الضغط على الجانب الأوكراني للتراجع عن ذلك^(٣٢). وقد لوضحت روسيا في أكثر من مناسبة أنها ستعيد النظر في علاقتها مع أي جمهورية سوفيتية سابقة تنظم إلى حلف الناتو، كما إنها لم تخفي قلقها من خطط توسيع الحلف والتي لم تتردد في وصفها بالعدوانية.

٦- يشير البعض كذلك، إلى أن أحياء هذه الرابطة يتطلب وجود مشروع جيو سياسي جديد يكون قادراً على منافسة المشروع الأوروبي من ناحية، وقادراً على جذب وإغراء الجمهوريات السابقة من ناحية أخرى. بيد أن تلك الطموحات تصطدم ببعض المعوقات منها أن روسيا غير قادرة على وضع تلك الجمهوريات تحت رقابتها لافتقارها للموارد المالية والارادة السياسية القادرة على تحقيق ذلك الهدف^(٣٣).

ومع الاعتراف بصحة ما ذكر في أعلاه، إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن روسيا ما تزال تؤكد حضورها في دول الرابطة عموماً رغم التصدد الذي طرأ على علاقاتها مع العديد من دول المنطقة. كما أنها ما تزال تسعى للحفاظ على مركزها كقوة عظمى بعد أن فقدت سيطرتها على دول البلطيق. أو على الأقل فقدت تأثيرها السابق. وعليه وبدفع من روسيا، لم يكن من قبيل المصادفة أن يناقش زعماء الدول الأعضاء في الرابطة في قمته التي عقدت في ((قازان)) في "٢٦/٢٠٠٥" كل القضايا المتعلقة بإصلاح وتحسين عمل هيئات الرابطة، وتطوير سبل التعاون المتبادل المتعدد الجوانب، وتحديد برامج عمل للأعوام القادمة لا سيما تلك المتعلقة بمكافحة الإرهاب، والهجرة غير الشرعية، والتعاون العسكري، والحدود وغيرها^(٣٤).

من ناحية أخرى ومع الاعتراف أيضاً برغبة بعض دول الرابطة بالتوجه نحو الغرب والابتعاد عن روسيا، إلا أن الأخيرة ما تزال تسعى إلى تثبيت وجودها في المنطقة بشكل أكثر فاعلية، وهي حاضرة في خططها الاستراتيجية، وتحتل موقعاً بارزاً في سياستها الخارجية لسبب واضح ومعروف يتلخص في أن أغلب تلك الدول تعتبر بمثابة حدود أمنة لروسيا وبالتالي فإن ما يجري فيها من أحداث لابد وأن يؤثر على الأمن الروسي سواء كان ذلك في آسيا الوسطى أو بعض

(٣٢) نقلاً عن صحيفة عُمان، العدد ٨٩٥٧، ١٠/١٢/٢٠٠٥، ص ١٣

(٣٣) سعد طابويس، رابطة الدول المستقلة، الانهيار أو التغيير، صحيفة عمان، العدد ٨٨٥٤، ٢٩/٨/٢٠٠٥، ص ١٤.

(٣٤) ميخائيل كافيين، من السابق لأوانه دفن رابطة الدول المستقلة، صحيفة الوطن الصافية، العدد ١٨١١، ١٤/٩/٢٠٠٥، ص ٧

دول القوقاز أو غيرها. فآسيا الوسطى على سبيل المثال-ما تزال روسيا تتنظر إليها على إنها جزء من مناطق نفوذها، وهي علاوة على ذلك فهي مورد للخامات الرخيصة التي تترخر بها تلك الدول^(٢٥) وهو ما يفسر سعيها في الحفاظ على مواقعها فيها إضافة إلى جنوب القوقاز من خلال قواعدها المتبقية في أرمينيا أو جورجيا^(٢٦) ثم أن روسيا ما تزال تتنظر إلى التحركات الأمريكية في المنطقة بحذر شديد وترقب، وهي تسعى إلى إعاقة للخطط الأمريكية الرامية إلى إبعادها من الجزء الجنوبي من المساحة السوفيتية السابقة. وهي في ذلك تعتمد على وسائل عديدة نذكر منها:

(١) على ما يبدو فإن روسيا تتجنب أسلوب المجابهة المباشرة مفضلة بذلك الأساليب الدبلوماسية الهادئة^(٢٧) ورغم بعض الإخفاقات السابقة، إلا أن روسيا حققت-في تقديرنا-بعض النجاحات من خلال إحياء (معاهدة الأمن الجماعي، ١٩٩٢/٥/١٥)، أو من خلال تعزيز دور منظمة شنغهاي للتعاون الإقليمي كما سنذكر لاحقاً.

(٢) روسيا كانت وما تزال تعارض ما يسمى بـ(تصدير الديمقراطية) إلى الدول المجاورة لها، وهي غالباً ما توجه الاتهامات للإدارة الأمريكية لتدخلها في شؤون هذه الدولة وسعيها إلى فرض النموذج الأمريكي عليها وهي ترفض بشدة ما يسمى بـ(دمقرطة) المجال السوفيتي بالقوة^(٢٨) وهذا ينطبق على دول آسيا الوسطى التي زادت فيها محاولات التدخل الأمريكي.

(٣) لم تتردد موسكو في الإعلان عن موقفها الصريح في الكثير من الأحداث التي شهدتها بعض الجمهوريات السابقة. كما هو الحال في بعض (الثورات) التي حصلت في أوكرانيا، وجورجيا، ووصفتها بأنها مؤامرات خارجية موجهة ضد الأنظمة (الاستورية) في تلك الدول. ولم تتردد في الإعلان عن أن ما حصل قد تم بدعم خارجي وبأموال خارجية قدمت للقوى التي استولت على السلطة من خلال الثورات الملونة وبالتالي فإنه يجب للوقوف ضدها. وهي تحذر دائماً من حصول ذلك في دول آسيا الوسطى.

(٢٥) د.عبد القادر عبد الهادي، روسيا القوقاز، وآسيا الوسطى، سياسة قديمة في وعاء جديد، موقع الكتروني: www.islamonline.net كذلك خالد شمت، اللعبة الكبرى في وادي فرغانة.

٢٥ / ١١ / ٢٠٠١، موقع الكتروني: www.islamonline.net.

(٢٦) د.محمد نياي، سبق ذكره، ص ٩

(٢٧) د. عبد القادر عبد الهادي، سبق ذكره

(٢٨) سعد طائبوس، الصراع الخفي بين موسكو وواشنطن على النفوذ داخل المجال السوفيتي،

صحيفة عمان العدد ٨٨٤٩، ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٥، ص ٩

(٤) كما أسلفنا، فإن روسيا تنتظر بقلق وحذر إلى كل تحرك أمريكي في المنطقة وتسعى إلى الحد منه عبر الوسائل الدبلوماسية، فقد نظرت روسيا إلى جولة (كوندا ليزاريس) لبعض دول المنطقة في (تشرين الأول-٢٠٠٥) بحذر شديد وتابعت باهتمام تلك الزيارة، ووصفتها بأنها جاءت في إطار تكريس الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، وسيما بعد أن حصلت (رايس) على وعد من الحكومة ((القرغيزية)) ببقاء القوات الأمريكية في قاعدة (مناس) التي تضاعفت أهميتها بعد ما فشلت واشنطن في التوصل إلى اتفاق مع ((إسلام كريموف)) لإبقاء القوات الأمريكية في مطار ((خان باد)) العسكري^(٣٩).

وقد طلب وزير الخارجية الروسي في (١١/١٢/٢٠٠٥) في مقابلة تلفزيونية له على محطة ((راشا قوادي)) الناطقة بالإنجليزية، من الغرب (ألا يصطدم بمصالح روسيا في منطقتها) وفي الوقت الذي اعتبر فيه ((لافروف)) أن روسيا تتفهم الجهود المشروعة في الوصول إلى موارد الطاقة الكبيرة جداً في المنطقة إلا أنه أشار إلى أن الوسائل المستخدمة في ذلك (يجب أن تكون مشروعة وشفافة) ويجب ألا (تصطدم بالمصالح المشروعة لروسيا في المنطقة القريبة منه جغرافياً وثقافياً) ويبدو أن روسيا تمكنت من خلال اعتماد تلك الوسائل من إقناع بعض دول آسيا الوسطى في الوقوف إلى جانبها وعدم الانجرار إلى محاولات الغرب، في مقابل ذلك وجدت بعض تلك الدول أن مصالحها تقضي بعدم الابتعاد عن موسكو حتى تلك الغنية بموارد الطاقة مثل كازاخستان، وتركمانستان ويعزى ذلك أحياناً إلى وجود متعلقات كثيرة تحول دون توجه الكثير من الجمهوريات السابقة إلى الغرب أو الاندفاع نحوه بقوة. ومنها مثلاً شبكات الكهرباء المشتركة، الحدود، المجال الجوي، والمهاجرين الخ. والأهم على الصعيد السياسي هو وجود مصلحة مشتركة في مواجهة ما يعرف بخطر (الأصولية الإسلامية) التي تهدد جمهوريات آسيا الوسطى عموماً^(٤٠) وكذلك روسيا. وبكلمة فإن موسكو تسعى جاهدة إلى ممايزة كل ما يؤثر على الدول المجاورة لها، ومتابعة كل ما يحصل فيها من تغيرات تعتبرها خطيرة من وجهة نظرها سيما وأنها تترك جيداً بأن التهديد الرئيسي لها مستقبلاً يمكن أن ينبع من تلك الدول سواء في آسيا الوسطى أو القوقاز، أو حتى في المناطق الأبعد. وهي تعمل في الوقت ذاته للحيلولة دون وجود تغلغل اقتصادي في تلك الدول يهدد مصالحها في ظل وجود محاولات أمريكية وغربية مستمرة. وهذا ما بدا واضحاً في أوزبكستان والتي يأتي التنافس الدولي فيها في إطار التنافس الدولي على آسيا الوسطى عموماً من قبل العديد من الأطراف الدولية الكبرى

(٣٩) سلام مسافر، آسيا الوسطى تفتح أرضها أمام القواعد الأمريكية، ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٥ موقع

الالكتروني: www.alrailaam.com

(٤٠) نفسه

سيما وإنها كانت قد لعبت دور مهما من خلال تعاونها مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى قبل الحرب في أفغانستان كما سيتضح لاحقا. ثم أن وجود قواعد عسكرية فيها غالبا ما كان يشكل هاجسا لكل من الصين وروسيا. وقد جاءت أحداث (النديجان ٢٠٠٥/٥/١٣) لتفتح الباب مجدداً لدخول روسي واضح، وهو ما يشكل في تقديرنا نجاحا للسياسة الروسية لاستعادة مواقعها بشكل ملحوظ، ولاستعادة الدور الروسي لبس في أوزبكستان فحسب، وإنما في المنطقة عموماً.

فبالإضافة للموقف المساند الصريح للرئيس (كريموف) وشجبتها لما حصل من أحداث أعزتها إلى تدخل قوى خارجية، قامت روسيا أيضا بإرسال (٥٠٠) جندي كقوة حماية للرئيس الاوزبكي لإحكام قبضته على تطور الأحداث في حينها سيما بعد أن شعر- كريموف بوجود رغبة أمريكية للعمل على تغييره^(٤١). وهي خطوة متقدمة لتأكيد الحضور الروسي في المنطقة أعقبها خطوات أخرى مهمة. ففي (٢٠٠٥/١١/١٤) تم التوقيع على معاهدة التحالف الاستراتيجي التي كان الغرض منها تطوير العلاقات الثنائية بين روسيا وأوزبكستان، ولإقامة علاقات متميزة في مختلف المجالات وليكون لروسيا دورا مهم في المنطقة، فقد وصف الرئيس الأوزبكي هذه المعاهدة بقوله ((إن من شأن هذه المعاهدة تعزيز مواقع روسيا في آسيا الوسطى))^(٤٢)، وأضاف كذلك ((إن أوزبكستان حددت خيارها بإقامة علاقات إستراتيجية مع روسيا))^(٤٣) وفي هذا إشارة واضحة إلى رغبة كريموف في الابتعاد عن الولايات المتحدة من ناحية، وإلى تأكيد الدور للروسي في المنطقة من ناحية أخرى، سيما بعد أن أدركت الأطراف المعنية أن الولايات المتحدة قد حققت بعض النجاحات في المنطقة في الفترة السابقة وهو ما أثار قلقها.

إن تتبع الأحداث في المنطقة عموماً، يشير إلى أن هذه المعاهدة جاءت في وقت أضحت فيه طشقند تتعرض لضغوط كبيرة من قبل الغرب وصلت إلى حد مطالبة أعضاء الكونغرس الأمريكي بفرض عقوبات على أوزبكستان ورفع دعوى ضد الرئيس كريموف في المحافل الدولية.

وفي تقديرنا يبدو أن المعاهدة جاءت لتتلال على التقارب الذي حصل في الأونة الأخيرة بين موسكو وبين طشقند وسعي الأخيرة للابتعاد تدريجياً عن الولايات المتحدة لأسباب سنذكرها لاحقاً.

كما أنها اعتبرت امتداداً طبيعياً لمعاهدة الشراكة الإستراتيجية الموقعة بينهما في ١٦/ حزيران/ ٢٠٠٤ والتي أرست أسس توطيد التعاون بين البلدين لاسيما بعد أن

(٤١) حسن الحسن ، سبق ذكره .

(٤٢) نقلاً عن وكالة أبناء البحرين في ١٤ / ١١ / ٢٠٠٥

(٤٣) نفسه.

شعر الزعيم الأوزبكي بوجود محاولات أمريكية تستهدف تغيير النظام في آسيا الوسطى من خلال دعم بعض قوى التغيير في تلك الدول ولأسباب معروفة.

لقد نصت المعاهدة الأخيرة (٢٠٠٥/١١/١٤) في بنودها على أمور كثيرة ومهمة توحى بوجود مخاوف للأطراف المعنية من تهديدات خارجية، وإليه يجب التصدي لها بقوة. كما أنها تدفع للاعتقاد بوجود قناعة أكيدة للأطراف المعنية بضرورة التعاون المشترك في مختلف المجالات. ويتضح ذلك من خلال ما ورد فيها من بنود ومنها^(١٤):

(١) أنه في حال تعرض روسيا أو أوزبكستان للعدوان من قبل أي دولة أخرى، يعتبر ذلك عدواناً على كلتا الدولتين.

(٢) سمحت المعاهدة لكل من الجانبين استخدام المنشآت العسكرية في أراضي الدولة الأخرى.

(٣) تتعاون الدولتان بموجب المعاهدة في تحديث وإصلاح القوات المسلحة وتزويدها بالسلح والمعدات العسكرية الحديثة.

(٤) نصت المعاهدة أيضاً على تنسيق جهود الدولتين وتوحيدها في التصدي لتهديد الإرهاب الدولي، ولانتشار أسلحة الدمار الشامل، وللتجارة غير المشروعة للمخدرات هذا بالإضافة إلى تعزيز وتطوير التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين.

ومن الواضح أن بنود المعاهدة تتيح لروسيا للعب دور أكبر في المنطقة سيما البند الأول، والثاني منها، وهو يؤكد ما سبق وأن قلناه، بأن روسيا تطمح في تأكيد حضورها أولاً وفي منافسة للوجود الغربي بشكل أكثر فاعلية ثانياً.

٣-٢: منظمة شنغهاي:

سعت روسيا كذلك إلى تأكيد حضورها في آسيا الوسطى من خلال منظمة شنغهاي التي تضم بالإضافة إلى روسيا والصين كل من كازاخستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وقرغيزيا، ورغم أن المتداول أن المنظمة أنشئت لحل النزاعات الحدودية بين الدول الأعضاء سيما بين الصين وبين الدول التي ظهرت إلى جوارها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن أهداف المنظمة كانت أبعد من ذلك ومنها:

- ١- محاربة الإرهاب والنزاعات الانفصالية في المنطقة.
- ٢- تعزيز أوجه التعاون الاقتصادي والسياسي بين دول المنطقة.
- ٣- الوقوف بوجه الحركات الإسلامية الكثيرة التي ظهرت في المنطقة والقضاء عليها لما تشكله من خطر على الأوضاع القائمة في تلك الدول.

(١٤) فالج حسن، تحالف عسكري بين روسيا وأوزبكستان، صحيفة عمان، العدد ٨٩٤، ٢٠٠٥/١١/١٤، ص ١٥.

- ٤- منافسة السياسة الأمريكية في المنطقة والحد في نفوذها وتغلغلها في هذه للدول.
 - ٥- العمل من خلال المنظمة على إيجاد عالم متحد الأقطاب للحيلولة دون أن تكون الولايات المتحدة هي القطب الأوحى في العالم سيما في الفترة ما بعد الحرب الباردة.
 - ٦- السعي إلى استغلال ثروات المنطقة من خلال التعاون المشترك بين الدول الأعضاء وحرمان الأطراف الدولية الأخرى منها في ظل حقيقة أن دول المنظمة هي المعنية بذلك قبل غيرها.
- ولعل مقارنة النفوذ الغربي يأتي في مقدمة أولويات المنظمة مما يدفع للاعتقاد بأن المنظمة يمكن أن تشكل تحدياً مباشراً للتحرك الأمريكي في المنطقة والذي بات ملحوظاً في أعقاب أحداث أيلول سبتمبر ٢٠٠١، وظهر بشكل أكثر وضوحاً لاحقاً تحت دعاوى تسريع وتأثر الإصلاح ونشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان الخ^(٤٥) وهو ما عبرت عنه المنظمة في العديد من المناسبات واللقاءات وتجسد هذا بشكل واضح في (٢٠٠٥/٧/٥) حينما طلبت روسيا والصين من الولايات المتحدة أن تحدد موعد لانسحاب قواتها من القواعد العسكرية المتواجدة فيها. الأمر الذي أثار غضباً أمريكياً وأوروبياً ظهر واضحاً في وسائل الأعلام التي اتهمت روسيا والصين بدعم هذه الدول وتحريضها على إزالة القواعد العسكرية الأمريكية وغيرها.
- وفي اجتماع دول المنظمة المشار إليه أبدى الرئيس الروس ((فلاديمير بوتين)) والرئيس الصيني ((هوجينتاو)) معارضتهما لأي مساع لفرض دول هيمنتها الأحادية الجانب في الشؤون العالمية. كما عبر أعضاء المنظمة صراحة عن استيائهم من الوجود الأمريكي المتنامي في المنطقة، وانتقدوا محاولات قوى أجنبية كما سموها لزعزعة استقرار المنطقة الغنية بالنفط والغاز. وفي البيان المشترك الذي صدر في حينها ركزت مجموعة شنغهاي على مكافحة التطرف في آسيا الوسطى ووجهت في الوقت ذاته انتقادات للقوات الغربية لإدانتها لبعض أنظمة آسيا الوسطى باستخدام أساليب قمعية ضد المعارضة خاصة وأن كل من روسيا والصين كانت مؤيدة للإجراءات التي اتخذها الرئيس الأوزبكي (إسلام كريموف) في مواجهة أحداث أنديجان في حين وقفت الولايات المتحدة وبعض دول الاتحاد الأوروبي موقف مناهض له. ويأتي هذا الاهتمام الملحوظ لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها إيصال رسالة للولايات المتحدة بأن المنطقة ما تزال تعتبر منطقة نفوذ روسية وصينية. وإن دول آسيا الوسطى تمثل أهمية خاصة بسبب موقعها القريب من أفغانستان، ومجاورتها لكل

^(٤٥) قاسم مكي ، تكتل شنغهاي يمد نفوذه ، تقرير ترجم ومنقول عن الوشنطن بوست ، صحيفة عمان ، العدد ٨٨٤٨ ، ٢٢/٨/٢٠٠٥ ، ص ٦

من الصين وروسيا، ثم أن التواجد الأمريكي المكثف فيها يشكل خطراً واضحاً على أمن الدول المعنية.

٣-٣ : تعزيز التعاون المشترك بين الصين وبين روسيا:

يأتي تعزيز التعاون الثنائي بين روسيا والصين في إطار محاولة كل منهما للعمل معاً من أجل مواجهة النفوذ الأمريكي من ناحية، ومن أجل مواجهة التحديات المشتركة من ناحية أخرى وهي كثيرة.

وقد تمكنت موسكو وبكين من قطع أشواط مهمة في هذا الميدان. ففي مطلع عام ١٩٩٢ تمكنا بعد مشاورات متواصلة من حل معظم المشكلات الحدودية بينهما البالغ طولها (٤٣٠٠ كم) وهو ما ينال على وجود تقدم ملحوظ على مستوى التعاون الثنائي بينهما ورغبة الأطراف المعنية في تذليل كل ما يمكن أن يعوق مسيرة ذلك التعاون.

وفي عام ١٩٩٦ صدر ما يسمى بإعلان بكين الذي مثل أساساً متيناً لإقامة علاقات راسخة بين البلدين، وأعقب ذلك في عام ١٩٩٧ عقد لتفاهية للحد من قوات الحدود بين الدولتين^(٤٦) ثم حدث التطور الأبرز في علاقات موسكو وبكين في ١٦/٧/٢٠٠١ عندما وقعت روسيا الاتحادية والصين الشعبية معاهدة للصدقة والتعاون منتهيا عشرون عاماً وهي الأولى من نوعها بين البلدين منذ عام ١٩٥٠^(٤٧).

وقد نلت التدريبات العسكرية المشتركة خلال الفترة (١٨ ولغاية ٢٥ آب ٢٠٠٥) والتي أطلقت عليها اسم مهمة السلام (٢٠٠٥) على عمق الروابط ومستوى العلاقات بين الدولتين والتي كان القصد منها تحقيق جملة من الأهداف المهمة ومنها^(٤٨):

(١) مجابهة المخطط الأمريكي المتعلق بتوسيع حلف شمال الأطلسي باتجاه الشرق وصولاً إلى حدود روسيا لتطويقها من ناحية، ولترسيخ مكانة لولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة على مستوى العالم من ناحية أخرى وهو الذي يتطلب استكمالته توغل واشنطن في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى. والذي كان موضع إدراك وإهتمام من قبل موسكو وبكين.

(٤٦) أحمد منيسي ، أسس العلاقات الصينية الروسية، صحيفة عمان، العدد ٨٨٥٨، ٢٠٠٥/٩/٣، ص ٩.

(٤٧) د. عماد جلا ، الداعيات الإقليمية والدولية للعلاقات بين أكبر قوتين آسيويتين، صحيفة عمان، العدد ٨٨٥٨، ٢٠٠٥/٩/٣، ص ٩.

(٤٨) أحمد السيد تركي ، تحالف استراتيجي بين موسكو وبكين، الفرص والمخاطر، صحيفة عمان، العدد ٨٨٥٨، ٢٠٠٥/٩/٣، ص ٩.

- (٢) التأكيد على السيادة المطلقة للصين في منطقة مضيق تايوان وسط معلومات تدبني بوجود بوادر لإنشاء تحالف ثلاثي يضم كل من أمريكا واليابان وتايوان يتم تشكيكه في اسيا والباسفيك.
- (٣) السعي إلى رؤية نظام دولي جديد متعدد القطبية تلعب فيه الأمم المتحدة الدور الأساسي في حفظ السلم والأمن والدوليين يكون بديلا عن نظام أحادي القطبية تتفرد فيه الولايات المتحدة والذي كان من أهم نتائجه فرض التصورات الأمريكية على السياسة العالمية وفي إدارة تفاعلاتها^(٤١).
- ويتمتع موضوع إقامة نظام دولي متعدد القطبية بأهمية بالغة وملحوظة في توجهات كل من الرئيس الصيني والرئيس الروسي، وكلاهما يتبنيان إقامة مثل ذلك النظام. ويرفضان في الوقت ذاته إنفراد الولايات المتحدة بالسياسة الدولية، ويؤكدان على ضرورة تشكيل نظام عالمي يتسم بالعدالة والعدالة، واحترام القانون الدولي، وفي هذا إشارة واضحة للولايات المتحدة.
- (٤) سعي روسيا إلى تأكيد حضورها إقليميا ودوليا سيما منذ مجيء بوتين إلى السلطة وبعد أن وجدت روسيا نفسها أنها في طريقها لخسران الكثير من مواقعها في اسيا الوسطى وغيرها، ويتزامن ذلك مع وجود سعي صيني حثيث لفرض الذات كقوة كبرى تمتلك بعض من مقدرات القوى العظمى. وعليه فإن التعاون الروسي- الصيني. يمكنه أن يفعل الكثير من أجل حماية مصالح البلدين ومواجهة السياسة الأمريكية^(٤٢).
- (٥) يمكن القول كذلك، إن إدراك المخاطر المشتركة التي تواجه البلدين، ساعد على إيجاد روى مشتركة لما ينبغي القيام به سيما وإن هناك نصاعد في التوتر في منطقة شرق ووسط اسيا، هناك حركات انفصالية، وهناك تدخلات دولية واضحة.
- وباختصار، فقد وجدت روسيا أن التعاون مع الصين وبكثافة يساعدها على منافسة الوجود الأمريكي، وأبدت الصين رغبتها في ذلك أيضاً. ويبدو في تقديرنا أن الوجود الأمريكي في اسيا الوسطى كان ضمن أمور أخرى من أهم دوافع التقارب الصيني- الروسي. خاصة وإن الولايات المتحدة تمكنت من تعزيز وجودها في المنطقة سيما بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ كما أسلفنا سواء من خلال القواعد العسكرية، أو من خلال الوسائل الأخرى التي كانت وما تزال تعتمد عليها للتأثير في المنطقة.

(٤١) أحمد سيد أحمد ، دوافع وتداعيات التقارب الصيني - الروسي ، صحيفة عمان ، عدد ٨٨٥٨ ،

١٠٥/٩/٣ ، ص ١٠٥

(٤٢) د. صادق جاد، سبق ذكره، ص ٩ .

٤- أسيا الوسطى في المنظور الأمريكي:

ابتداء لابد من القول أن تفكك الاتحاد السوفيتي لوجد فراغا سياسيا واضحا في المنطقة سرعان ما هرعت القوى الدولية والإقليمية إلى ملئه، سيما وإن ذلك تزامن تقريبا مع الإعلان عن بداية تشكيل ما سمي في حينه بـ (النظام الدولي الجديد) الذي روجت له في حينها الولايات المتحدة الأمريكية والذي كان الغرض منه فرض الهيمنة العالمية وجعل العالم يعيش في ظل القطب الأوحـد.

ولإدراك الولايات المتحدة الأمريكية لأهمية المنطقة التي كانت تشكل سابقا الاتحاد السوفيتي، وما يمكن أن يشكله وجود فراغ سياسي أو إيدلوجي على تطلعاتها المستقبلية، فقد وجدت إنه ليس بالإمكان ترك هذه المنطقة عرضة لتدخلات قوى دولية أو إقليمية أيا كانت. هذا في ذات الوقت الذي وجدت فيه أن الضرورة تقضي بالنفوذ إلى هذه المنطقة والهيمنة على مقدراتها وتوجهاتها السياسية سيما وإن بعض دولها تملك أسلحة نووية، إضافة إلى الثروة الاقتصادية الهائلة التي تتمتع بها العديد من دول المنطقة. ومن وجهة النظر الأمريكية أن الفرصة أصبحت مواتية. فالإمبراطورية الروسية تفككت، ومثلها حصل في يوغسلافيا. وكان هناك نوع من التصور يقوم على (ميلاد عالم جديد) تحكمه شبكة معقدة ومتعددة الأطراف تسمح بتطور القانون الدولي، وتقدم المنظمات العالمية. وإعادة تنظيم العالم وفق أسس أكثر عقلانية، ولم تكن مؤتمرات الأرض والسكان، وإنشاء المحكمة الجنائية، وإقرار حق التدخل الإنساني لإنقاذ شعوب وجماعات عرقية من خطر الإبادة إلا خطوات نحو إيجاد عالم سيختلف عما سبقه، بمعنى إيجاد عالم سيكون وفق المتصور أكثر ديمقراطية وعدالة، ويقوم على مبادئ محددة بدلا من القوة^(٥١).

إلا أن جميع ما تقدم، لم يحظى بالقبول لعدد كبير من أركان الإدارة الأمريكية سيما أولئك اللذين تجمعوا في (مشروع القرن الأمريكي الجديد ١٩٩٧) الذي يتركز في جوهره على أن تقوم أمريكا العالم وفق ما تراه وليس وفق ما تتجح في إقناع العالم به من خلال أدوات جماعية^(٥٢). وكما هو معروف فإن هذا المشروع تأسس على يد مجموعة ممن ينتمون إلى ما يسمى بـ (التيار الليمني الجمهوري) والذي يعتقد

(٥١) د. عبد المنعم سعيد، أمريكا والعالم، للحرب الباردة وما بعدها (مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣)، ص ٧١
(٥٢) نفسه، ص ٧١.

مؤسسه بضرورة تحقيق السيطرة الأمريكية على العالم^(٥٣). وحتى يتحقق هذا الهدف من وجهة نظرهم، فإنه ينبغي القيام أولاً ببعض الخطوات المهمة والتي منها^(٥٤):

- ١- ضرورة التغلب على أي تهديد بصورة حاسمة وتحقيق الانتصار.
- ٢- ضرورة أن تتولى القوى العسكرية الأمريكية زمام مختلف القوى العالمية.
- ٣- أن تبقى واشنطن على القواعد والتسهيلات العسكرية الحالية للمساهمة في تفويض أية قوة إقليمية ملأه.
- ٤- العمل على إضعاف الصين وتغيير نظام الحكم فيها لاحقاً.
- ٥- بناء نظام عالمي جديد تحت القيادة الأمريكية.
- ٦- ردع النظم المارقة والخطرة من وجهة النظر الأمريكية.
- ٧- السيطرة على المناطق المنتجة للبترول.

وعليه فإن التحرك في مناطق الإتحاد السوفيتي وغيرها من مناطق العالم المهمة لم يكن بعيداً عن التصورات السابقة. الأمر الذي تؤكد بعض تقارير وزارة الخارجية الأمريكية ومنها التقرير الذي أصدرته منتصف عام ١٩٩٧ وقدمته للكونغرس الأمريكي، وفيه أشارت إلى أن الولايات المتحدة باعتبارها مستهلك كبيرة للبترول فإن مصلحتها الأكيدة تكمن في تعزيز وتنويع مصادر الطاقة العالمية اللازمة وهما يشكل أهمية بالغة في المنظور الاقتصادي، وعلى أساس أن ذلك يشكل مصدراً إضافياً للطاقة الصناعية الأمريكية ولشبكات النقل، وأيضاً لإيجاد مناطق بديلة عن الشرق الأوسط الذي يعاني من عدم الاستقرار عموماً.

هذا بالإضافة إلى إيجاد مصادر بديلة تساعد على تنويع مصادر وواردات الولايات المتحدة الأمريكية فضلاً عما يشكله للبترول من أهمية على الأمن القومي الأمريكي^(٥٥). وعليه، وبقدر تعلق الأمر بآسيا الوسطى، فإن التحرك في هذه المنطقة يحظى بأهمية مزوجة لأن الولايات المتحدة سوف ما جاء في التقرير يجب أن تحول دون عودة الدول المستقلة للنموذج الروسي، وأن تعمل للحيلولة دون ارتهاق ثروات المنطقة بالهيمنة الروسية ولأجل وضع تلك الأفكار موضع التنفيذ فقد لوحظ وجود جهود حديثة للبحث عن موطئ قدم في آسيا الوسطى، وحتى إلى قاعدة أطلسية يمكن من خلالها النفاذ على الإسلام الآسيوي، وتكون في الوقت ذاته قريبه من ثروات

(٥٣) د. محمد إبراهيم بسيوني، المؤامرة الكبرى، مخطط تقسيم الوطن العربي بعد العراق (دمشق: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ١٨).

(٥٤) نفسه، ص ٢٠ وما بعدها، كذلك د. عبد المنعم سعيد، سبق ذكره، ص ٧٢-٧٣.

(٥٥) د. عبد العظيم محمود حنفي، معادلات جيواستراتيجية في آسيا الوسطى ٢٠٠٤/٨/١، موقع الكتروني: www.alseyassah.com.

المنطقة التي يتقهما غاز تركمانستان، ونفط بحر قزوين الخ^(٥٦). الأمر الذي دفع (مادلين أولبرايت) آنذاك-نقلاً عن جنرال سوفيتي سابق في المخابرات السوفيتية-لأن تطرح على الرئيس الأوزبكي (إسلام كريموف) إمكانية استقبال قوات ردع دولية تحت مظلة الأطلسي منلما حصل في البلقان في حال وجود خطر يهددها سواء من أفغانستان أم من إيران. و اعتبرت أولبرايت أن وجود قاعدة لحلف الأطلسي في أوزبكستان يؤمن تقدم حلف الأطلسي شرقاً ويحقق له قواعد وهاكل إرتكازية في آسيا الوسطى يمكن استخدامها ليس ضد إيران وأفغانستان فحسب بل ضد روسيا أيضاً في حال تولى السلطة في موسكو قوى مناهضة للغرب^(٥٧).

وعموماً، فقد تمكنت الولايات المتحدة من ترجمة خططها إلى أنماط سلوكية لاحقاً، حيث تمكنت الولايات المتحدة من النفاذ إلى العديد من دول المنطقة وبأساليب مختلفة. ففي عام ١٩٩٧ قام الرئيس الأمريكي (كلينتون) بزيارة لبعض دول المنطقة تخصصت عن عقد مجموعة من الاتفاقيات الاقتصادية. وفي حينها كانت الولايات المتحدة تسعى للحيلولة دون استمرار الصلة بين دول آسيا الوسطى وروسيا وذلك من خلال تقديم المساعدة لتلك الدول في استخراج بترولها. إضافة إلى الغاز الموجود فيها في محاولة لكسر الاحتكار الروسي للطاقة^(٥٨). من ناحية أخرى، سعت الإدارة الأمريكية إلى كسب ولاء حكام جمهوريات آسيا الوسطى بغض النظر عن السياسة التي يتبعها أولئك القادة على الصعيد الداخلي. فالهدف الرئيسي كان منصب في البداية في إزالة النفوذ الروسي والإحلال ببله^(٥٩) ثم جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ لتزيد من التدخل الأمريكي في شؤون المنطقة تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، واتخذت من تواجدتها في أفغانستان محطة للامتداد إلى بقية المناطق المجاورة. كما حصل مع أوزبكستان، وقرغيزستان على سبيل المثال واللذان سمحتا باستخدام مجالهما الجوي والبري لعبور القوات الأمريكية إلى أفغانستان كما أسلفنا. وبعدها أقامت القوات الأمريكية قواعد عسكرية في أوزبكستان (خان آباد) ومنلها في (قرغيزستان) وفي مقابل ذلك قدمت الولايات المتحدة مساعدات مالية لدعم حكومات تلك الدول مما أثار قلق روسيا والصين، وقلق بعض القوى الإقليمية الأخرى. وتزامن ذلك مع التحرك على أذربيجان أيضاً الغنية بالنفط والتي تتمتع بأهمية إستراتيجية كبيرة لكل من روسيا

(٥٦) موقع الكتروني: <http://science.arabhs.com>

(٥٧) فهمي هويدي، أبعد من أفغانستان، موقع الكتروني: www.arabgate.com

(٥٨) خالد شميت، سبق ذكره.

(٥٩) حسن الحصن، سبق ذكره.

والصين وإيران كذلك. وكانت الإدارة الأمريكية تطمح في بناء قاعدة عسكرية فسي أنربيجان لأن ذلك يتيح لها إمكانية السيطرة على أي مواجهة محتملة مع إيران^(١٠). ولا ننسى أن التوجه الأمريكي تزامن مع تعجير بعض النزاعات العرقية والقومية في بعض المناطق التي كان يتشكل منها الاتحاد السوفيتي السابق في شمال القوقاز وجنوبه وفي بعض جمهوريات آسيا الوسطى الأمر الذي أوجد بيئة مناسبة للتدخل الأمريكي في المنطقة^(١١). لو على الأقل أتاح للولايات المتحدة إمكانية التحرك بسهولة. فالنسبة لأنربيجان وكما ذكرنا في بداية هذه الدراسة فقد كانت على سبيل المثال - في خلاف مع روسيا لا سباب ذكرناها، الأمر الذي دفع أنربيجان لإيجاد حليف قوي لها^(١٢).

أضف لذلك وجود خلاف حول بحر قزوين واقتسام ثرواته وهو الذي دفع أنربيجان ضمن أسباب أخرى - لأن تعمق علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية ومع إسرائيل كذلك. الأمر الذي تمخض عنه عقد لتفقيات مهمة مع الشركات الأمريكية لتتال النصيب الأكبر في استغلال النفط الأثري.

أما في أوزبكستان فمن المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد بدأت استعدادها لتقديم مساعدات مادية لدعم بعض البرامج الاقتصادية، والإنسانية فيها، ومارست ضغوطها على دول المجموعة الأوربية لإقناع دول آسيا الوسطى ببرنامج (المشاركة من أجل السلام) ومن خلال الإتحاد الأوربي أيضاً، مارست الولايات المتحدة ضغوطها على أوزبكستان للاقتداء بالنموذج العلماني التركي، وربطت موضوع المساعدات الغربية بمقدار تنفيذ أوزبكستان لرغبات الغرب، وقد هيا هذا البرنامج في حينها البنى التحتية لإقامة قواعد عسكرية في آسيا الوسطى بسبيل أن الولايات المتحدة تمكنت من إقناع ((إسلام كريموف)) للانضمام للحرب التي تقودها الولايات المتحدة ضد "الإرهاب" وخلال فترة وجيزة أصبحت القوات الأمريكية قادرة على العمل في قاعدة (كي-٢)، وأعقبها فتح قاعدة جوية في مطار (مناس- ٢٠٠١) في العاصمة للقر غيرية وهو ما شكل تحدياً لروسيا^(١٣).

(١٠) أبريل كوهين، انتخابات أنربيجان وصراع المصالح، نقلا عن الوشنطن بوشت، تقرير مترجم، صحيفة عمان، العدد ٨٩١٠، ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٥، ص ٩

(١١) د. محمد فرج أبو التور، سبق ذكره، ص ١٧

(١٢) نفسه، ص ١٧.

(١٣) د. محمد ذياب، سبق ذكره، ص ١٠، كذلك، ألفريك تومسون، شهر الصل وثورة الألوان، صحيفة الوطن القطرية، ١٥ / ٨ / ٢٠٠٥، ص ٨.

٤-١ دوافع التقارب الأمريكي-الأوزبكي:

يمكن القول، إنه بالإضافة إلى الخطط التي وضعتها الإدارة الأمريكية للتحرك نحو آسيا الوسطى عموماً، وما رافق ذلك من تحركات على الصعيد الواقع العملي، فإن ثمة دوافع أخرى ساعدت على إيجاد تقارب أمريكي-أوزبكي، يمكن تلخيصها بمايلي:-

- ١- هناك بعض العوامل الإقليمية والدولية التي لعبت دورها في تعزيز التقارب بين أوزبكستان وبين الولايات المتحدة الأمريكية. فكلهما كان يشعر بالقلق إزاء ما يدور في أفغانستان حتى قبل أحداث ١١ / أيلول / سبتمبر، وإزاء الخطر الذي كان يمثلته نظام طالبان على بعض الدول المجاورة، وزاد هذا القلق بعد أن سيطر نظام طالبان على بعض الأراضي الملاصقة لأوزبكستان في ١٩٩٨. ورافق ذلك حصول تفجيرات في مطلع عام ١٩٩٩ في أوزبكستان وفي حينها وجد الرئيس الأوزبكي إن مصلحته تكمن في العمل على منع مقاتلي الجماعة الإسلامية الأوزبكية من الالتحاق بأفغانستان وهو ما دفعه إلى التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية والتي بدأت أثارة تظهر بوضوح سيما بعد تفجير سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا (١٩٩٨). وبعد حادثة تفجير المدمرة (كول) على الشاطئ اليمني في (تشرين الأول-أكتوبر-٢٠٠٠)^(١٤) وبعدها أصبحت أوزبكستان حليفاً قوياً للولايات المتحدة. وتعمقت الروابط بينهما بعد تشكيل لجنة أوزبكية-أمريكية مشتركة عام (٢٠٠٠).
- وفي حينها أبدى الرئيس الأوزبكي استعداده لتطوير هذا التعاون بعد أن وجد رغبة مقابلة وملحة. وبدأ وكأنه مستعد للخروج من الإطار الروسي وإقامة تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية. والأهم أن الرئيس الأوزبكي أبدى استعداده للتعاون مع إسرائيل أيضاً ليكون قريباً من واشنطن الأمر الذي دفعه إلى القيام ببعض الخطوات التي من شأنها أن تساعد على ذلك منها على سبيل المثال- فتح باب الهجرة إلى إسرائيل أمام يهود أوزبكستان، وإعادة بناء المعابد اليهودية، وفتح مدارس للأطفال اليهود، وفي مقابل ذلك قدمت إسرائيل خبراتها في مجال تطوير صناعة النفط والغاز واستخراج الذهب إضافة إلى مساعدة أوزبكستان في المجال الزراعي وغيره^(١٥).
- ٢- يبدو لنا أن خشية كريموف من الحركات الإسلامية عموماً، ورغبته في أن يكون له حضور في الدول المجاورة لوجود تطلعات أوزبكية فيها، هي التي دفعت أيضاً إلى التقارب مع الولايات المتحدة خاصة وإن السياسة الأمريكية

(١٤) عبد الناصر محمد، سبق ذكره، ص ٤٥.

(١٥) فهمي هويدي، سبق ذكره.

في أفغانستان جاءت متزامنة مع رغبة الرئيس الأوزبكي في القضاء على الحركات الإسلامية عموماً، وعلى المعارضة الإسلامية في بلدة من خلال ضرب مراكز دعمها وإسنادها في أفغانستان علاوة على إضعاف بقية الحركات الإسلامية في الدول المجاورة مثل طاجيكستان، وقرغيزستان، وكازاخستان وهو ما ينسجم مع طموحات في هذه الدول. من ناحية أخرى، فإن الإطاحة بنظام طالبان لاحقاً ساعد على قمع الحركة الأوزبكية الإسلامية التي كانت تتخذ من أفغانستان مقراً لها والتي كانت تسعى للإطاحة بحكومة كريموف وهو ما ينسجم مع التطلعات الأوزبكية^(١٦). وفي مقابل ذلك لم تجد للولايات المتحدة الأمريكية ما يحول دون تطوير العلاقات مع نظام كريموف سيما وإنها وضعت المنطقة في خططها الإستراتيجية منذ فترة طويلة كما أسلفنا.

٣-٢ السياسة الأمريكية في آسيا الوسطى بين النجاح والفشل :

يمكن القول عموماً، إن الولايات المتحدة تمكنت خلال فترة ليست بالطويلة التغلغل في منطقة آسيا الوسطى عموماً وفق البرنامج أو الخطط المعدة سلفاً، ثم أصبح نفوذها بعد الحرب في أفغانستان أكثر قوة وفاعلية من نفوذ موسكو وهو ما شكل على حد تعبير البعض^(١٧) انقلاباً فعلياً في الواقع الجيو سياسي والإستراتيجي للقائم منذ القرن التاسع عشر حينما تمكنت روسيا القيصرية بسط سيطرتها على المنطقة وأصبحت لاحقاً ضمن إطار الاتحاد السوفيتي. ولم يقتصر الأمر على آسيا الوسطى، فقد تمكنت الولايات المتحدة قبل ذلك من بسط نفوذها في أوروبا الشرقية، كما أنها استطاعت لاحقاً في التأثير على الكثير من الأحداث في بعض الدول المجاورة والمهمة بالنسبة إلى روسيا وذلك تحت شعار الثورات الجماهيرية الملونة^(١٨). والإطاحة ببعض القادة بعد ثورة الألوان كما حصل في جورجيا (٢٠٠٣)، وأوكرانيا (٢٠٠٤-٢٠٠٥) وقرغيزستان (٢٠٠٥)، وهو ما أثار مخاوف بعض دول آسيا الوسطى التي تعاني من مشاكل اقتصادية، وسياسية داخلية كثيرة. فقد وضعت مسألة الإطاحة بالحكومة القيرغيزية السابقة بعد تسلم قوى المعارضة للسلطة، وهروب ((عسكر أكاييف)) إلى موسكو (أذار/٢٠٠٥) ومجيء (كرمان بك باكيف) عدد من جمهوريات آسيا الوسطى أمام سؤال يتعلق فيما إذا كان الدور قد جاء عليهم ولعل من أكثر الدول التي تأثرت بهذه الأحداث هي كازاخستان ولوزبكستان المجاورتان لقرغيزيا. وهو ما أثار مخاوفهم

(١٦) أفريك تومسون ، سبق ذكره ، ص ٨

(١٧) د. محمد نيب ، سبق ذكره ، ص ١٠

(١٨) حسن الحسن ، سبق ذكره.

كثيراً ودفعهما بالتالى لإعادة حساباتهما فى كيفية التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وهو الأمر الذى دفع لوزبكستان إلى إدانة أحداث قرغيزستان بسرعة واصفة إياها بأنها غير دستورية، ووصفتها عبر وسائل إعلامها الرسمية توصيفات سلبية، وإنها قد جرت بدعم خارجى الخ.

ما للحكومة الأوزبكية - ضمن أسباب أخرى - إلى مراجعة حساباتها مع الولايات المتحدة الأمريكية كما أسلفنا ومن ثم الطلب منها رسمياً بإخلاء القاعدة العسكرية فى (خان أباد) (تموز ٢٠٠٥) ورحيل القوات الأمريكية عنها، وبعدها أدعت رسمياً إنها ألغت حق الولايات المتحدة فى استخدام تلك القاعدة التى كانت تشكل مركزاً للعمليات الأمريكية فى أفغانستان، وكانت الحكومة الأوزبكية قد أعطت مهمة (١٨٠) يوماً لإخلاء القاعدة العسكرية وهو ما يؤشر على تردي العلاقات الأوزبكية - الأمريكية بعد فترة طويلة من الونام.

لقد أثار القرار الذى اتخذته الحكومة الأوزبكية فيما يتعلق بالقاعدة الأمريكية الموجودة فى أراضيها، والتبديل المفاجئ فى سياستها العديد من التساؤلات والعديد من التكهنات، وأثارت الجدل حول المغزى من ذلك.

إن ما حصل يمكن أن يعود باختصار إلى ما يلي:-

- (١) حسب الرواية الأوزبكية، فإنه بالإضافة لما حصل فى قيرغيزستان، فإن أحداث انديجان إنما حصلت أيضاً بدفع وب تدخل أمريكى حيث تلقى المشاركون فى تلك الأحداث دعم ومساندة من السفارة الأمريكية. وفى حينها اتهمت طشقند الولايات المتحدة بدعم المتمردين والتخبط لشورة فى أوزبكستان مشابهة لتلك التى حصلت فى آسيا الوسطى^(١٩).
- (٢) يبدو فى تقديرنا إن ذلك يعود إلى تأثيرات السياسة الروسية التى أخذت تتوافق مع السياسة الأوزبكية لاسيما تلك المتعلقة بموضوع التواجد الأمريكى فى آسيا الوسطى عموماً، وتزامن ذلك مع شعور أوزبكستان بوجود ضغوط أمريكية لتغيير طبيعة النظام فى طشقند رغم التوافق الذى حصل بين طشقند وواشنطن حول ضرورة مواجهة المد الإسلامى فى دول آسيا الوسطى. أضف لذلك أن أوزبكستان سعت إلى إجراء تغييرات مهمة فى أولوياتها السياسة الخارجية حتى قبل أحداث انديجان بفترة، ويأتى فى مقدمتها ضرورة زيادة التقارب مع موسكو وتمتين العلاقات معها بشكل أكثر من السابق.

(١٩) سلام مسافر ، آسيا الوطن تفتح أبوابها ، سبق ذكره.

- (٣) شعور كريموف بأن رياح التغيير قائمة من الغرب لا محال مع وجود مؤشرات وبواند تتدل على وجود تدخل أمريكي علني وخفي في بعض دول آسيا الوسطى تحت ذريعة الديمقراطية، وحقوق الإنسان والإصلاح وغيرها.
- (٤) يمكن أن نضيف إلى ذلك وجود قناعة أوزبكية بأن وجود قوات أمريكية على الأراضي الأوزبكية لم يعد مهما مثلما كان في السابق. وبالتالي لم يعد هناك مبرر قوى لوجود تلك القوات.

- (٥) يبدو لنا أن كريموف انطلاقاً من خبرته وحكته السياسية وهو شيوعي مخضرم سابق، حاول أن يلعب بالورقة الأمريكية، والورقة الروسية على حد سواء. فقد تمكن بداية من إقامة علاقات وطيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية وزاد في تعاونه معها لاسيما بعد الحرب في أفغانستان وذلك لتحقيق غرضين في آن واحد: الأول يتلخص في الاستفادة من المساعدات المادية. والثاني يتلخص في القضاء على الحركة الإسلامية وبعض التنظيمات التي كانت تتخذ من أفغانستان مقراً لها للانطلاق إلى الأراضي المجاورة كما أسلفنا. وربما أيضاً لتحقيق بعض الطموحات الذاتية التي تتلخص برغبته في أن تكون أوزبكستان ذات دور إقليمي مؤثر في ظل وجود مجموعة كبيرة من الأوزبك في الدول المجاورة، ولتنفيذ برنامجه السياسي. المتعلق بتعزيز دور الدولة. ثم ما لبث أن غير في سياسته تلك بعد أن استفاد من المساعدات، وبعد أن وجد أن الاقتراب من موسكو يحقق له مصالح أفضل لاسيما في الفترة الأخيرة خاصة وإن موسكو وعدت بتقديم الكثير من المساعدات ومعها الصين، وقامت بالفعل بتقديم دعم مادي له. وبهذا أجاد كريموف للعبة في تقديرنا، ونجح فيها بشكل واضح رغم ما تعرض ويتعرض له من انتقادات.

وإزاء ما تقدم، وللحيلولة دون التعرض لمزيد من الضغوط الأمريكية والأوروبية وللحصول على دعم سياسي لمطالبها بإخراج القاعدة العسكرية قامت أوزبكستان بتعزيز علاقاتها الثنائية مع روسيا التي وقفت بشدة إلى جانب طشقند في ظل التنافس على آسيا الوسطى والتي أبدت دعمها لنظام كريموف. كما بادرت روسيا بإعلان عن مشاريع استثمارية في أوزبكستان تصل قيمتها إلى (٨٠٠) مليون دولار، كما تعهدت للصين ببناء مشاريع مشتركة قدرت بنحو مليار دولار^(٧٠).

في مقابل ذلك، وللتعويض عما فقدته في أوزبكستان، قامت الولايات المتحدة ببعض الخطوات التي من شأنها المحافظة على تعزيز الوجود الأمريكي في آسيا

الوسطى. حين قام وزير الدفاع الأمريكي ((رامسفيلد)) بزيارة إلى قرغيزستان لبحث مستقبل القاعدة العسكرية الأمريكية الموجودة هناك، وفي ذات الوقت سعت إلى تعزيز علاقاتها مع تركمانستان رغم معرفتها أيضا بطبيعة النظام القائم فيها حيث تم الاتفاق مبدئياً على نقل للقاعدة الأمريكية إلى تركمانستان بعد الزيارة التي قام بها الجنرال ((جون أبي زيد)) القائد العام للقيادة الوسطى الأمريكية إلى (عشق آباد) بعد أيام من طلب أوزبكستان بإخلاء القاعدة الأمريكية فيها^(٧١). (نهاية تموز ٢٠٠٥) وكانت واشنطن قد حصلت في نهاية شهر تموز ٢٠٠٥ على حق الاحتفاظ بقاعدتها العسكرية في قرغيزستان وهو ما اعتبر نصراً دبلوماسياً حققته الولايات المتحدة على روسيا والصين اللتين كانتا تأملان بأن يتم تحديد مهلة لرحيل القوات الأمريكية المنتشرة في آسيا الوسطى. وفي حينها صرح وزير الدفاع القرغيزي (إسماعيل إيساكوف) عقب لقاء مع نظيره الأمريكي "إن قاعدة ما ناس ستبقى طالما تطلب الوضع في أفغانستان ذلك". وتناولت زيارة وزير الدفاع الأمريكي أيضاً بحث أسس العلاقات بين الجانبين في ظل وجود اتهامات عسكرية أمريكية لكل من روسيا والصين بالضغط على جمهوريات آسيا الوسطى. كما عكست زيارة رامسفيلد للمنطقة قلق واشنطن من دعوة قمة (منظمة شنغهاي للتعاون) التي عقدت في ٥ حزيران ٢٠٠٥ في كازاخستان لدول التحالف المناهضة للإرهاب سيما الولايات المتحدة الأمريكية تحديد جدول زمني لانسحاب قواعدها من جمهوريات آسيا الوسطى في ضوء انتهاء العمليات الحربية واسعة النطاق في أفغانستان^(٧٢). خاصة وإن دول منظمة شنغهاي إضافة إلى روسيا والصين تشعر بالقلق من وجود القوات الأمريكية في المنطقة وكما يزيد من هذا القلق هو إن الولايات المتحدة لم تخفي دعمها لقوى المعارضة في بعض تلك الجمهوريات.

وفي السياق ذاته ، فإن هناك ما يؤكد على أن الجولة التي قامت بها وزيرة الخارجية الأمريكية (كونداليزا رايس) إلى دول آسيا الوسطى في تشرين الأول ٢٠٠٥ والتي شملت قرغيزستان، وكازاخستان وطاجيكستان بالإضافة إلى أفغانستان، واستثنت منها أوزبكستان، إنما جاءت بهدف تعزيز حضورها في المنطقة بعد تـردّي العلاقات الأمريكية-الأوزبكية وأيضاً لإجراء تغييرات على سياسة إشاعة الديمقراطية هناك. فقد ذكرت والوزيرة الأمريكية "إن الديمقراطية هي أفضل حصن ضد الأصولية" وإن دعم الديمقراطية ونشرها (لا تعتبر من الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية الأمريكية فحسب بل ينبغي أن تكون كذلك)^(٧٣) ويبدو لنا أن الهدف الرئيسي

(٧١) نفسه.

(٧٢) فلاح حسن ، البنتاجون لا يخطط لسحب قواعده من آسيا الوسطى صحيفة عمان ، العدد ٨٨٢٣ ،

٢٩ / ٧ / ٢٠٠٥ ، ص ٦ .

(٧٣) نقلاً عن صحيفة عمان، العدد ٨٩٢٣ ، ١٦ / ١١ / ٢٠٠٥ ، ص ١٢ .

لذلك الزيارة كان ينصب في تنشيط الدور الأمريكي أمام النفوذ الصيني-الروسي سيما بعد أن شعرت الولايات المتحدة بوجود حضور قوي لكل من روسيا والصين في المنطقة من ناحية، وتفعيل منظمة شنغهاي للتعاون من ناحية أخرى. وأياً كانت طبيعية تلك الزيارات والغرض منها، فإن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت وما تزال تضع هذه المنطقة نصب أعينها وصولاً لتحقيق الأهداف الكونية المعروفة. وإن زيادة التواجد فيها بشكل أو بآخر يأتي ضمن إطار التنافس الدولي في هذه المنطقة. أضف لذلك أن سعي الإدارة الأمريكية لتعزيز وجودها في آسيا الوسطى يرتبط في حقيقة الأمر بأهداف أخرى معروفة أيضاً لكل منتبج على أقل تقدير. ومنها أنه يمكنها من إحكام سيطرتها على شبه القارة الهندية سيما مع وجود تطلعات هندية لتتويع مصادر أسلحتها وتعميق صلاتها مع روسيا. هذا بالإضافة إلى أن التواجد الأمريكي يهدف إلى الحيلولة دون امتداد النفوذ الصيني إلى دول المنطقة والذي بدأت آثاره واضحة لاسيما في السنوات الأخيرة. ولعل ما تقدم هو الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية ضمن أسباب أخرى إلى توطيد علاقتها مع الباكستان وهو ما بدأ واضحاً بصورة ملموسة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حينما أصبحت الباكستان من أهم حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، إضافة إلى بعض دول آسيا الوسطى.

وعموماً يمكن القول، إنه إذا كانت للولايات المتحدة قد تمكنت في ترجمة خططها إلى أنماط سلوكية، وحقت الكثير مما كانت نصبوا إليه إلا أن ذلك لا ينفع للقول في تقديرنا-بأن النجاح كان حليفها دائماً حتى مع اعترافنا بوجود العديد من الخطوات المتقدمة التي حققتها سابقاً كما حصل في أوزبكستان، أو في قرغيزيا، خاصة وإن الكثير من خططها اصطدمت ببعض المعوقات مما يشكل تراجعاً لها رافقته العديد من الزيارات التي قام بها وزير الدفاع الأمريكي، وزيارة وزيرة الخارجية الأمريكية للمنطقة كما أسلفنا والتي عكست قلق الإدارة الأمريكية، من وجود حالة من الرفض لسياستها كما عبرت عنه مثلاً قمة شنغهاي المشار إليها في (٢٠٠٥/٦)، التي تضمنت دعوة صريحة لأمريكا لتحديد جدول زمني لوجود قواتها في آسيا الوسطى.

ويبدو لنا، إن ما حصل في أوزبكستان يشكل تراجعاً واضحاً كذلك للإدارة الأمريكية، وحتى في قرغيزيا والتي تمكن (رامسفيلد) من انتزاع موافقتها على استمرار تواجد القواعد الأمريكية فيها والتي لم تحدد بعد فترة زمنية لانسحابها، والتي تراطبت فيها عشرات الطائرات العسكرية الأمريكية لقاء (٥٢) مليون دولار سنوياً، إلا أن ذلك لا يعني إنها-قرغيزستان-قررت الانتماء في أحضان الغرب سيما وإن قرغيزيا ما تزال تعترف بالدور الروسي في المنطقة. كما أن للتعاون السياسي والأمني

بين روسيا وقرغيزيا ما يزال قائماً وهو يتعمق تدريجياً، هذا بالإضافة إلى وجود رؤية مشتركة لديهما حول الكثير من الأحداث في منطقة آسيا الوسطى كما هو الحال مع الموقف من أحداث انديجان مثلاً. ولا ننسى أن هناك قاعدة حربية جوية روسية في مدينة (قانت) القرغيزية التي افتتحت (في أكتوبر/تشرين الأول/٢٠٠٣).

وفي كازاخستان أيضاً ، الدولة المهمة في آسيا الوسطى، تمكن (سلطان نزار باييف) القريب من موسكو إلى حد ما من النجاح في الانتخابات الرئاسية التي جرت مؤخراً (٢٠٠٥/١٢) ليتولى الرئاسة لمدة سبع سنوات أخرى. وفور الإعلان عن فوزه أثار الرئيس الكازخي إلى أن بلاده تزيد في تعاونها مع روسيا ومن تكاملها الاقتصادي معها. وطلب في الوقت ذاته من منظمة الأمن والتعاون في أوروبا الانصراف إلى تنفيذ مهامها المباشرة بمكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات وعدم الانصراف على حقوق الإنسان.

وبكلمة يمكن القول باختصار شديد، أن حمى "الثورات الملونة" لم تعد قائمة في دول آسيا الوسطى بعد أن بدأت تشعر حقيقة بالخطر الأمريكي، وبمحاولات التدخل في شؤون المنطقة الداخلية سيما مع وجود تحرك روسي صيني بدأت آثاره واضحة في السنوات الأخيرة.

٥- التحرك الصيني في آسيا الوسطى :-

تعتبر الصين كذلك من القوى الكبرى المهمة التي لها مصالح واضحة ومعروفة في منطقة آسيا الوسطى وهو ما يفسر سعيها الدائم لأن يكون لها نفوذ واضح فيها سيما وأن الصين مجاورة لبعض دول المنطقة وبالتالي فهي تشعر بالقلق إزاء أي محاولات لإبعادها عن المنطقة سواء كانت أمريكية أم غربية عموماً.

ومما يزيد من أهمية المنطقة بالنسبة للصين هو ثقلها الاقتصادي والثروات الموجودة فيها. ووجود حركة إسلامية في أغلب دول المنطقة والتي لا تنتظر الصين إليها بعين الارتياح.

وتبدي الصين قلقاً جدياً من الوجود العسكري الأمريكي في آسيا الوسطى باعتباره يشكل تهديداً لمصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية في المنطقة.

ومن وجهة النظر الصينية ، فإن إنشاء قواعد أمريكية في آسيا الوسطى، وزيادة التواجد فيها، هو جزء من سياسة أمريكية عامة هدفها احتواء توسيع النفوذ الصيني المتنامي في المنطقة للحد.

وإزاء هذا الواقع فقد سعت الصين إلى تأكيد حضورها في المنطقة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي مما يدفع للقول بأنها ظهرت بقوة في بعض دولها لاسيما كازاخستان التي تمكنت الصين من تطوير العلاقات معها من خلال شركات النفط الصينية التي تعمل في الأراضي الكازاخية حيث طرحت الصين نفسها على

الدوام كمنفذ مفضل للنفط والغاز للكاخاخستاني حتى مع وجود الخلافات حول المياه وبعض القضايا العرقية. ولعل أهم تطور يدل على عمق التعاون بينهما خاصة في مجال البترول هو الإعلان في منتصف شهر (نشرين الثاني / ٢٠٠٥) عن افتتاح خط أنابيب جديد للبترول وبطول (١٠٠٠) كم يمتد في الأرض الكاخاخية ليصل إلى الصين في حدث هو الأول من نوعه في دولة سوفيتية سابقة. كما يمثل خط الأنابيب خطوة نحو إنهاء اعتماد كاخاخستان على جارتها روسيا في تصدير النفط. وقد مولت الصين المتعطشة لمصادر الطاقة جزءاً من نفقات مد الخط بمنطقة (سنكينانج) في شمال غرب الصين ما يصل إلى (٢١٠) آلاف برميل يومياً من النفط الروسي والكاخاخستاني إلى الصين. وقبل ذلك وكتعبير عن دفع العلاقات بينهما نحو الأفضل فقد وقع الرئيس الصيني (هوجينتاو) ونظيره الكاخاخ (نور سلطان نزار باييف) منتصف عام (٢٠٠٥) على إعلان مشترك حول الشركة الإستراتيجية، وعلى تعزيز الرأي المتبادل على الصعيد الدولي خاصة في إطار منظمة شنغهاي التي ستؤدي إلى زيادة حجم التبادل التجاري بينهما إلى أكثر من خمسة مليارات دولار بداية عام ٢٠٠٦ في الوقت الذي ستزيد فيه الاستثمارات الصينية في كاخاخستان عن (٢) مليار دولار.

وما تقدم يمكن أن يقال عن طاجيكستان التي سعت الصين إلى تطوير العلاقات الثنائية معها سيما بعد أن تمكنت كل من الصين وطاجيكستان من ترسيم الحدود بينهما بشكل نهائي عام ٢٠٠٢ بعد الزيارة التي قام بها الرئيس الطاجيكي إلى الصين آنذاك وفيها أيضاً تم الاتفاق على تعزيز العلاقات الثنائية من خلال دعم الثقة المتبادلة في المجال السياسي، ودعم عملية التبادل والاتصال بين الطرفين، ومكافحة الإرهاب، وعلى ضرورة العمل من خلال من منظمة شنغهاي لتكون قادرة على مواجهة التحديات المتمثلة في الوضع الدولي والإقليمي، كما تعهدت الصين في حينها بتقديم مساعدات مادية إلى طاجيكستان^(٧٤).

أما بالنسبة إلى أوزبكستان فقد تمكنت الصين من تطوير العلاقات معها بشكل ملحوظ ولم تكن تتظر بعين الارتياح إلى وجود القاعدة العسكرية الأمريكية فيها كما أسلفنا. وعليه فقد أيدت الصين بقوة موقف أوزبكستان الأخير من القاعدة العسكرية، وأيدت جميع الإجراءات التي أقدمت عليها الحكومة الأوزبكية مؤخراً، والأهم هو أن الصين وقفت موقفاً مؤيداً للرئيس (كريموف) في أحداث (إنديجان) وأعلنت في حينها أن الإجراءات التي اتخذها الرئيس الأوزبكي تحول دون انتشار التطرف في منطقة، آسيا الوسطى، كما أنها لتندد الحملة الإسلامية التي أثارها الولايات المتحدة ضد

(٧٤) صحيفة الشعب اليومية، ٢٠/٥/٢٠٠٢، موقع الكتروني

الرئىس الأوزبكى؁ وىأتى هذا الموقف الواضح فى تقدرنا ضمن إطار المساعى الصىنىة فى إضعاف النفوذ الأوزبكى فى المنطقة. كما تمكنت الصىن من تطویر علاقتها مع قرغىزستان وأقامت معها علاقات تجارية واسعة. وتجدر الإشارة إلى أن الصىن تولى أهمية بالغة إلى قىرغىزستان لمجاورتها من ناحية؁ ولوجود قاعدة عسكرية أمريكية فىها من ناحية أخرى. هذا بالإضافة إلى أنها- قىرغىزستان- تتوسط بین الصىن وجمهوریات أسفا الوسطى الغنىة بالنفط والغاز وبالتالى فإن التواجد فىها يعد أمراً ضرورياً بالنسبة للصىن وتطلعاتها المستقبلية فى المنطقة.

واعتمدت الصىن عموماً فى توجهها للمنطقة على بعض الوسائل منها تعزيز العلاقات الثنائية مع دول أسفا الوسطى بشكل منفرد من خلال التوصل إلى مجموعة من الاتفاقیات الثنائية؁ وكذلك من خلال التعاون مع روسيا فى ظل وجود تقارب صىنى- روسى ملحوظ كما أسلفنا. وأيضاً من خلال منظمة شنغهاى للتعاون الاقتصادى وتحويلها إلى كىان فعال يمكن من خلاله زیادة نفوذها فى المنطقة. وبكلمة؁ فإن الصىن لا يمكن لها باى حال من الأحوال أن تبدو وكأنها غیر مكترثة لما ىجرى فى أسفا الوسطى لسبب بسيط یتلخص فى أن أى تواجد غربى فىها یقید حركتها من ناحية؁ ویؤثر على أمنها من ناحية أخرى؁ فضلاً عن أن ذلك یحرمها من الكثير من المزايا الاقتصادية التى تتمتع بها دول المنطقة؁ وربما یقف حائلاً دون تغلغل النفوذ السياسى والاقتصادى فىها وهو ما لا یرتضیه الصىن إطلاقاً. رابعاً: أسفا الوسطى فى منظور بعض القوى الإقليمية الأخرى:

إضافة إلى جانب روسيا والصىن؁ والولايات المتحدة؁ يمكن الإشارة باختصار شديد إلى بعض القوى الإقليمية الأخرى؁ ومنها ایران؁ وتركیا؁ فأیران تشارك دول المنطقة تطلعاتها؁ لاسیما تلك المطلة على بحر قزوين سیماً وأن حدودها الشمالية (إیران) تصل إلىة وهى تشكل أفضل معبر للبترول إلى الخلیج العربى جنوباً. أن مما یزید من اهتمام ایران بالمنطقة عموماً وخاصة فى الوقت الحاضر؁ هو إن طهران وموسكو كانتا خلال الحقبة السوفیة تتقاسمان السيطرة على بحر قزوين؁ من خلال المعاهدات الموقعة بینهما ومنها على سبیل المثال معاهدة ١٩٢١ و١٩٤٠؁ ید أن الأمور تغیرت حالياً؁ وزادت تعقیداً وذلك لظهور دول جدیدة بدأت تطالب بحقها وبمهاها الإقليمية مثل كازاخستان؁ وتركمانستان؁ وأذربىجان.

وعموماً تتخوف ایران من أى تواجد غربى فى المنطقة؁ أو أى تواجد لقوى عالمية يمكن منافستها فىها وخاصة إذا ما علمنا بوجود خلاف أمريكى-إیرانى؁ وحتى أوروبى- إیرانى حول سیماسة ایران الداخلية؁ والخارجية وحول البرنامج النووى الإیرانى الذى لم یحسم بعد. ویزداد القلق الإیرانى مع وجود قوات أمريكية؁ وأوربية

في أفغانستان، وفي بعض دول آسيا الوسطى (قرغيزستان) وقبليا (اوزبكستان) وهو قلق مشروع وغالبا ما يعبر عنه بطرق وأساليب مختلفة من قبل إيران. وهو أمر طبيعي، ومن حق إيران كغيرها، أن يكون لها تطلعات في المنطقة. تتلخص التطلعات الإيرانية في المنطقة في سعيها للقيام بدور رئيسي وفعال فيها انطلاقا من حقيقة كون إيران دولة بترولية لولا، وامتلاكها لمنشآت ومرافق نفطية متطورة نسبيا في دول المنطقة ثانيا. وعليه هي تطمح لأن تكون الناقل الرئيسي لنفط بحر قزوين عبر أراضيها إلى الخليج العربي. وهو ما يمنحها ميزة إستراتيجية كبيرة، فضلا عن أنه يتيح لها إمكانية التحكم في الإمدادات البترولية وهو ما يمنحها قوة إضافية في مواجهة تطلعات الغرب في المنطقة. ومع وجود تحديات دولية وإقليمية فإن الهاجس الأمني يبقى حاضرا في دوائر صنع القرار الإيراني سيما مع وجود الكثير من المشاكل المتعلقة والتي لم تحل بعد كما أسلفنا، ومع وجود تحديات دولية. ويبدو في تقديرنا أن إيران تسعى لأن تكون لها علاقات وطيدة مع دول المنطقة عموما، وإقامة علاقات تحالف مع الدول المؤثرة فيها، كما هو الحال مثلا في علاقاتها الحالية مع روسيا، ومع الصين هذا في ذات الوقت الذي تحاول فيه أن تقف بشدة ضد كل محاولة تستهدف إضعاف وجودها في المنطقة بشكل أو بآخر.

أما تركيا، فلا يمكن تجاوز دورها أيضا وذلك بحكم الموقع أولا لمجاورتها إيران ولبعض دول المنطقة المطلة على بحر قزوين، ولوجوده تطلعات تركية في المنطقة ثانيا وهي تطلعات ليست جديدة. فتركيا تهدف إلى إرساء نظام إقليمي في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز تحت زعامتها في ضوء خبراتها، وتجاربها الدولية، وموقعها الجغرافي، ونفوذها السياسي في بعض دول آسيا الوسطى هذا بالإضافة إلى وزنها الدولي النابع أيضا من كونها عضو في حلف شمال الأطلسي^(٧٥). ومن علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والتي ساعدتها لأن تقوم بأدوار معينة لقاء حصولها على معونات اقتصادية وعسكرية وغيرها^(٧٦).

أضف لذلك أن العديد من دول المنطقة تتحدث بالتركية مثل كازاخستان، وتركمانستان وأوزبكستان، وهي إلى جانب المصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية التي تدفعها إلى إنشاء ذلك للنظام تحاول أيضا أن يكون لها حضور ثقافي وفكري في دول المنطقة وجعلها تسير وفق النظام الديمقراطي العلماني الذي تتبعه تركيا. هذا في الوقت الذي تسعى فيه للحيلولة دون تنامي المد الإسلامي في دول المنطقة والذي غالبا ما يشكل تحديا لها^(٧٧).

(٧٥) د. جعفر عبد الرزاق، سبق ذكره.

(٧٦) نفسه.

(٧٧) نفسه.

وفى ضوء الاعترافات المبالفة، تحاول تركيا أن تقم علاقات متوازنة مع بعض دول المنطقة يؤمن لها مصالحها، ويساعدها على تحقيق أهدافها من خلال توطيد علاقاتها مع دول المنطقة عموماً، وحل المشاكل العالقة وحل المنطقة تعيش فى ظل أوضاع مستقرة وهو ما يفسر سعيها لتسوية للنزاع فى (ناغورنى كاراباخ) بين أرمينيا وأذربيجان لما يشكله ذلك من أهمية على تطوير واستقرار المنطقة.

وفى السياق ذاته، تحاول تركيا أيضاً المحافظة على علاقاتها مع الإتحاد الأوروبى لأسباب معروفة تتعلق بقبول عضويتها فيه لاحقاً، وكذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية بحكم الروابط التى تربط بينهما منذ فترة طويلة. وهى بذلك تحاول الموازنة بين مصالحها من ناحية، ومصالح غيرها من الأطراف الدولية من ناحية أخرى، إضافة إلى روسيا وأغلب دول المنطقة.

خلاصة

عموماً تتمتع دول أسيا الوسطى بأهمية جيوسراتيجية واقتصادية معروفة. ولأنها كذلك فقد شغلت هذه المنطقة مكانه مهمة في أجندة مخططي السياسات الدولية للدول الكبرى المعروفة، وحتى بالنسبة للقوى الإقليمية المجاورة للمنطقة. ومما زاد من أهميتها، ومن زيادة التنافس عليها هو حصول دول تلك المنطقة على استقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١.

وكان من الطبيعي أن تشتد وطأة التنافس على هذه المنطقة ليس فقط من أجل السيطرة على موارد النفط والطاقة فحسب، وإنما لتحقيق مكاسب إستراتيجية بعيدة المدى.

فالولايات المتحدة -وكما أسلفنا- لم يكن بمقدورها ترك المنطقة تعيش حالة من الفراغ السياسي والإيديولوجي كما لم يكن بمقدورها رؤية المنطقة بعيدة عن توجهاتها السياسية والتي تزامنت مع الإعلان عن "النظام العالمي الجديد" وعليه، وانطلاقاً من سعيها لكي تكون القوة الرئيسية الوحيدة في العالم فقد سارعت للولايات المتحدة للمضي قدماً في تنفيذ سياستها تلك والتي استهدفت بالدرجة الأولى تأمين الحضور الأمريكي في المنطقة لتحقيق مكاسب اقتصادية من ناحية ولتحقيق الكثير من الأهداف السياسية والأمنية من ناحية أخرى ولتبع في ذلك وسائل عدة، ونجحت لاحقاً في إقامة قواعد عسكرية في بعض دولها.

أما بالنسبة إلى روسيا فإن مصالحها في هذه المنطقة واضحة ومعروفة أيضاً وحتى إذا ما تجاهلنا المصالح الاقتصادية تجنباً للإطالة، فإنه يمكن الإشارة إلى ما تمثله جمهوريات أسيا الوسطى من أهمية بالنسبة إلى روسيا على الصعيد الأمني سيما وإن دول المنطقة تعتبر بمثابة للفناء الخلفي لروسيا، وهي أيضاً -وكما أسلفنا سابقاً- تعتبر بمثابة البطن الرخوة لها.

وإزاء هذا الواقع لم يكن بمستطاع روسيا أن تتجاهل هذه المنطقة المجاورة لها وهو ما يفسر سعيها الدائم لأن يكون لها حضور دائم فيها لأسباب تاريخية، جغرافية، وسياسية، وأمنية، واقتصادية الخ.

وإذا كانت السنوات التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي قد شهدت بعض التراجع الروسي في هذه المنطقة ولأسباب تمت الإشارة إليها سابقاً إلا أن روسيا ما لبثت أن استعادت للكثير من مواقع نفوذها في دول أسيا الوسطى وبقوة. وهو ما يمكن أن نعتبره -في تقديرنا- تراجعاً من أجل التقدم إن صح التعبير ذلك لأن روسيا كانت تتجنب المجابهة المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهي سعت إلى إتباع أساليب هادئة لتأمين حضورها منها إضافة لما سبق ولن ذكرناه، السيطرة على موارد الطاقة، وتعزيز أواصر التعاون العسكري لو-على الأقل- الاحتفاظ ببعض قواعد العسكري

سواء في آسيا الوسطى أو غيرها من الدول المجاورة لها وهي اليوم تملك قواعد عسكرية في قرغيزيا وطاجيكستان، وحتى في أرمينيا وجورجيا.

من ناحية أخرى، تمكنت روسيا من استغلال مخاوف بعض دول آسيا الوسطى في زيادة التدخلات الأمريكية في المنطقة وتسخيرها لصالحها لاحقاً من خلال تقديم الدعم لتلك الدول والعمل معها للحيلولة دون تزايد النفوذ الأمريكي من ناحية، وإزالة القواعد العسكرية في المنطقة من ناحية أخرى. وهو ما تحقق مع أوزبكستان على سبيل المثال، والذي يمثل في تقديرنا نجاحاً للدبلوماسية الروسية.

وبالنسبة للصين فهي أيضاً تتشاطر روسيا والولايات المتحدة اهتمامها بمنطقة آسيا الوسطى. حيث كانت وما زالت تشعر بأن أي وجود أمريكي في المنطقة يأتي في إطار سعي الولايات المتحدة لاحتوائها من ناحية وللحيلولة دون تغلغلها في دول المنطقة من ناحية أخرى. أضف إلى ذلك، أن أي تواجد غربي في المنطقة يمثل خطراً عليها وعلى مصالحها في ظل وجود تنافس صيني-أمريكي، وفي ظل تنامي النفوذ الاقتصادي والسياسي الصيني في المنطقة.

وعليه تحاول الصين كسب دول المنطقة إلى جانبها من جهة، وتحقيق حضور دائم لها من جهة أخرى وذلك من خلال زيادة التعاون الثنائي، وزيادة الاستثمارات الصينية في المنطقة، والعمل على إقامة أطر مختلفة للتعاون الأمني والسياسي، والوقوف بقوة مع بعض دول المنطقة أيضاً والتي عبرت بشكل أو بآخر عن مخاوفها من زيادة التدخلات الأمريكية مؤخراً كالموقف الصيني من أحداث أنديجان المشار إليها سابقاً والتي جاءت مؤيدة وبقوة للموقف الأوزبكي وغيره.

وبكلمة فإنه يمكن القول، إن هذه المنطقة ستبقى محور اهتمام القوى الدولية، ومحور تنافسها مستقبلاً ما دامت المصالح قائمة وكذلك الأطماع الدولية. ولا يستبعد أن تكون المنطقة مرشحة مستقبلاً للعديد من النزاعات ليس فقط بسبب وجود تلك الأطماع، وإنما أيضاً لوجود الكثير من المشاكل الداخلية التي تعاني منها دول آسيا الوسطى والتي يمكن أن تستغل بشكل أو بآخر لمزيد من حالات التدخل. ومما يشجع على قول ذلك هو أن الكثير من دول المنطقة منتجة للبترول، وهي مرشحة في ضوء الواقع والاحتياجات الموجودة فيها من البترول والغاز لأن تكون بديلاً عن منطقة الشرق الأوسط غير المستقرة وهو ما تسعى إليه الدول الكبرى خاصة.

العلاقات البريطانية-البحرينية

الاستاذ المساعد الدكتور

قيس ناطق محمد^(١)

مقدمة

تعد منطقة الخليج العربي من اهم المناطق الاستراتيجية في العالم، ليس لاهمية موقعها الجغرافي كنقطة وصل بين الشرق والغرب، وانما لكونها تحتوي على اكبر احتياطي للنفط في العالم، وبحثنا هذا يمثل خطوة نحو توضيح علاقة بريطانيا بالخليج العربي عامة والبحرين خاصة، للكشف عن حقيقة المصالح البريطانية ومحاولاتها الاستعمارية للسيطرة على المنطقة تدريجياً والعمل على ابعاد الدول المنافسة لها في الخليج. واعتبرت بريطانيا أي سيطرة او تواجد بمثابة تهديد لأمن المنطقة وسلامتها، فضلاً عن ذلك كشف البحث عن العلاقات التي ربطت بريطانيا ببعض شيوخ العرب من خلال المعاهدات لتضمن ولائهم لها حتى لا تضطر الى الوقوف بوجه دولة استعمارية اخرى لا ترغب في مواجهتها.

البحث لنضوي على عدة محاور مهمة اكدت على اهمية الموقع الإستراتيجي للبحرين وأهمية اختيار بريطانيا للبحرين الذي لم يكن مصادفة، وانما كان بتخطيط وتكبير غاية في الدهاء، علماً ان هذا التكفل بدأ مبكراً عن باقي المشيخات العربية من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها بريطانيا مع البحرين في وقت مبكر من التاريخ الحديث، لقد اثبت التاريخ العربي بأن الذرائع والحجج الواهية التي يتشذق بها الاستعمار غير قادرة بالمرة على منع قدرات المنطقة العربية في المواجهة والتصدي لها.

تمهيد

البحرين مجموعة من الجزر تبلغ مساحتها حوالي ٦٢٢ كم، واكبر هذه الجزر جزيرة البحرين^١ طولها ٤٥ كم^٢ وعرضها ١٥ كم^٣ وبها ينابيع مياه عذبة وتزرع فيها محاصيل الخضراوات، وبينها وبين الساحل العربي ١٢ ميلاً وبين الساحل الفارسي ١٨٢ ميلاً^٤.

^(١) استاذ في كلية التربية للبنات-جامعة بغداد.

^١ علل رضا، عمان والخليج "قضايا ومنقشات"، مصر، ١٩٦٩، ص ٢٢.

^٢ فؤاد رزق، واحد سلمي مصطفى، جغرافية الوطن العربي (دراسة طبيعية اقتصادية سياسية مع دراسة شاملة)، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠، ص ٤٠.

تقع جزيرة البحرين في حوض الخليج العربي بين دائرتي عرض ٢٥ - ٢٦ شمالاً وبين خطي طول ٥٠ - ٤٥ شرقاً، وتحتل مدخل خليج سلوى الذي يفصل شبه جزيرة قطر في الشرق عن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في الغرب.^٣

وهذه الجزر امتداد طبيعي للجزيرة العربية وكانت متصلة بالساحل الشرقي لجزيرة العرب وانفصلت عنها نتيجة لبعض تحركات القشرة الأرضية في العصور الجيولوجية المختلفة، ويصلها الآن بشبه الجزيرة العربية جسر الملك فهد المكون من أربعة أرصفة واسعة والذي افتتح عام ١٩٨٦.^٤

يتميز موقع البحرين بأنه في منتصف دائرة قطرها نحو ٥٠٠٠ كم تشمل جميع أراضي مسقط والامارات العربية وجنوب إيران وجنوب العراق والساحل الشرقي للسعودية ودولة الكويت، وهذا يؤدي الى سرعة وسهولة اتصال البحرين بهذه الاقطار.^٥

كما يشكل هذا الارخبيل اكبر مجموعة جزرية في الخليج العربي واقدمها عمراناً فقد اوردت النصوص التاريخية ان اول تقدم تجاري بحري ظهر في هذه الجزر على يد الفينيقيين والكنعانيين وتغير اسم هذه الجزر مرات عديدة، كما انها تعرضت للسيطرة الاجنبية والمنازعات المحلية والعالمية سنين طويلة.^٦

وتتألف البحرين من مجموعة من الجزر يقدر عددها بـ ٣٠ جزيرة.^٧ بعضها صحراوي قاحل وبعضها مأهول بالسكان، وان اهم هذه الجزر جزيرة (المنامة) تقع بين خطي الطول الشرقي (٥٠٢٢ - ٥٠٤٠) وخطي العرض الشمالي (٢٥٤٧ - ٢٦١٨) يبلغ طولها حوالي ثلاثين ميلاً، ومجموع معدل عرضها تسعة اميال.^٨ وهناك جزيرة واحدة الى الشرق وهي المحرق واخرى الى الغرب هي البدع.^٩

^٣ معهد البحوث والدراسات العربية، دولة البحرين (دراسة في تحديات البيئة والاستجابة البشرية)، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤٩.

^٤ forms.com/kobhttp://bahrain

^٥ احمد رمضان شقيلة، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين (دراسة جغرافية واقتصادية) مطبعة الارشاد، ط١، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٤.

^٦ سلام سعيون المبادر، الخليج العربي دراسة في جغرافية الاقليمية دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٢٣٨.

^٧ The new encyclopacdia Britannica, vol: 1, U.S.A. 1986

^٨ المبادر، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

^٩ امين الريحاني، ملوك العرب، نجد والكويت، عريستان، البحرين، العراق، ج٢، دار الريحاني للطباعة والنشر، ط٥، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٠٦.

تقع حدود البحرين مع جميع جاراتها ضمن مياه الخليج العربي التي تتخذ شكل الممرات، فمع السعودية لا تمتد لأكثر من ٩ كم ومع قطر ١ كم ونظراً لضيق المسافات المائية بين البحرين وجاراتها العربيات فقد اضطرت إلى وضع الحدود بينها وبين البحرين عن طريق عقد المعاهدات التي تحدد تلك الحدود بينها، ورغم ذلك فقد سببت حدودها مع قطر مشكلات سياسية واقتصادية خاصة حول ملكية منطقة الزبارة وجزر حول^{١٠}.

لقد تعددت تسمية البحرين منذ القدم حتى الوقت الحاضر فقد سميت (نلمون) منذ نحو ٣٠٠٠ ق.م زمن الحكم السومري والبابلي، وفي عصر الجاهلية أسماها سكانها "أوال" AWAL نسبة إلى صنمهم لذلك، أما أصل اسم البحرين الحالي فقد اختلفت فيه الآراء وقربها إلى الحقيقة اثنان الأول أن اسم البحرين الحالي كان يطلق على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية والتي كانت جزر البحرين ضمن أراضيها^{١١} والثاني يقول أن اسم البحرين يرجع إلى وقوع هذه الجزر بين عشرات الينابيع البحرية العذبة وبين مياه الخليج المالحة^{١٢}، أما سكان البحرين فمعظمهم، عرب يرجعون في أصلهم إلى سلالات عربية بعضها كان يقطن تلك المناطق منذ عهد بعيد، والبعض الآخر جاء إليها من الجزيرة العربية في مراحل مختلفة.

وابرز عشائر البحرين العتوب الذين يرجعون إلى بني عتبة^{١٣}. والسادة من سلالة الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" والدواسر وغير ذلك من القبائل التي تنتمي إلى بني خالد وآل خليفة الذين هم حكام البلاد^{١٤}، كما توجد في البلاد القليات أخرى، أما بالنسبة للدين الإسلامي هو الدين الرسمي للبلاد، كما أن هناك عدداً كبيراً من الهندوس وبعض النصارى واليهود^{١٥}.

وبعد استخراج اللؤلؤ من البحر مصدر للثروة الأول بالنسبة للسكان، ولؤلؤ البحرين من أروع اللؤلؤ في العالم واغلاها ثمناً، ويرجع السبب في ذلك إلى وجود

١٠ ناحية تابعة لقضاء قطر في العهد العثماني، تقع على الساحل مقابل جزيرة البحرين من جهة الجنوب، أول من عمرها وأنزل بها هو الشيخ أحمد رزق الخالدي في حوالي ١٢٢١ هـ وأصلهم من النعنة، سكن الزبارة قبيلة آل (بو علي) والجلهمة والمعلودة وقد ولد فيها ثاني أكبر جد لآل ثاني حكام قطر، للمزيد محمود بهجت عدنان، تاريخ قطر العام، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٦، ص ١٣.

١١ شقلية، المصدر السابق، ص ١٤-٢٥.

١٢ عبد الله وليمن (وليم ريتشارد وليمن)، جولة في الخليج العربي، ترجمة سليم طه التكريتي، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢، ص ١٩.

١٣ جان جاك بيربي، الخليج العربي، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، ١٩٥٩، ص ٦٨.

١٤ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٥، ص ٩٨.

١٥ أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

الينابيع العذبة في قاع البحر، ومغاص اللؤلؤ في البحرين لكبرمغاص في العالم^{١٦}. وقد قلت أهمية اللؤلؤ في كونه المصدر الأول للثروة وذلك بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي، لا سيما أن طريقة استخراج اللؤلؤ لا تزال قديمة وتتطلب الكثير من الجهد فضلاً عن الاخطار التي تسببها^{١٧}. وقد عبر العقاد عن أهمية هذه العملية حيث قال إن الغوص في البحرين مسألة حيوية، فقد ظهر رد فعل عنيف هناك حينما فكرت شركة بريطانية في سنة ١٨٧١ أن تنافس العرب في هذه الصناعة وذلك للحصول على امتياز لاستخراج اللؤلؤ وقد عدلت الشركة عن ذلك إذ أدركت أن مثل هذا الامتياز يتطلب استخدام قوة لصد العرب عن مقاومتهم^{١٨}. و تعد البحرين مركزاً لصناعة اللؤلؤ في الخليج، وكانت لذلك مصدر خلاف بين الدول المجاورة^{١٩}. كما نشطت تجارة البحرين على يد العتوب وبشكل واضح من خلال أسطولها التجاري الذي ساعدهم على القيام بنقل السلع ما بين مسقط والبصرة وغيرها من مناطق الساحل الغربي للخليج، كما سيطر ال خليفة على تجارة اللؤلؤ في الخليج مما أدى إلى ارتفاع مكانتهم التجارية في المنطقة^{٢٠}. كما أن البحرين ملائمة لإنشاء محطة بحرية فيها من الناحية الجغرافية لموقعها المتوسط بين رأس مسندم ومدخل شط العرب ولارضها الخصبة ومناخها يلائم الأوروبيين أكثر من جزيرة قشم أو مسقط^{٢١}.

أما مساحة البحرين الإجمالية فإنها تختلف من وقت إلى آخر لارتباطها بظاهرة المد والجزر في مياهها الإقليمية. وتنقسم جزر هذه الدولة إلى مجموعتين أولهما جزيرة المنامة وتوابعها وعددها مبعة عشر جزيرة وثانيهما جزيرة حوار وتوابعها وعددها ستة عشر جزيرة^{٢٢}. أما الزراعة فموجودة في شمال جزيرتي المنامة والمحرق وفي بعض جهات جزيرة سترة وتررع فيها المحاصيل الزراعية المختلفة وتوجد عيون

١٦ إمل إبراهيم الزبيدي، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٤-١٨.

١٧ زاهية قدورة، المصدر السابق، ص ٩٩.

١٨ صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانكسار المصرية، بدون مكان طبع، ١٩٧٤، ص ٤١.

١٩ مرف سيتون وأيمز، بريطانيا والدول العربية، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر، ديت، ص ٢١٩.

٢٠ نورية محمد ناصر الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني من ١٨٦٦-١٩٠٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧، ص ٥٠.

٢١ ب.ل. نارين، لمحة في بعض الوثائق التاريخية حول العوامل المؤثرة على المصالح الاقتصادية البريطانية في الخليج العربي عام ١٩٠٧، مجلة الوثيقة، العدد الثالث عشر، السنة السابقة للبحرين، ١٩٨٨، ص ١٧.

٢٢ شافعية، المصدر السابق، ص ٢٥.

كثيرة تساعد على ري الاراضي وقد سميت البحرين (حديقة الخليج) او (الوذة الخليج) وذلك لخصوبة اراضيها وتعدد مزارعها وانتشار العيون العذبة^{٢٣}.
لما بالنسبة لنسب آل خليفة قالها احدى العائلات لثلاثة^{٢٤} التي تؤلف عشيرة العتوب التابعة لقبيلة عنزة، كانت تسكن هذه العائلة في الاصل الصحراء العراقية لكنها نزحت نحو منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية ثم استوطنت الكويت سنة ١٧١٦^{٢٥}. وفي اثناء حكم الشيخ عبد الله الاول الصباح الحاكم الثاني للكويت خرج آل خليفة عن الكويت بعد ان ابطلوا تحالفهم مع آل صباح، الى الزبارة في قطر ثم استولوا على البحرين في الخليج العربي^{٢٦}. وعلى اثر نجاح آل خليفة في موطنهم الجديد بالزبارة ازداد نفوذهم وقوتهم تبعاً لذلك، مما اثار مخاوف الشيخ نصر آل مذكور^{٢٧}، زعيم قبيلة بومهيير وشيخ بوشهر والبحرين، وقد بذلت عدة محاولات للاستيلاء على الزبارة واخراج آل خليفة منها، وتشير المصادر الى ان آل صباح لم يتركوا بني عمومته في الزبارة لكي يعصف بهم عرب بوشهر فساندوهم ووقفوا الى جانبهم يؤازرونهم خصوصاً عندما تازم موقفهم بنزول الجيش الفارسي في الزبارة للاستيلاء عليها غير انهم واجهوا مقاومة من سكانها اضطروا على اثرها الى مغادرة الزبارة^{٢٨}.
تابع آل خليفة المعركة ونقلوها الى البحرين بمساعدة عتوب الكويت وقبائل من قطر ولم يصابف المهاجمون مقاومة تذكر في البحرين لان حاكمها الشيخ نصر تركها وفر هارباً الى بوشهر فتم احتلال البحرين بعد شهر من هزيمة قوات الشيخ نصر في معركة الزبارة، وانتسجت حاميات البحرين الى بوشهر في اب ١٧٨٣^{٢٩}. وفي هذه المرحلة استقام الامر هناك لآل خليفة وفي بعض الاوقات امتد حكمهم الى "الزبارة" ولم تكن في البحرين عاصمة لآل خليفة بل كالوا في الزبارة ويرسلون الى البحرين

٢٣ زاهية قدورة ، المصدر السابق، ص ١٠٠.

٢٤ العائلتان الاخيرتان هما في عائلة الصباح حكام الكويت وال سعود حكام السعودية.

٢٥ ملف العالم العربي، الدار العربية للوثائق، البحرين اسرة آل خليفة بـ ١١٠٣/١ رقم ١٦١١، ١٨ حزيران ١٩٨٠.

٢٦ راشد عبد الله الفرحان، مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، مصر، ١٩٦٠، ص ١٥٨.

٢٧ (ال مذكور) وهم احدى قبائل المطارين الصنعية، استوطنوا بوشهر عام ١٦٤٦، وفي عام ١٧٥٣ احتل الشيخ نصر البحرين واستقر فيها للمزيد ينظر:- احمد جودة جبار، البحرين من ١٨٢٠-١٨٧١ (دراسة تاريخية في علاقتها الاقليمية) رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والترات العلمي للدراسات العليا، بغداد ٢٠٠٢، ص ٤٧.

٢٨ نورية الصالح ، المصدر السابق، ص ٤٩.

٢٩ معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ١٧.

واليا من قبلهم وبعد مدة من الزمن انتقلت عاصمتهم الى مدينة المنامة في البحرين وارسلوا من قبلهم واليا الى الزبارة^{٣٠}.

انتزع آل خليفة جزر البحرين من العرب الموالين للفرس وجعلوها جزءاً من دولتهم، ونصب الشيخ احمد بن خليفة اول حاكم على البحرين لان اخاه محمد بن خليفة كان قد توفي بينما كان يؤدي فريضة الحج في مكة^{٣١}.

واطلق على احمد لقب الفاتح حيث قامت البحرين كأماره على يده عام ١٧٨٣ مع احتياظه بالزبارة مركزاً لعملياته الدفاعية وتعيين احد افراد عائلته على شؤون البحرين^{٣٢}.

توفي الشيخ احمد عام ١٧٩٦ وتولى الامارة من بعده ابنائه سلمان (١٧٩٦ - ١٨٢٥) واخوه عبد الله وقد فضل سلمان نقل سلطته من الزبارة الى البحرين واتخذ للرفاع مقراً له^{٣٣}.

وفي عام ١٨٠٢ قام للشيخ سعيد حاكم مسقط بالهجوم على الامارة والتجأ الشيخ سلمان الى حاكم نجد عبد العزيز بن سعود طالباً المساعدة وارسل الاخير جيشاً تمكن من طرد الغزاة، ولكنه اجبر عائلة آل خليفة بالاقامة في الدرعية التي كانت آنذاك عاصمة السعوديين^{٣٤} وتولى بنفسه حكم الامارة مكانهم، ولكن هيمنة آل سعود على الامارة كانت لمدة قصيرة من الزمن فقد طردوا من الامارة على يد قريب لعائلة آل خليفة هو عبد الرحمن الفضل واستعاد سلمان وعبد الله العرش وبعد فشل حاكم مسقط بالهجوم على الامارة خلال الاعوام ١٨٢٤ - ١٨٢٨ اضطر الى الاعتراف رسمياً باستقلال البحرين عام ١٨٢٩^{٣٥}.

توفي الشيخ سلمان سنة ١٨٢٥، حاول للشيخ عبد الله ان ينفرد بالسلطة املا في ان يبعد ابناء سلمان ويقرب ابناءه مما فجر صراعاً داخل اسرة آل خليفة امتد لسنوات طويلة وعلى مدى اكثر من جيل^{٣٦}. خلف سلمان ولده الشيخ خليفة كحاكم مشارك الى جانب عمه الشيخ عبد الله وبعد وفاة الخليفة انفراد عبد الله بالسلطة، وعن

30 علي الشرفي، العرب والعراق، ط١، بغداد، ١٩٦٣، ص٤٢.

31 محمود بهجت سنن، درة الخليج العربي، ط١، بغداد، ١٩٦٣، ص١٢٩-١٣٠.

32 امين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٥٨.

33 عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، علاقة سلطنة عمان ببريطانيا (دراسة وثائقية)، مطبوعات دائرة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٢، ص١٢٩.

34 Abdul Sattar Fawzi, The Persian claim to Bahrain, Baghdad, 1970, pp.809.

35 ملف العالم العربي، اسرة آل خليفة، المصدر السابق.

36 J.B.Kelly, Britain and the Persian Gulf 1795-1880, Oxford university press, 1968, p221.

حكم الشيخ عبد الله بقول لوريمر ان عدداً كبيراً من رعايا الشيخ عبد الله يزدلون ضيقاً بحكمه يوماً بعد يوم وان سكان الجزر اخذوا ينزحون عنها، فالمدن كانت في حالة خراب، وظهر ستة من لولاد الشيخ استقلالاً وحكماً مستقلاً كان همهم منصرفاً الى النزاع المال من التجار والاغنياء.^{٣٧}

لما المدة التي قضاهما عبد الله في الحكم فهي ٢٢ سنة وقعت فيها منازعات عدة تولى الحكم في النهاية محمد بن خليفة بن سليمان بن احمد بن محمد آل خليفة.^{٣٨} واجه محمد بن خليفة تحديات عديدة من العثمانيين والسعوديين والفرس كانت كلها تطمع بالجزيرة وضمها الى مناطق نفوذها، حاول محمد مجابهة هذه التحديات.^{٣٩} فاعترف للعثمانيين والفرس بحق السيادة على البحرين ورفع العلمين العثماني والفارسي على القلعة، (قلعة ابي ماهر في المحرق) الاول من الجهة الغربية حتى تراه السفن الخاضعة للدولة العثمانية على الساحل العربي والاثية من الغرب والثاني من الجهة الشرقية حتى يراه القادمون من فارس.^{٤٠} وبعد وفاة عبد الله بن احمد ظهر ابنه محمد بن عبد الله وسار على طريق ابيه، غير ان ثورته كانت اشد خطراً على ابن عمه (محمد بن خليفة)، اذ استطاع ان يذهب الى اللمام (في الساحل الشرقي للجزيرة العربية) معلناً ولائه لحكومة فيصل بن تركي الذي ساعده في ارسال حملة بأسم حكومة السعوديين للقيام بمحاولة غزو البحرين.^{٤١}

وفي سنة ١٨٥٩ بدأ فيصل بن تركي غزو البحرين، فأخذ محمد بن عبد الله على عاتقه مقاومة شيخ البحرين.^{٤٢} ركز محمد بن عبد الله هجومه على البحرين وضرب النمامة. فتدخلت بريطانيا وارسلت حكومة الهند قطعتين من الاسطول قامت بقصف اللمام لتضع حداً للتطورات التي شهدتها المنطقة.^{٤٣}

٣٧ جون لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب امير دولة قطر، ج ١، ٣، ٦، الدوحة، ١٩٦٧، ص ١٢٢٩.

٣٨ خضير نعان العبيدي، البحرين من امارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩، ص ٣٩.

٣٩ فؤاد اسحق الخوري، القبيلة والدولة في البحرين، معهد الامماء العربي، ط ١، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٢.

٤٠ احمد محمود صبحي، البحرين ودعوى ايران، مطبعة عوف، الاسكندرية، ١٩٦٢، ص ١٣٧.

٤١ امل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٧١.

٤٢ محمد عرابي، تاريخ الاحساء السلياسي ١٨١٨-١٩١٣، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٣٢.

٤٣ امل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٧١.

وفي سنة ١٨٦٢ تقدم فيصل بن تركي الحاكم للمعودي بطلب الصلح من محمد بن خليفة مع لبناء عمه من آل عبد الله برغبة منهم بعد ان عجزوا عن نحر محمد بن خليفة وعادوا الى البحرين فعفى عنهم الشيخ محمد وكرمهم^{٤٤}.
وفي عام ١٨٦٧ ظهرت الاضطرابات من جديد في الوكرة والدوحة^{٤٥}، ضد احمد بن محمد آل خليفة الحاكم المقيم هناك^{٤٦}، حيث ثار القطريون وفي مقدمتهم آل النعيم بسبب سياسته تجاههم، مما ترتب عليه القبض على (علي بن ثامر) رئيس آل النعيم وإيداعه السجن في البحرين عام ١٨٦٥^{٤٧}. فثار لذلك آل النعيم واستعانوا بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني^{٤٨}، الذي توجه على رأس اتباعه الى حيث يوجد عامل قطر في الوكرة فلذا الاخير بالفرار وبلغ شيخ البحرين بما حدث في قطر^{٤٩}.
قام الشيخ قاسم بن ثاني بارسال رسالة الى حاكم البحرين شرح فيها موقف عامله وسوء تصرفه وعدم كفايته على ادارة البلاد، وطلب منه منح قطر استقلالاً ادارياً وعدم التدخل في شؤونها الداخلية^{٥٠}.

فرد شيخ البحرين على الرسالة بدعوة قاسم آل ثاني الى البحرين للتباحث معه في هذا الامر، وما ان وصل قاسم الى البحرين اودع السجن، وبذلك الفعل كان محمد يحاول كسب الوقت لمهاجمة قطر فقام في عام ١٨٦٧ بالهجوم على قطر بالحالف مع شيخ ابو ظبي، وغزا الوكرة والدوحة فاستغلت ضحايا الغزو بالسعوديين، وجاءت لنجدتهم بشن هجمات بحرية متفرقة ضد سفن البحرين^{٥١}.

لتاحت تلك الاحداث للفرصة امام الإنكليز للتدخل لانها مخالفة لاتفاقية عام ١٨٦١^{٥٢}. لذلك قام الميجور بيلي (Belly) المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمحاصرة البحرين في اب عام ١٨٦٨، وقام بمحاصرة (قلعة ابي ماهر) التي كان مرفوعاً عليها علم فارس والدولة العثمانية، فانزل العلمين ثم احرق اسطول البحرين

٤٤ محمود بهجت سنن، المصدر السابق، ص ٦٧٥.

٤٥ الوكرة موضع على الطرف الشرقي لشبه جزيرة قطر الى الجنوب من الدوحة.

٤٦ سعد عوض بلوزير، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط٢، عدن، ١٩٦٦، ص ١٥٨.

٤٧ بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ج ٢، ط١، الكويت، ١٩٨٨، ص ٣٦.

٤٨ الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ١٨٢٣-١٩١٣: ينتمى الى قبيلة المعاضيد القطرية ممن يعود نسبهم الى قبيلة تموم، تولى الحكم في قطر منذ عام ١٨٨٧. للمزيد ينظر، موسوعة اعلام العرب، مجموعة بلخثين، بغداد ٢٠٠٠، ص ٤١١.

٤٩ فلق حمدي طهوب، تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣-١٨٧٠، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٧٨.

٥٠ محمود بهجت سنن، تاريخ قطر العلم، ط١، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦، ص ٧٢.

٥١ فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٣.

٥٢ وهي معاهدة تم التوقيع عليها في ٣١ ايار ١٨٦١ والتي سميت من قبل الحكومة البريطانية باسم معاهدة الصلح الدائم او الصداقة مع بريطانيا.

الشراعي، ولم يكن باستطاعة الشيخ محمد المقاومة ففر الى الجزيرة تاركاً السلطة لآخيه (علي بن خليفة)^{٥٣}. ولم يرفع الحصار عن البحرين الا بعد ان وقع الحاكم الجديد اتفاقية ايلول ١٨٦٨، جاء في مقدمتها "ان محمداً قد ارتكب مراراً وتكراراً اعمال للقرصنة، لذلك فقد زالت صفته الشرعية كشيخ البحرين الاول، واتني الشيخ علي لوافق على الشروط التالية:"

١. تسليم جميع السفن البحرية التي يملكها الحاكم السابق والحاكم الحالي أي (الشيخ محمد والشيخ علي)
 ٢. دفع مبلغ مائة ألف روبية الى الانكليز يدفع (٢٥٠.٠٠٠) روبية دفعة اولى^{٥٤}. و (٧٥.٠٠٠) روبية على ثلاثة أقساط سنوية عن البحرين^{٥٥}.
 ٣. ابعاد محمد بن خليفة نهائياً عن حكم البلاد، وفي حال عودته الى البحرين على الحاكم ان يسلمه الى المقيم البريطاني^{٥٦}.
- وما كاد الشيخ علي ان يصبح حاكماً على البحرين حتى اخذ بفاوض البريطانيين للسماح لآخيه محمد بالعودة الى البحرين، ومع دخول محمد البحرين اخنت المشاكل نكب من جديد، فأبعد محمد الى الكويت ومنها انتقل الى القطيف^{٥٧}. وتحالف مع ناصر بن مبارك بن عبد الله آل خليفة^{٥٨}. وبدعم من افراد آخرين من العائلة وعدة مئات من البدو يساندوه من داخل البحرين، محمد بن عبد الله حاكم مدينة الرفاع في عهد الشيخ علي، فقاموا بالهجوم على البحرين وتم احتلالها وقتل الشيخ علي بن خليفة واعلن محمد بن خليفة نفسه حاكماً على البحرين^{٥٩}. بعد ذلك انقلب محمد بن عبد الله على حلفائه فسجن محمد بن خليفة واعلن نفسه حاكماً على الامارة^{٦٠}. وجاء التدخل البريطاني ليندفع بالامور باتجاه جديد حيث قام المقيم السياسي بالتوجه الى البحرين تصحبه السفينتان الحريبتان الملكيتان دافني ونيف، وزورقاً المدفعية (كلايد وهيو روز) من بحرية بومباي، وتم قصف قلعة المنامة من اتجاه البحر وتدميرها، كما تم

53 فؤاد سعيد العلويد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣-١٩١٤، ط١، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٤١.

54 عملة هندية لا تزال تستخدم لحد الان وكانت تساوي تقريباً (١٥) روبية بلون استرليني واحد، ينظر حسني محمد القهواني، دور البصرة في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤، بغداد، ١٩٨٠، ص ٩٧.

55 خضير نصار العبيدي، المصدر السابق، ص ٢٧.

56 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

57 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٤.

58 ناصر بن مبارك بن عبد الله آل خليفة هو زعيم آل عبد الله المنشقين عن آل خليفة.

59 J.B. Kellye op. cit, p. 682

60 Ibid, p. 683

اسر واعتقل جميع من كان فيها عدا ناصر بن مبارك الذي فر الى البر العربي^{٦١}. وتم نفي الحاكم الجديد الى الهند مع الشيخ محمد بن خليفة وسجنوا هناك^{٦٢}. وقد توفي الاول سنة ١٨٧٧ بينما نقل الثاني الى عدن وبعد عشر سنوات امضاها في السجن اطلق سراحه شرط ان لا يعود الى البحرين ابداً وقد توفي عام ١٨٩٠^{٦٣}.

المبحث الاول

البحرين بعد تنصيب الشيخ عيسى بن علي حاكماً عليها

عندما قتل الشيخ علي بن سلمان آل خليفة سافر ابنه عيسى^{٦٤}، مع اخوته وبني عمه الى قطر فزلوا ضيوفاً عند قبيلة النعيم، وعندما استقنى الوكيل السياسي البريطاني ببلي (Belly) اهل البحرين (رؤساء القبائل)^{٦٥}. اجمع رايهم على الشيخ عيسى فكتب اليه الوكيل يخبره بذلك ويسأله ان يعود فعاد مع اخوته وابناء عشيرته وقبيلة النعيم ونزلوا في المحرق ثم نصب حاكماً على البحرين وهو في الحادي والعشرين من عمره، فعاد الحكم الى آل سليمان وكانت فيه خاتمة الفتن والحروب الاهلية^{٦٦}. وقد اثارت هذه الخطوة البريطانية القاسية التي حصلت في الوقت الذي فتحت به قناة السويس، معارضة فارس والدولة العثمانية^{٦٧}.

هيمنت بريطانيا على العلاقات الخارجية وعلى امر الدفاع عن البحرين هيمنة كاملة، وحرّم حكام الجزيرة حق امتلاك اسطول حربي كما حرّموا حق تأجير الاراضي لأية قوة اجنبية سواء كانت غاية التاجير دبلوماسية ام تجارية^{٦٨}، دون موافقة بريطانيا المسبقة وحرّموا ايضاً من حقهم للشرعي في النظر بالدعاوى المقامة ضد الاجانب عرباً كانوا ام فارسيين ام عثمانيين ام لوربيين، وكانوا هؤلاء الاجانب يشكلون قطاعاً كبيراً من سكان البحرين^{٦٩}.

٦١ سي يو اتجيسون بي سي اس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة السعيد الركن عبد الوهاب عبد الستار القصب ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٢، ص ٢٢٥.

٦٢ امل ابراهيم الزبيدي، المصدر السابق، ص ٧٩.

٦٣ ملف العالم العربي، البحرين اسرة آل خليفة، المصدر السابق.

٦٤ هو عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد بن محمد تاجر اللوات بن خليفة للمزيد ينظر امين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، المطبعة الطوية ليوسف صابر، بيروت، ١٩٢٨، ص ٢٧٦.

٦٥ فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٤٦.

٦٦ امين الريحاني، تاريخ نجد...، المصدر السابق، ص ٢٧٦.

٦٧ حيث كانت كل من فارس والدولة العثمانية تدعي سيادتها على البحرين ولها فيها مصالح.

٦٨ ملف العالم العربي، المصدر السابق.

٦٩ فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ٥٠.

تم انتخاب عيسى بن علي آل خليفة لثغر تدول ببلي مع وجهاء البحرين^{٧٠}، سجل هذا التدخل البريطاني في شؤون البحرين بداية وضع جديد تحرك بعده الانكليز في العقدين التاليين لاكمال سيطرتهم للتامة على البلاد شهد عهد الشيخ عيسى توثيق العلاقات بينه وبين بريطانيا طوعاً على نحو أصبحت معه الكلمة العليا لبريطانيا في شتى النواحي الداخلية والخارجية^{٧١}.

تقدمت البحرين تقدماً عظيماً في التجارة والثروة واستتب فيها السلم بعد ان كانت لا تعرف السلام وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى، ولكنه كان محافظاً على القديم لا يحب التغيير ويكره كل جديد، لذا فقد كان يتصلام دائماً مع الوكيل السياسي عندما كان يريد القيام بأي عمل عمراني^{٧٢}.

كان الشيخ عيسى محبوباً لدى الاهالي، فليده في حكمه واسس دوائر الشرطة والمحاكم فانتشر الامن وازدهرت التجارة وتحسن الفوص، وانشئت، المدارس والبلديات ودائرتا الاوقاف والطب في ايامه^{٧٣}.

بالمقابل لفتت البحرين انتباه الشركة الانكليزية منذ مطلع القرن الثامن عشر حيث اقترح ممثلو الشركة في الخليج العربي منذ عام ١٧٠٠ ان تنقل وكالة بندر عباس (جميرون) الى البحرين، ومنذ مطلع القرن التاسع عشر وضعت الشركة وكيلا لها في البحرين تابعاً لبوشهر بعد عام ١٨٢٤^{٧٤}.

وكانت سياسة بريطانيا ما بين عامي ١٨٢٠ - ١٨٦٩ ترتكز على حجة نكح القرصنة^{٧٥} والحروب متخذة لياها ذريعة للوصول الى اهدافها الاخرى فأبرمت بريطانيا معاهدات لهذا الغرض مع شيوخ كل من ساحل المهانة وقطر والبحرين بحجة ان القرصنة قامت بتهديد التجارة^{٧٦}.

⁷⁰ J.B. Kellye op. cit, p. 683

⁷¹ معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٨.

⁷² حفظ وجهة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٠١.

⁷³ جواد سليم العريض، تاريخ آل خليفة، مجلة هنا البحرين، العدد ١١٩، السنة الخامسة، كانون الاول، ١٩٦١، ص ٤٧.

⁷⁴ عبد العزيز عبد القوي ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي (دراسة وثائقية) ط١، الرياض، ١٩٨١، ص ١٥٦.

⁷⁵ تتردد كثيراً كلمة (قرصنة) في المصادر الانكليزية والحقيقة ان الانكليز خلفوا المبررات القانونية والسياسية بغية التدخل في شؤون المنطقة بدوافع تارة باسم القرصنة واخرى تجارة الرقيق، ولكن في الحقيقة تمثل هذه الكلمة المقاومة العربية ضد النفوذ الاجنبي للمزيد ينظر:- حسين محمد الهوائس، المصدر السابق، ص ١٧٩

⁷⁶ علي ابا حسين، العوامل المؤثرة على المصالح الاقتصادية البريطانية في الخليج العربي عام ١٩٠٧، مجلة الوثيقة، العدد الثالث عشر، السنة السابعة، تموز البحرين، ١٩٨٨، ص ١٤.

لذلك ولكي تؤمن بريطانيا على مصالحها في الخليج عمل المقيم السياسي البريطاني^{٧٧} كل ما في وسعه لقطع الصلة بين قطر والبحرين واستطاع فصل البلدين عن بعضهما رغم كل الصلات التي كانت تربط بينهما موهماً شيوخ البحرين بأن استمرار العلاقة ستغرقهم في مشاكل الساحل^{٧٨}.

وكانت النقطة الفاصلة بين البحرين والساحل هي (الزبارة)^{٧٩} التي تعد محور للعلاقة بين البحرين وقطر والتي بقيت تدين بالولاء لآل خليفة منذ مغادرتها والعبور الى البحرين، وبالفعل تحالفت السعودية وقطر عام ١٨٧٠ لغزو البحرين واحتلالها، واخذ الشيخ عيسى يد العدة لمواجهتهما وما ان سمع المتحالفون بذلك تطلوا عن غزوه للبحرين^{٨٠}.

لقد ادى احتلال الدولة العثمانية للاحساء الى ان تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر التي كان مسلماً بها من قبل، موضع الخلاف^{٨١}، وفي سنة ١٨٧١ كلفت حكومة بومباي المقيم السياسي في الخليج للكونول نبلي بكتابة تقرير عن هذا الموضوع لكنه قام بأجازة قبل ان يضع التقرير اعتقاداً منه بإمكانية جلاء الدولة العثمانية عن الاحساء، وظل الموضوع معلقاً حتى صيف ١٨٧٣ حين تردد ان ضابطاً عثمانياً قد ذهب الى الزبارة في قطر لاقناع سكانها بالاعتراف بسيادة الدولة العثمانية^{٨٢}.

تحرك شيخ البحرين ليجدد مزاعمه في السيادة على الزبارة على اساس ان قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه، وقد اعترفوا بذلك في وجود الكولونيل نبلي، عام ١٨٧٣ لم يعترض المقيم السياسي على الزيارة التي قام بها الشيخ عيسى لحامية البحرين في الزبارة، وهي حركة تستهدف مواجهة نشاط العثمانيين المتزايد في ذلك الجزء من الجزيرة العربية^{٨٣}.

٧٧ ليس لبريطانيا اتصال في الخليج لان وظيفة الاتصال تجارية ومصالحها في الخليج تقتضي ان يكون لها ممثلون سياسيون، ففي بوشهر يوجد وكيل سياسي اول يرجع اليه الوكلاء والموظفون السياسيون في الكويت والبحرين والنجف وغيرها من الجزر والاسكندر، اما مرجع الوكيل السياسي في بوشهر فهو حكومة الهند، وبما ان البحرين فيها الكثير من الهنود فقد اطلقوا على الوكيل السياسي فيها لقباً هندياً فهو يدعى (بلوون) والمقيم ممثل بريطانيا في الخليج وكان يتبع وزارة المستعمرات حتى عام ١٩٤٩، حيث صار بعد ذلك يتبع وزارة الخارجية البريطانية ويعمل كقنصل لبلاده وكان مقره في بوشهر ثم انتقل الى البحرين عام ١٩٤٦.

٧٨ مصطفى مراد الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٤.

٧٩. ينظر ملحق رقم (١).

٨٠ مصطفى مراد الدباغ، المصدر السابق، ص ١٥.

٨١ محمد عرابي نخلة، المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٢.

٨٢ لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٢٣٦.

٨٣ جيمس بلجريق، البحرين، ترحب بكم، مطبع وزارة الصناعة، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٤٨.

استأحت بريطانيا حينما بدأ العثمانيون (الذين يسيطرون على قطر حيث أصبحت تابعة لهم بعد حملة الاحساء) يسيطرون سلطنتهم على الساحل القطري وبلغ التوتر لوجه حينما باشر العثمانيون ببناء قلعة عسكرية في ميناء الزبارة المواجهة للبحرين والذين عدوه خطوة على طريق تهديد البحرين^{٨٤}. فأوعزت الى الشيخ عيسى للاحتجاج على هذا العمل باعتبارها (تقع ضمن املاكه)، وفي ذات الوقت انذرت بريطانيا اسطنبول بالتدخل لحماية البحرين فتوقف العمل في القلعة^{٨٥}. في حين سعى العثمانيون على تحريض قبيلة بني هاجر بزعماء الشيخ ناصر بن مبارك آل خليفة (وهو كما مر سابقاً من المنشقين عن آل خليفة) على غزو البحرين انطلاقاً من قطر عام ١٨٧٤. ولكن المحاولات البحرية البريطانية احبطت محاولتهم وعلى اثرها تدخل شيخ البحرين مباشرة بتعزيزات مسلحة لمدينة الزبارة ولقبيلة النعيم التي عذاها احدى رعاياه وفق توجيه المقيم البريطاني في الخليج العربي^{٨٦}.

وفي ١٥ تشرين الثاني عام ١٨٧٥ تمكن ناصر بن مبارك بمعاونة قاسم بن ثاني من الاستيلاء على ميناء الزبارة، وعلى الفور طلبت حكومة الهند من الكولونيل وليام روس (Ross) بأن يقوم بالسفينة تيزر Teazar^{٨٧}. لرد ذلك الهجوم واعطته الصلاحيات التامة للمحافظة على المهانة البحرية في الخليج، وقد اشترك الشيخ عيسى بن علي مع الكولونيل روس في ذلك الهجوم مبيناً انه اذا تم لاعدائه (قاسم بن ثاني وناصر بن مبارك) الاستيلاء على الزبارة فسوف تصبح البحرين معرضة لهجمات مفاجئة، واكثر من ذلك فان فشله في مساعدة قبائل النعيم سوف تجعل منهم بمثابة اعداء له^{٨٨}.

ووصفت العلاقات خلال عامي (١٨٧٦ - ١٨٧٧) بحالة من التوتر الشديد اثر انقسام قبيلة بني هاجر الى قسمين احدهما مع زعيمها الشيخ ناصر بن مبارك المطالب في حقوقه واملاكه في البحرين والاخرى مع قبائل النعيم المقيمة في الزبارة للموالية للبحرين^{٨٩}.

^{٨٤} رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٦٨.

^{٨٥} جمال زكريا قاسم، دراسة تاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، الكويت، ١٩٧٤، ص ٢٢٨.

^{٨٦} J.B. Kellye op. cit, p. 761-762

^{٨٧} هذء عبد الواحد عبد الرضا الاسدي، البحرية البريطانية ودورها في احداث الخليج العربي ١٨٥٨-١٩٠٧، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠، ص ٨٥.

^{٨٨} جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤، المصدر السابق، ص ٢٢١.

^{٨٩} عصام عبد الغفور النعيمي، العلاقات السياسية القطرية - البحرينية ١٨٦٨-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والترات الوطني للدراسات العليا بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

وبطول العام ١٨٧٨ زاد الامر سوءاً لكلا المشيختين العربيتين وتفاقم الصراع حول الزبارة وسقطت على يد الشيخ قاسم آل ثاني وبمعاونة الشيخ ناصر بن مبارك ، استطاع شيخ قطر من تجهيز حملة عسكرية لوقعت بقوات النعيم في الزبارة خسارة فادحة بعد حصار دام خمسة عشر يوماً عرفت باسم ((حصار الزبارة)) و ((شد القلعة))^{٩٠}.

وحول الموضوع نفسه تلقى المقيم البريطاني معلومات من ديكن (Dicken) قائد سفينة العرب (Al-Arab) لارسية في البحرين اثر وصوله الى المنطقة الاخيرة على متن السفينة تيزر (Teazar)^{٩١}. والتي تفيد بأن هناك هجوماً يده شيخ قطر مع ناصر بن مبارك لاحتلال الزبارة في الساحل المواجه للبحرين في ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٨ وعلى اثر ذلك توجه المقيم البريطاني على متن السفينة يتزر بقيادة الكابتن ودهاوس (Wodehouse) الى الزبارة بمهمة تقصي الحقائق حتى وجد ان شيخ قطر وناصر بن مبارك يعدان العدة للهجوم على قبائل بني مرة، وقد حذر المقيم البريطاني الاثنيتين معاً من مغبة أي هجوم تتعرض له البحرين^{٩٢}.

كان موقف شيخ البحرين خلال هذه الهجمات التي شنّها الشيخ قاسم على رعاياه في الزبارة وبتوجيه من المقيم البريطاني بالكف عن التدخل في شؤون قطر الداخلية، الا ان السلطات البريطانية كانت ترمي من ذلك عدم الاصطدام المباشر مع العثمانيين من خلال الشيخ وصلته بقبائل النعيم في الزبارة^{٩٣}.

واصدرت حكومة الهند تعليماتها الى المقيم البريطاني روس في ٢٢ تشرين الثاني بالتوجه الى البصرة على متن السفينة الحربية فلتشر لمناقشة موضوع الزبارة والفعاليات البحرية في المنطقة مع والي العثماني الموجود هناك، وجاءت نتيجة المفاوضات بأن والي البصرة اصدر امراً لوالي القطيف العثماني بأن يطلع الحكومة العثمانية على ما يدور من احداث في المنطقة^{٩٤} لو ان يرسل السفينة العثمانية الاسكندرية للتوجه الى الزبارة لحسم النزاع القائم، وان يحذر شيخ قطر من القيام بأي فعاليات بحرية^{٩٥} وتمكنت الاسكندرية بالفعل من إيقاف الاضطرابات الناجمة بعد ان

^{٩٠} لوريير، القسم التاريخي، ج٣، المصدر السابق، ص ١٢٦٨.

^{٩١} المصدر السابق، ص ١٢٤٢.

^{٩٢} هناك عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٨٩.

^{٩٣} I.O.R.R./15/2/26. Confidential, from captain F. Bprideaux political agent Bahalrain, to the political Resident in the Arab Gulf, Bushire, No. 208. N.D.P. 57.

^{٩٤} هناك عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٧٢.

^{٩٥} J.B. Kellye op. cit, p. 292

رتبت هدنة بين شيخ قطر وقبائل النعيم في الزبارة بعدم الاعتداء على البحرين وقد استسلم بنو نعيم بشروط غير منصفة ولم تعد الزبارة مكاناً آمناً بالسكان^{٩٦}.
ان قائد السفينة العثمانية (اسكندرية) استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ قاسم، فقد انتقل معظمهم في البداية الى النوحة، اقترح روس ان خير وسيلة لحماية امن وسلام الزبارة ان تكون تحت الحكم العثماني، ووافق الشيخ عيسى على ذلك لكن هذا الاقتراح لم ينفذ^{٩٧}.

وبقيت الزبارة غير مأهولة بالسكان حتى عام ١٨٨٨ عندما ذكر ان العثمانيين ينوون اعادة بناء الزبارة^{٩٨}، وخشي روس (Ross) ان يكلفوا وكيلهم ناصر بن مبارك بذلك، فاصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأن يبلغ هذا للرجل والشيخ قاسم بأن بريطانيا لن تسمح باستقرارهم في الزبارة^{٩٩}.

حدثت خلافات عديدة بين قاسم بن ثاني والعمانيين ومحاولاته في التخلص منهم بالانحياز الى بريطانيا والتقرب منها، بعد ان عانى من ضغط العثمانيين المتزايد عليه^{١٠٠}.

انعكست تطورات الاحداث بين الشيخ قاسم وبريطانيا على العلاقات بين البحرين وقطر، لأن بريطانيا انكرت في عام ١٨٩٥ الاعتراف بقطر عثمانية وازادت ان وجود حامية عثمانية في المنطقة يشكل خطراً على امن البحرين وقد برهنت حواش الزبارة عام ١٨٩٥ بما لا يدع مجالاً للشك عن ضعف العثمانيين^{١٠١}، حيث وردت الى المقيم البريطاني اخبار تفيد بوقوع تفكك في البحرين ويتلخص الامر في ان احد اخوة الشيخ عيسى اعتدى على احد شيوخ قبيلة البو علي وقد شكى (سلطان بن سلامة) رئيس تلك القبيلة الى الشيخ عيسى^{١٠٢}، ولكن يبدو ان الشيخ تراخي في ترصيته ترصية كافية، فقرر هو وقومه الهجرة من البحرين الى قطر، وعندما استقر في الزبارة اعد خطة لغزو البحرين ملتصقاً بالعون من الشيخ قاسم. وساندت الدولة

⁹⁶ لوريير، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٢٤٠.

⁹⁷ المصدر نفسه، ص ١٢٤٣.

⁹⁸ The Persian Gulf Administration Reports 1873-1947, Vol. 111 (1883-1890), archive edition. 1986, p.9.

⁹⁹ عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٠.

¹⁰⁰ للاطلاع عن هذه الخلافات ينظر:- جمال زكريا قسم الخليج ١٨٤٠-١٩١٤، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

¹⁰¹ عبد العزيز المنصور وفتوح الخنثري، نشوء قطر وتطورها (دراسة تاريخية)، ط ١ منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٧٧، ص ٥٤.

¹⁰² انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

العثمانية الامر وطلبت من الشيخ قاسم^{١٠٣} ان يسمح لهم بالاقامة في الزيارة كما سمحت السلطات العثمانية لهذه القبيلة برفع العلم العثماني على سفنهم العاملة في صيد اللؤلؤ^{١٠٤}، كما اشتكى الشيخ عيسى للانكليز وطلب بالزيارة على انها من الممتلكات التابعة للبحرين، لاحتجت الحكومة البريطانية لدى الباب العالي على كرم الضيافة التي تمنحها الدولة للقراصنة (أي آل بو علي)، وفي رد الدولة العثمانية على ذلك الاحتجاج اقترحت ان تحسم الامور مع الشيخ قاسم، فقام المقيم البريطاني ويلمن بزيارة قاسم وطلب منه تسليم البو علي للبحرين ولكنه رفض ذلك الطلب^{١٠٥} وطلب جورج هاملتون وزير الدولة لشؤون الهند بضرورة استخدام القوة لحض الادعاءات العثمانية على كل من البحرين وقطر والقطيف ولذلك اصدر الاوامر للاستطول البريطاني بمهاجمة سفن البو علي الراسية في ميناء الزبارة^{١٠٦}. وفعلًا قامت السفينتان البريطانيان سفنكس Sphinx والبيجون Piegion بضرب ميناء الزبارة وتحطيم دفاعاته وقتل القبض على (١٩٣) قارباً تابعاً لقبيلة البو علي بما فيه من رجال اقتادهم لسرى الى البحرين. كان هذا العمل هو لرد الحاسم على فشل محادثات جورج هاملتون مع الشيخ قاسم آل ثاني^{١٠٧}، الذي اعطى الاوامر للمقيم البريطاني ويلمن بضرورة استخدام القوة ضد الخطر العثماني المهدد للبحرين مع الشيخ قاسم حول ضرورة تسليم قوارب البو علي باعتبارهم خارجين على سلطة شيخ البحرين وانهم رجال بحر، غير ان قاسم رفض طلب هاملتون رفضاً قاطعاً^{١٠٨}.

وجاء رد الفعل العثماني للتحدي البريطاني على شكل رسالة بعث بها متصرف الاحساء الى المقيم البريطاني في الخليج يتهمه فيها بخرق السلام على ساحل نجد باستيلائه على القوارب، وينذره بأن اهل قطر مصممون على مهاجمة البحرين وانه قد بذل جهده لمنعهم لكنه لا يستطيع الاستمرار طويلاً، ثم طلب رد القوارب التي تم الاستيلاء عليها من قبل بريطانيا، ونصح بنقل رعايا بريطانيا من البحرين خلال مدة سبعة عشر يوماً ابتداء من التاسع عشر من اب^{١٠٩}. وعلى اثر ذلك تحركت بعض السفن البريطانية في السادس من ايلول ١٨٩٥ بحجة نقاذ البحرين من الغزو الذي

¹⁰³ Britton cooper Busch, Britton and the Persian Gulf 1894-1914, University of California press, 1967, p. 27.

¹⁰⁴ عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٧.

¹⁰⁵ محمود حسن الصراف، تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

¹⁰⁶ جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤...، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

¹⁰⁷ محمد عرابي نخلة، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

¹⁰⁸ لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٠.

¹⁰⁹ المصدر نفسه، ص ١٣٩٢.

يهددها^{١١١}، وفتحت السفينتان سفنكس والبيجون بياراتها على القوات للراسية في ميناء الزبارة، فدمرت اربعة واربعين قارباً في مدة قصيرة^{١١٢}، وتمكنت القوات التجريبية البريطانية من تدمير ميناء الزبارة، واختفى العلم العثماني ومعه العثمانيون، وحاول قاسم القاء نبتة ما حدث ليبري نفسه على متصرف الاحساء، لانه قام بأصدار الاوامر وليس للشيخ القدرة على الرفض^{١١٣}. وبالتالي قبل الشيخ قاسم الشروط المبنيّة التي املاها القائد بيلى والتي شملت ارتحال قبيلة البو علي من الزبارة، وان يصرف للشيخ قاسم حشود البنو التي اجتمعت حوله، ونقل ما يزيد عن ١٢٠ سفينة الى البحرين، وفرض ضريبة تعويضية (٣٠٠٠٠ روبية) عن الاضرار التي لحقت بالرعايا البريطانيين^{١١٤}، وعندما رفض الشيخ قاسم دفع الغرامة قامت بريطانيا بمصادرة جميع سفن القطريين التي كانوا قد استولوا عليها^{١١٥}. ان تدمير الزبارة كان بمثابة نوع من الاخلاص للشيخ عيسى الذي بحث الى المقيم يخبره بأنه لولا تحطيم ذلك الميناء لأضحى فريسة لمؤامرة كبيرة نبرها له الكثيرون، على رأسهم قاسم بن ثاني وسلمان بن سلامة والبو علي وابدى الشيخ عيسى امتنانه الكبير لبريطانيا التي حمته من هذا الهجوم الإثم^{١١٦}، الحقيقة ان بريطانيا لم تقم بذلك العمل من اجل شيخ البحرين، ولكن خوفاً من ان يشكل هذا الموضوع تهديداً واضحاً لمصالحها في المنطقة. وبهذه الصورة اخذت العلاقات بين البحرين وقطر تأخذ مساراً اخر وطويت مسألة الزبارة في هذه المرحلة^{١١٧}.

¹¹⁰ F.O. 78/3 110 from col. I.H. peely commander and senior iraval officer to col. F.A. Wilson 7th, sep, 1895.

¹¹¹ محمد عرابي نخله، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

¹¹² محمود حسن الصراف، المصدر السابق، ص ١٠٦.

¹¹³ Busch, op. cit., p. 136

¹¹⁴ نوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٢.

¹¹⁵ جمال زكريا قاسم، الخليج ١٨٤٠-١٩١٤...، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

¹¹⁶ عصام عبد الغفور، المصدر السابق، ص ٨٩.

المبحث الثاني

التدخل البريطاني في البحرين واحكام السيطرة عليها

لولا:- معاهدة ١٨٨٠:

كان اول ما فعله الشيخ عيسى عقده معاهدة مع بريطانيا في الثاني والعشرين من ايلول عام ١٨٨٠، وتحديداً بعد عشر سنوات من حكم الشيخ عيسى للبحرين^{١١٧}، فكان عقدها بداية لسلسلة من الاتفاقيات ضمنمت لبريطانيا سيطرتها ونفوذها وعززت مصالحها، وحدثت العلاقة السياسية بين بريطانيا والبحرين بوجه عام^{١١٨}.

ولما كان مركز المقيم العام البريطاني في الخليج العربي قد اصبحت من الاهمية بحيث يتقوله شخصيات كبيرة منذ عهد الكولونيل بيلي^{١١٩}. استطاع الكولونيل روس Ross من صياغة بنود هذه المعاهدة^{١٢٠}. كما ان بريطانيا التزمت شيوخ الخليج العربي بمجموعة التزامات حيث لزمتهم بعدم الدخول في اية اتفاقيات او مراسلة اية دولة اخرى عدا بريطانيا او الموافقة على اقامة وكيل لحكومة اخرى داخل اراضيهم، وليس لهم ان يتنازلوا او يرهنوا او يبيعوا او يسمحوا باحتلال أي جزء من اراضيهم سوى للحكومة البريطانية، وبالمقابل تعهدت الحكومة بالدفاع عنهم وتمثيلهم في علاقاتهم الخارجية، وقد وصفت هذه المعاهدات بأنها (مانعة ابدية) فهي مانعة لانها تتضمن مادة تمنع الشيخ للموقع على المعاهدات من ان يتخلى او يؤخر او يرهن قسماً من اراضيها الا باذن بريطانيا للدولة الوصية التي تقدم مقابل ذلك حمايتها وهي ابدية طالما ان انتهاءها ليس مقيداً بوقت معين^{١٢١}.

ويذكر رجب حراز، ان هذه المعاهدة عقدت بعدما تجددت عام ١٨٧٨ محاولات العثمانيين للسيطرة على جزر البحرين، ويرى روس (Ross) ان خير وسيلة لمنع العثمانيين من ضم جزر البحرين هو وضع هذه الجزر رسمياً تحت حماية بريطانيا^{١٢٢}. وقد جاءت هذه الاتفاقية على صورة تعهد من جانب واحد وقعتها الشيخ عيسى^{١٢٣}. ووضعت هذه المعاهدة للبحرين تحت الحماية ومنحت بريطانيا جميع الحقوق والظروف المناسبة للسيطرة، وقد جاء في المعاهدة الموقعة عام ١٨٨٠ (انها

١١٧ امين محمد سعيد، ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٤٧١.

١١٨ السير ارنولد ويلسون، الخليج العربي، مجمل تاريخي، منذ اقدم الازمنة حتى اوائل القرن العشرين، تعريب عبد القادر يوسف، مؤسسة مرقوق الصحفية، الكويت، دت، ص ٣٩٧.

١١٩ صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٣٩٧.

١٢٠ الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

١٢١ غاتم محمد صالح وخليل فضيل الكبوسي، الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٥٣.

١٢٢ رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٦٩.

١٢٣ معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٩.

الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين للزم نفسي ومن يخلفني في حكومة البحرين^{١٢٤}. بما يلي: ١. ان لا يدخل في أية مفاوضات او يعقد اتفاقيات من أي نوع دون موافقة الحكومة البريطانية. ٢. ان لا يمنح أية دولة امتيازاً بتأسيس قنصليات او انشاء مستودعات لوقود السفن في ممتلكاته بدون الحصول على موافقة بريطانيا^{١٢٥}.

ان هذا الاتفاق لا يؤثر قط على العلاقات الموجودة بين الحكومة البريطانية والحكومات المحلية المجاورة ولا ينفذ عليها^{١٢٦}. ويجوز لحكومة البحرين الاتصال المباشر مع جيرانها بشأنها، وهكذا تحكمت بريطانيا في علاقات البحرين الخارجية بعد ان كانت المتصرفة في شؤونها الداخلية بحكم معاهدة ١٨٦١^{١٢٧}. وتسمى اتفاقية ١٨٨٠ التي صدقت عليها الحكومة البريطانية في عام ١٨٨١ والتي وضعت البحرين رسمياً وعلمياً تحت الحماية البريطانية (بالاتفاقية الانفرادية الاولى) تميزاً لها عن الاتفاقية الانفرادية الاخيرة التي أبرمت مع البحرين في ١٣ اذار عام ١٨٩٢^{١٢٨}. وفي عام ١٨٨٢ دخلت بريطانيا على هذه التعهدات للزامات جديدة وهي:

١. عدم جواز التراسل بين حكومة البحرين وبين حكومات أخرى دون علم بريطانيا.

٢. عدم جواز بيع او رهن او السماح باحتلال جزء من اراضي البحرين لأية دولة أخرى عدا بريطانيا. وهكذا اصبحت بريطانيا صاحبة التصرف في شؤون البحرين الداخلية بحكم الامتيازات الاقتصادية والقضائية التي نصت عليها معاهدة سنة ١٨٦١ ثم اشرفت على سياساتها الخارجية بشكل رسمي بمقتضى اتفاقيتي عام ١٨٨٠ وعام ١٨٨٢^{١٢٩}.

ثانياً:- معاهدة عام ١٨٩٢

على الرغم من ان معاهدة ١٨٨٠ لم تؤثر على الاتصالات الاخرى المعتمدة مع الدول المجاورة في الامور الثنائية، فإن هذه المعاهدة كانت مقدمة لعقد معاهدة أخرى^{١٣٠}. جاءت بعد اشتداد التنافس الدولي في الخليج فقد اعتقد المقيم البريطاني

124 عادل رضا، المصدر السابق، ص ٣٨.

125 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٤٩.

126 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

127 فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥١.

128 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٦٩.

129 صلاح العقاد، الاستعمار...، المصدر السابق، ص ١٢٣.

130 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٣.

لذلك (أي، سي، تالبوت) ان نصوص اتفاقية ١٨٨١ غير كافية لحماية المصالح البريطانية^{١٣١}.

وفي يوم الثالث عشر من اذار سنة ١٨٩٢ تم توقيع المعاهدة التي نصت على ما يأتي^{١٣٢}:-

((نحن شيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة نتعهد رسمياً امام الكولونيل اي سي تالبوت الموظف السياسي البريطاني في الخليج باسمنا واسم وراثتنا من بعدنا بأنتم الشروط الآتية:

١. ان لا ندخل مراسلة او اتفاقيات مع اية دولة كانت عدا بريطانيا.
 ٢. لا نسمح بأية صورة من الصور لاي مندوب من مندوبي الدول الاجنبية بالبقاء او تأسيس علاقات له مع بلادنا دون الحصول على موافقة بريطانيا.
 ٣. نتعهد بعد استثناء الحكومة البريطانية، بأن لا نرهن ولا نعطي ولا نبيع اية قطعة من اراضي بلادنا الى اية دولة ولا نسمح قط بأية صورة كانت لأي اجنبي ان يمتلك قطعة ارض من بلادنا))^{١٣٣}.
- وعينت بريطانيا بعد توقيع هذا الاتفاق معتمداً سياسياً لها لمراقبة سير الامور في الجزيرة واتخذت من المنامة مقراً له ورفع العلم البريطاني عليها رسمياً^{١٣٤}.
- حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقيات على مركز مهم قياساً لبقية الدول فقد وضعت البحرين تحت الحماية البريطانية في توجيه العلاقات الخارجية رغم عدم شرعية هذه الاتفاقيات من وجهة نظر القانون الدولي^{١٣٥}، سواء من حيث الاكراه على توقيعها او من حيث الالتزام بها من طرف واحد، فالشيوخ هم الذين يتعهدون ويلتزمون تجاه الطرف الاستعماري، الذي لا يلتزم بشيء او من حيث مدة الاتفاقية غير المحدودة بوقت^{١٣٦}.

بعد ذلك بعثت الحكومة البريطانية بمذكرتين الى الدولة العثمانية في ١٢ و ٢٢ اب عام ١٨٩٥ تنفي فيهما ما تدعيه من احتفاظها بحق السيادة في البحرين^{١٣٧} على

131 ابراهيم شريف، الشرق الاوسط، دراسة لاجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بغداد، ١٩٦٥، ص ٥٠.

132 فواز سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥١.

133 ويلسون، المصدر السابق، ص ٣٩٨.

134 امين محمد سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، دار الكتاب العربي، دت، ص ٦٨.

135 أمل ابراهيم الزياتي، المصدر السابق، ص ٩٢.

136 معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٢٩.

137 ويلسون، المصدر السابق، ص ٣٠٠.

اعتبار أنها باتت تحت الحماية البريطانية واستعدادها لاتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لحمايتها^{١٣٨}.

عززت بريطانيا وجودها بالبحرين بتحالف في عام ١٨٨٠ وعام ١٨٩٢، وقد عرف لولهما باسم المعاهدة المانحة الاولى اما الثانية فعرفت باسم المعاهدة المانحة النهائية^{١٣٩}. ولو نظرنا للنظر في هذه المعاهدات التي تعتبر ناطمة للحماية لو جدنا انها قد تجاوزت فعلاً ما تنص عليه معاهدات الحماية التقليدية بين الدول، ذلك ان شيوخ البحرين لم يتنازلوا فقط عن بعض سلطاتهم بالنسبة لتوجيه العلاقات الخارجية وتما تعدوا ذلك فتحلوا عن جانب كبير من سلطاتهم وصلاحياتهم الخاصة في السيادة الداخلية^{١٤٠}.

ثالثاً:- تحريم تجارة الاسلحة

لم تكن في البحرين لية تقيدات داخلية على تحريم الاتجار بالاسلحة وللذخيرة، كانت اعمال الاتجار وتهريب الاسلحة تتم بدرية وعلم من قبل الشيخ عيسى، حيث كان احد ابناءه، مستفيداً من هذه التجارة^{١٤١}.

وفي عام ١٨٩٥ هدد الشيخ قاسم بن ثاني واعوانه بالهجوم على البحرين من البر ولم يكن في الامارة الا مئة بندقية، مما جعل الحاكم يشعر بضعف بلاده، وفي ٢١ كانون الثاني ١٨٩٦ اصدر الشيخ اعلاناً بمنع استيراد الاسلحة النارية الى البحرين وان المخالف سيتعرض الى العقوبة، الا انه سرعان ما منح اعفاءً خاصاً لو احتكراً لصالح وزيره عبد الرحمن بن عبد الوهاب، وكان هذا الامتياز لمدى حياة المستفيد ولكن بشرط ان لا تباع الاسلحة للمواطنين في البحرين وقطر والساحل العربي ما عدا ساحل عمان^{١٤٢}. اما الشرط الاساسي فكان القصد منه تأمين تزويد الشيخ بالاسلحة، وذلك بأن يتعهد صاحب الامتياز بدفع ضريبة سنوية عبارة عن ٣٠ بندقية ماريتيني و٦٠٠ طلقة نارية بالاضافة الى ضريبة كمركية، وقد نقل الوزير امتيازاه بلا تأخير الى الاغا محمد رحيم والذي نقل بدوره الامتياز كلية على اساس شروط معينة لاقتسام الربح مع الشركة الفارسية فراسيس وتميز وشركائهم ذات السمعة المشبوهة وانتي قدرت ارباحها من تجارة الاسلحة في الخليج منتصف ١٨٩٧، بمبلغ لا يقل عن

138 الخصوصي، المصدر السابق، ص ٥٤.

139 احمد الغناني، المعالم الاساسية لتاريخ الخليج وبحوث اخرى، بحوث خليجية، ط١، مؤسسة للشرق العالمة للنشر والترجمة، ١٩٨٤، ص ٧٠.

140 معهد البحوث والدراسات، المصدر السابق، ص ١٢٠.

141 The Persian Gulf Administration Reports 1873-1947, Vol. vi 1905-1911, p.71.

142 لوريير، القسم التاريخي، ج ٢، المصدر السابق، ص ٣٧٢٢.

٤٠٠٠ جنيه^{١٤٣}. وكانت هذه الشركة قد انشأت اول وكالة لها في الخليج في بو شهر عام ١٨٨٧. وفي عام ١٨٩٥ افتتحت الشركة وكالة في البحرين تحت ادارة الاغا محمد رحيم^{١٤٤}. وفي شباط ١٨٩٨ زار الرائد ميد Meade المقيم السياسي في بو شهر البحرين وفي ٣٠ نيسان من نفس العام عقد الشيخ عيسى معاهدة ثالثة مع بريطانيا^{١٤٥}. نصت على تحريم استيراد وتصدير الاسلحة من البحرين واليهما، كما سمح للمنفن الفارسية والبريطانية بتفتيش المنفن المشتغلة بتلك للتجارة في مياه البحرين الاقليمية^{١٤٦}.

رابعاً:- التمثيل السياسي البريطاني في البحرين:

وضعت الشركة الانكليزية منذ مطلع القرن التاسع عشر وكيلاً لها في البحرين تابعاً لبو شهر وتولت تبعية المقيم لبو شهر بعد ١٨٤٢^{١٤٧}. وفي سنة ١٨٩٩ ساد شعور بأن الوقت قد حان لاببدال الرجل البحريني الذي يمثل الحكومة البريطانية في البحرين بمسؤول بريطاني وكان الوكيل البريطاني في عام ١٨٩٩ تاجراً من اهل البحرين اسمه (اغا محمد رحيم) وكانت طباعه مختلفة عن طباع شيخ البحرين ولم يكن للشيخ أي نفوذ عليه^{١٤٨}. وقد ازدلت اهمية البحرين في نهاية القرن التاسع عشر عندما اشتد التنافس بين روسيا والمانيا والدولة العثمانية وبريطانيا للسيطرة على الخليج^{١٤٩}، فركزت بريطانيا اهتماماً كبيراً على البحرين كنقطة لنطلاق لسياساتها في الامارات بعد ذلك، وكان اول عمل قامت به لتعزيز هذه السياسة هو انشاء وكالة سياسة (Political Agency)^{١٥٠}. فتم تعيين موظف بريطاني بصفة مؤقتة وبعد نهاية عام ١٩٠٠، أصبحت الوظيفة دائمية وعين ج.س. جاسكين (J.C.Gaskin) كمساعد وكيل سياسي في البحرين وبنيت دار الوكيل في المنامة خلال ١٩٠١ -

143 المصدر نفسه، ص ٣٧٢٤.

144 المصدر نفسه.

145 اصدر الشيخ عيسى مرسوماً اعلن فيه خطر الاجتار في الاسلحة واعطاء الحق للسلطات الرسمية في تفتيش السفن المشتبه بها كذلك منح حق تفتيش السفن البحرينية في المياه الهندية والفارسية، ينظر:- علي ابا حسين، المصدر السابق، ص ٢٩.

146 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٧، انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

147 عبد العزيز عبد القوي ابراهيم، حكومة الهند، المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

148 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٤٠١.

149 انجيسون، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

150 محمد كريم ابراهيم وطالب جاسم محمد، الوثائق البريطانية المتطقة بالبحرين، مجلة الخليج العربي، العدد الرابع، البصرة، ١٩٨٨، ص ١٠٦.

(١١) ١٩٠٢. وبعد أربع سنوات إيدل جاسكين بالكابتين ف.ب.بريدوكس (F.B.Brideaux) والذي خول فيما بعد بالفصل في قضايا الاجانب^{١٥٧}.

وفي عام ١٩٠١ زودت بريطانيا وكيلها السياسي في البحرين بصلاحيات واسعة وعينت مستشاراً بريطانياً الى جانب شيخ البحرين في المنامة واستولت عام ١٩٠٥ على ميناء الزبارة^{١٥٨}، ثم جعلت لنفسها الحق في استغلال ثروة البحرين بمقتضى اتفاقيتين عقدتهما مع شيخ البحرين الاولى عام ١٩١١ بشأن استغلال مصائد اللؤلؤ والاسفنج^{١٥٩}، وفي لولآخر عام ١٩١٢ منح ارضاً لتتأ عليها محطة لتلغراف ولاسلكي^{١٦٠}. والثانية في تشرين الاول عام ١٩١٤ تعهد الشيخ عيسى بألا يسمح بمنح امتيازات البترول واستغلال حقول البترول دون موافقة الحكومة البريطانية^{١٦١}.

خامساً:- التشريع للأجانب:

أخذ ازدهار اللؤلؤ الذي شهدته البحرين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والذي رافق ازدهار السياسي في الخليج يجتذب الى البحرين اعداداً كبيرة من العمال والمستثمرين ولتجار الاجانب فسبب هذا التواجد الكبير للاجانب، مشكلة قضائية جديدة تتعلق بكيفية تعامل الهيئات الرسمية في البحرين مع الرعايا غير البحرينيين، ولم تكن هذه المشكلة مطروحة رسمياً قبل عام ١٨٠٤ وذلك لان العرف قبل هذا التاريخ، اعطى البريطانيين حق فض المشاكل بين التجار الاوربيين الذين عملوا في البحرين، واعطى حاكم لو حكام البحرين تكبير شؤون بقية السكان^{١٦٢}، ان التشريع على الاجانب استرعى اهتمام الانكليز حين جرى حادث مع ابن اخ الحاكم الشيخ علي في ايلول ١٩٠٤^{١٦٣}.

ففي هذا العام وقعت حادثة ضرب خلالها موظف الماني يعمل لدى شركة ونكهافوس الالمانية، وكان الشيخ علي هو المتهم بهذه الحادثة^{١٦٤}، كما كان الشيخ علي

161 عبد العزيز عبد القوي ابراهيم، حكومة الهند، المصدر السابق، ص ١٥٧.

162 محمد كريم ابراهيم، المصدر السابق، ص ١٠٦.

163 ان الزبارة كانت تشكل مصدر قلق بالغ للسلطات البريطانية، حيث انها كانت مركز تهديد دائم للبحرين بتشجيع من العثمانيين، ولذلك قررت بريطانيا عام ١٩٠٥ التخلص من خطرها فاستولت عليها، واصبحت بذلك تهدد الوجود العثماني في قطر بالإضافة الى حملتها للبحرين من الخطر الذي طالما هددها من هذا الموقع ينظر:- فؤاد سعيد العابد، المصدر السابق، ص ١٥٤.

164 رجب حراز، المصدر السابق، ص ١٧.

165 ولبيد، المصدر السابق، ص ٢٢١.

166 انجيمسون، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

167 فؤاد اسحق الخوري، المصدر السابق، ص ١٣٥.

168 معهد البحوث والدراسات العربية، المصدر السابق، ص ٣٠.

169 امين الريحاني، ملوك العرب...، المصدر السابق، ص ٢٨١.

متهما في حادث جرح فارسين، واشتكى موظف ونكهاوس الألماني الى فصل دولته في بو شهر مطالبا بالتعويض، كما اشتكى الفارسيان الى الشاه^{١١٠}، فرفعت الدعوى الى الوكيل السياسي البريطاني والحكومة الألمانية وخلال هذه الاحداث جاء بريدوكس ليوحل محل جاسكين وما الاخير كان قد طلب من الشيخ عيسى جلد المتهمين من رجال الشيخ علي وان ينفع تعويضا الى الموظف الألماني مقداره ١٠٠٠ روبية^{١١١}، وعندما جاء بريدوكس اكد المطالب السابقة حيث لم تكن لديه خيارات اخرى. هذه الامور كلها قد اطلقت السلطات البريطانية في كل من منطقة الخليج ولندن، فاستقل السير برسي كوكس^{١١٢}، الطرف وحضر الى البحرين مع بوارجه^{١١٣}. ثم عرض الوكيل لائحة بما تطلبه الحكومة البريطانية جراء ضرب الألماني. وتم حرق السفن البحرينية الحربية^{١١٤}، ونفي الشيخ علي الى بومباي لمدة خمس سنوات، وتم إلغاء اعمال السخرة على الاجانب واعطاء المسؤولين البريطانيين حق الاشراف على شؤون الجاليات الاجنبية ووضعت هذه الاتفاقية لعام ١٩٠٤ موضع التنفيذ فوراً وقبل اعتراف الحاكم بها رسمياً^{١١٥}.

سائلاً:- تنظيم العوائد للكمركية في البحرين

استت اول ادارة كمرك في البحرين سنة ١٨٦٠ وظلت تحت سيطرة الشيخ عيسى المباشرة حتى نة ١٨٨٨^{١١٦} حينما وكل امر جمع العوائد للمتعهدين المحليين وكان معظمهم من التجار الهنود. وكانت تجارة البحرين انذاك تزدهر بفضل المجهودات البريطانية^{١١٧}. ويبدو ان الشيخ عيسى بن علي ارتاح لهذا النظام حيث انه صار يضمن له تحصيل المبلغ المطلوب نقداً، غير ان هذا النظام والذي لانتشر في بلدان اخرى من الولايات العثمانية كان له اسوأ الاثر على السكان لانه يطلق يد جماعة من المستغلين في ممتلكات الاهالي.

160 معهد البحوث والدراسات العربية ، المصدر السابق، ص ٣٠.

161 Busch, op. cit., pp.148-149.

162 برسي زكريا كوكس، ولد في العشرين من تشرين الثاني ١٨٦٤ في مدينة هيرونغيت Herongate إحدى مدن مقاطعة اسكس Essex الواقعة جنوب شرق انكلترا... تخرج من الاكاديمية العسكرية الملكية في شباط ١٨٨٤... رافق كوكس الحملة البريطانية على العراق عام ١٩١٤ بوصفه الضابط السياسي الاول وكان له دور كبير في ترشيح فيصل ملكاً على العراق للمزيد عنه ينظر:- منتهى عذاب لبيب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ١٨٦٤-١٩٢٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٢٦-٢٧.

163 معهد البحوث والدراسات العربية ، المصدر السابق، ص ٣٠.

164 امين الريحاني، ملوك العرب ، المصدر السابق، ص ٥٨٢.

165 فزاد اسحق الخوري ، المصدر السابق، ص ١٣٥.

166 ويلسون ، المصدر السابق، ص ٣٩٨.

167 لوريمر، القسم التاريخي، ج ٣، المصدر السابق، ص ١٣٩٧.

ولادت بريطانيا تغيير هذا النظام غير ان الشيخ عيسى تمسك بنظام الالتزام^{١٦٨}. وحاولت بريطانيا عام ١٩٠١ اخصال ما تسميه باصلاحات في ادارة الكمارك في البحرين وذلك في سبيل توطيد سلطة حكومة الهند البريطانية عليها من خلال تعيين مدير للكمارك بريطاني او هندي لان مثل هذا التعيين يؤكد للعثمانيين السلطة البريطانية على البحرين^{١٦٩}. وظلت مسألة الضرائب في البحرين كما هي، حتى جولة للورد كيرزن في الخليج العربي عام ١٩٠٣، والتي اكد له فيها الشيخ عيسى بان مسألة الضرائب مسألة خاصة^{١٧٠}.

حاول المقيم البريطاني في اب ١٩٠٦ اقناع حاكم البحرين بأعطاء حق جمع الضرائب الكمركية لحكومة الهند مقابل مبلغ محدد وقد رفض الشيخ ذلك^{١٧١}. وفي عام ١٩٠٨ انتدبت بريطانيا المسز بوور Bower من قسم الكمارك بالهند لتنظيم كمارك البحرين، وكانت تهدف من ذلك الهيمنة على البحرين بفرض سياسة التدخل في شؤونها الداخلية بأخصال ابر عدد ممكن من الموظفين الاجانب كالهنود وغيرهم في الادارة والمحاكم والكمارك^{١٧٢}. وقد ظلت الشؤون الكمركية في ايدي الهنود وكان يساعدهم ممثل شخصي لحاكم البحرين ولا يكسب شيخ البحرين اكثر من مائة الف روبية من عائدات الكمارك وهو راض بهذا المبلغ ويعتقد بان سبب قلة الوارد الكمركي يرجع الى الكساد في التجارة^{١٧٣}.

الخاتمة

البحث بين حقيقة التنافس الاوربي على الخليج العربي والذي كان متقارباً بين القوى الدولية الكبرى آنذاك بدأ من البرتغاليين والهولنديين ثم البريطانيين طيلة القرون الماضية، غير ان بريطانيا تمكنت بأساليب مختلفة وادعاءات واهية من ان تضع يدها على منطقة الخليج العربي، وتخضع اماراته الوحده ثلث الاخرى لسيطرتها وان تربطها بسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات التي جعلت من المنطقة محمية بريطانية ومنها البحرين.

اولت بريطانيا البحرين اهتماماً خاصاً نظراً لما تتمتع به البحرين من موقع استراتيجي مهم حيث ان موقع البحرين كجزيرة جعلها بمثابة مركز الدائرة بالنسبة لبقية مناطق الخليج العربي، هذا فضلاً عن ما تمتلكه من ثروات دفعها لربط البحرين باتفاقيات اخضعتها للاحتلال والحماية البريطانية، كما ارغمت حكامها ومنهم الشيخ عيسى للاستئصال الى السياسة البريطانية طيلة القرن التاسع عشر والعشرين، واثبتت وجودها من خلال انشاء المراكز والخطوط البريدية في جهات مختلفة من الامارة. وتمكنت ايضاً من احتكار الامتيازات الاساسية المتمثلة بامتيازات استخراج اللؤلؤ والاسفنج ومن ثم النفط الذي يعتبر اهم تلك الثروات التي استطاعت بريطانيا من ضمان احتكاره لصالحها.

168 امل ابراهيم الزبيدي، المصدر السابق، ص ٨٢.

169 علي ابا حسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، البحرين، ١٩٩٦، ص ٢٧.

170 علي ابا حسين، المصالح الاقتصادية البريطانية، المصدر السابق، ص ١٧.

171 المصدر نفسه، ص ١٨.

172 علي ابا حسين، العلاقات التاريخية....، المصدر السابق، ص ٢٨.

173 المصدر نفسه، ص ٢٩.

وقد استمر التفوق البريطاني في البحرين وازداد رسوخاً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث أغلق باب التنافس الأوربي على الخليج العربي بعد اندحار الدول العثمانية والمانيا في الحرب، وللحفاظ على نفوذها المتميز في البحرين فإن بريطانيا اتجهت الى إيجاد حالة من الاستقرار في المنطقة فقامت بتسوية النزاعات الدفنة بين القطر الخليج بشكل عام وبين البحرين وجيرانها بشكل خاص. كما وازدادت مكانة بريطانيا في البحرين بشكل كبير على الرغم من المعارضة الكبيرة في داخل البلاد بسبب الاجراءات التي حاول الوكلاء السياسيون البريطانيون من فرضها على الحاكم بقوة واجباره على تطبيقها وبالإكراه. ولخيراً يمكن القول ان البحث خرج ببعض الاستنتاجات:-

ان بريطانيا تعمل ما في وسعها لحماية مصالحها سواء بالقوة ام باستخدام اللين والدبلوماسية وبما ان البحرين تحتل موقعاً مثيراً لجدبا مهما جعلت بريطانيا منها قاعدة للسيطرة عليه ومن ثم على كل دول الخليج وتهديدها بالتدخل المستمر والمباشر اذا ما ارتكبت اخطاء قد تهدد السلم البحري، كما انها تحكمت في شؤون البحرين الخارجية والداخلية، وعملت على تنصيب الشيخ عيسى بالقوة وحاربت كل محاولات الاعتداء من جانب قطر، والتي كانت مقر المعارضة البحرينية بزعامة ناصر بن مبارك وبدعم من شيخ قطر قاسم بن ثاني، الا ان جميع هذه المحاولات احبطت بالقوة لما فيما يخص موقف بريطانيا للقوى الطامعة في البحرين والمتمثلة بالدولة العثمانية وفارس والمانيا، لم يكن هذا الموقف حرصاً منها على أمن البحرين وسيادتها وإنما لحفظ مصالحها وإثبات وجودها كقوة لا مثيل لها في الخليج.

ملحق رقم (١)

خارطة توضح علاقة البحرين بالساحل القطري^(١)



^(١) Britonic cooper Busch, Britain and the perian Gulf 1894-1914, University of California press, 1967, p.134

المشروع الأمريكي في العراق سقوط نظرية إسقاط الدول^(٢) "المسار والتجهيزات"

المدرس الدكتور
عزيز جبر شمال^(٣)

المقدمة

يتلخص المشروع الأمريكي في العراق بتحويل العراق إلى نموذج للمنطقة: حكومة ديمقراطية علمانية وذات توجه نحو السوق الحرة، متعاطفة مع المصالح الأمريكية، وليست معادية صريحة لإسرائيل، وربما مكانا ممكنا لقواعد أمريكية طويلة الأجل^(١).

ولأجل تنفيذ هذا المشروع قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتنظيم حملة إعلامية وسياسية واسعة النطاق متزعة بأن العراق يهدد أمن المنطقة وربما العالم من خلال الترويج لمعلومات تفيد بامتلاك العراق لأسلحة تتميز شامل على وشك أن يستخدمها ضد أهداف في المنطقة وخارجها، وقد كان الهدف من الحملة إيجاد تحالف دولي مساند يسهل عملية إسقاط الدولة العراقية والتي أطلق عليها فيما بعد عملية (تحرير العراق)، ولما لم تتمكن من إيجاد مثل هكذا تحالف اتخذت الدوائر السياسية والعسكرية الأمريكية قرارها بغزو العراق دون الالتفات إلى المعارضة الدولية المعلنة من قبل دول مهمة في النظام الدولي، وأخذت الحشود العسكرية تتوجه إلى المنطقة وخارجها وعلى الأخص في القواعد الجوية المنتشرة في العالم وبدأت عملية الغزو في ١٩/٤/٢٠٠٣ (مارس) واحتلت العاصمة بغداد في ٩ نيسان (أبريل)/٢٠٠٣.

أن مرور ثلاث سنوات على الغزو الأمريكي للعراق وضعت المشروع الأمريكي أمام العديد من التساؤلات وفي المقدمة منها كيف سار للمشروع الأمريكي وماهي أبرز تحدياته؟

ولأجل الأجوبة عن هذا التساؤل سنحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

(٢) هذا العنوان أستوحى من محاضرة للأستاذ البرت شتايل من جامعة زيوريخ في الندوة الدولية الخامسة عشرة في طهران بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١.

(٣) مدرس كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

(١) قارن مع مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية واشنطن-المضامين الجيوستراتيجية للحرب ضد الإرهاب مترجمة إبراهيم عبد الرزاق. ٢٠٠٢

١. ماهي طبيعة الأداء العسكري والسياسي الأمريكي بعد احتلال العراق وماهي الاستراتيجية المعتمدة؟
 ٢. ماهي التحديات التي واجهتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحويل العراق الى دولة عصرية بعد أن اسقطت النظام السياسي وفككت مقومات الدولة العراقية؟
 ٣. ماهو مستقبل المصالح الأمريكية في العراق؟
- لأن الأجوبة عن هذه الأسئلة ستتأتي بشكل مترابط ومتداخل من خلال الفقرات الآتية وبالأستناد الى نظرية ((اسقاط الدول)):

الأداء العسكري والسياسي

لقد كشفت الحرب على العراق تناقضا ظاهريا مهما على صعيد الأداء العسكري والسياسي، إذ برهنت الولايات المتحدة بما لا يقبل مجالا للشك بأن للولايات المتحدة الأمريكية هي اللاعب الأقوى في العالم في الجانب العسكري حيث تمكنت من غزو العراق والأطاحة بنظامه السياسي خلال أيام قليلة، وبذلك أعطت الانطباع للعالم بأنها قادرة على تغيير الخارطة السياسية لأي بلد بغض النظر عما إذا كان هذا الفعل ينسجم مع القانون الدولي وروح العصر أم لا ولكنها كشفت في الوقت نفسه عن العجز في مواجهة حرب عصابات طويلة ، ويمكن توضيح هذه الفرضية من خلال مايلي:

١. أن رسم العمليات الخارجية مثل عملية (تحرير العراق) ناجح في أحراز النصر على الجيوش النظامية مهما كان عددها أو تسليحها والذي يمكن أن نطلق عليه تسمية استراتيجية (اسقاط الدول) ((FAILED STATES)) وهو ما يسمى أيضا مبدأ رامسفيلد ((RUMSFELD)) ((DOCTRINE)) كجزء من مفهوم الحرب الحديثة، والذي يتلخص بالقيام بتنفيذ حملات جوية وصاروخية مكثفة لانتيج للخصم لتقاط الأنفاس وتمنعه من الاستفادة من خطوط الأمداد والحصول على التسهيلات اللوجستية بضرب المفاصل الحيوية للاقتصاد والذي يتبعه أويرثلق معه استخدام قوات محمولة جوا باستخدام المروحيات للنقل والقتال وعلى شكل قفزات متتابعة وسريعة^(١).
٢. أن نظرية الحرب الحديثة وفقا لمبدأ رامسفيلد لم تتمكن من استيعاب سيناريوهات حرب العصابات طويلة الأمد كما يحدث في العراق مما يسئل على عجز التخطيط العسكري عن إيجاد الحلول لمثل هذه التداعيات، إذ أنها

^(١)Dr, Albert Stahel : The War in Iraq Creating a Failed Failed State Research at 15th International Conference New and Old Wars Organized Violence in a Globalization Era , Stanford University Press , 1999 .

اعتمدت على نظرية تكتيكية تسمى الصدمة والترويع (SHOCK & HOCK) والتي لاصابت العراقيين في بادئ الأمر بحالة من الذهول سرعان ما انتهت تأثيرها بعد شهرين أو ثلاثة في أقصى تقدير إذ بدأت عمليات مقاومة المحتل تتصاعد مما أفقد القوات الغازية توازنها فراحات تضرب الناس عشوائيا مما جعلها تكسب اعداء يتزايدون يوما^(٣).

٣. أن عملية (تحرير العراق) تتضمن في جزء مهم منها مايسمى مكافحة الإرهاب، ويبدو أن التخطيط الأمريكي قد صمم لجعل العراق ساحة الحرب الرئيسية لهذا العمل لذا فإن عملية الغزو رافقها فتح الحدود العراقية لأشهر عديدة مما أدى الى تدفق الإرهابيين بأعداد كبيرة مستغلين حالة غياب المراقبة على الحدود، فضلا عن أن المحيط الأقليمي المعادي لأمريكا وجد ضالته في الفرصة التي أتاحتها الأمريكان لمقاتلتهم بطريقة تجنبهم خوض القتال بجيوش نظامية معروفة النتائج مما يؤدي الى إسقاط دول أخرى تعتبرها أمريكا أروهابية أو داعمة للإرهاب مثل سوريا وإيران وربما السعودية التي ينظر إليها على أنها تحتضن وتدعم الإرهابيين صراحة أوضمنا بسبب اعتناق اغلب هؤلاء للمذهب الوهابي ولاسيما أولئك الذين نفذوا اعتداء الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة ، وقد وجد الإرهابيون من التيار التكفيري أسندا من عصابات الجريمة المنظمة، مما أدى الى ازهاق العديد من الأرواح بلا مبرر وبطريقة مقززة، أن ضحايا العراقيين في الأرواح والممتلكات فاقت عشرات المرات الخسائر التي منيت بها القوات الأمريكية مما يدل على عجز واضح في المواجهة وخطأ فادح في التخطيط، حيث أن هذا العجز يتمثل في عدم قدرة القادة العسكريين والإدارة عن التنبؤ بمثل هذه الأمور الأمر الذي حدا ببعض الكتاب والمحللين الاستراتيجيين الى القول بأن الأمريكان قد تواطأوا مع الإرهاب وربما عصابات الجريمة المنظمة لتحقيق هدفين بأن واحد الأول تشويه صورة المقاومة الوطنية الشريفة والثاني إبقاء حالة عدم الاستقرار والفوضى لتحقيق

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر:

علي غلوة ((مذابح الفلوجة منتج ديمقراطي امريكي جاهز للتصدير للبلدان العربية)) شبكة المعلومات العربية (محيط) ٢٠٠٤/٥/٤، ٢٠٠٤/٥/٥ جريدة الحياة اللبنانية ٢٠٠٤/٧/٣، جريدة الأسبوع ٢٠٠٤/٧/٢٨

مغانم اضافية لأطراف أخرى يهملها أن يبقى الحال سيئاً لأطول فترة ممكنة مما يلقي اللوم على أية حكومة قائمة سواء أكانت منتخبة أو معينة^(١).

٤. أن غزو العراق لم يجلب الاستقرار في أقل تقدير كما روجت أمريكا لذا فإنه على الرغم من أن لا أحداً يرغب بعودة صدام حسين لكن الموقف اليوم ليس بأفضل مما كان حيث تشير المعلومات إلى أن أكثر من ١٠٠٠٠٠ عراقي مدني سقطوا ضحايا منذ اندلاع الحرب في ٢٠٠٥/٣/١٩ لذا لا يمكن أن يقال بأن نظرية إسقاط الدول قد نجحت إذا ما وضعنا بعين الاعتبار أن مبررات هذه النظرية لازالت موضع جدل وعدم اتفاق حول مشروعية التدخل الأمريكي وغزو العراق.

لقد طرح الأمريكان موضوع التهديد العراقي لأمن المنطقة كمبرر أساسي للغزو وراحوا يقولون بأن المنطقة ستعيش في أمان بزوال النظام العراقي، أن هذا الطرح فيه جانب من الصحة من الناحية النظرية وعلى ضوء السياسة الخاطئة التي كان يتبعها النظام السابق في علاقاته الإقليمية وما تمخض عن غزو الكويت بيد أن الأمر لا يمكن قبوله بهذه السهولة إذ تصاعدت أعمال الإرهاب في السعودية والكويت وقطر واليمن وأصبحت سوريا مصدراً رئيسياً للإرهاب الموجه نحو العراق حسب الاعترافات التي تبثها قناة العراقية الفضائية بشكل يومي تقريباً وبالساعة ٢١٠٠ حسب التوقيت المحلي لمدينة بغداد، مما يرشح هذه الدول لأن تكون أهدافاً مقبلة لمخططات المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، وهنا لابد من الإشارة إلى أن تهديد العراق لأمن المنطقة قبل الغزو ضرباً من ضروب الخيال حيث أن أكثر من ثلث القوة العسكرية قد دمرت في عام ١٩٩١ وتآكل الثلثين الآخرين بعد ذلك التاريخ بسبب تقادم الزمن ولجراعات المقاطعة العسكرية والاقتصادية، ومع ذلك رسمت الولايات المتحدة سيناريوهات وهمية للخطر العراقي أدى في نهاية المطاف إلى غزو العراق وأسقاط الدولة مما أدى إلى ظهور التهديد الجدي في المنطقة نتيجة لتزايد أعمال الإرهاب وبالأخص في الأراضي السعودية والتي تهدد بالانتشار في باقي دول المنطقة ولعل ماحدث من عمل إرهابي في مصر ربما يكون مقدمة لأعمال أخرى تطال المدنيين من الأجانب والمواطنين على حد سواء، لقد زاد تهديد أمن دول المنطقة بعد غزو العراق حيث أصبح العراق تربة خصبة للإرهاب والميليشيات المسلحة للباحثة عن دور خارج الاستحقاق، والجريمة المنظمة وربما تكاثرها وتوالدها.

ومن خلال ما تقدم يتضح بأن الثلاث سنوات قد أكدت أحداثها بما لا يقبل الشك أن الولايات المتحدة الأمريكية قد فشلت بشكل واضح في تبنيتها لنظرية إسقاط الدول إذ

(١) تقرير الميجور جنرال (انطونيو تاجويا) الذي تلاه أثناء الاستجواب أمام الكونجرس نقلاً عن شبكة المعلومات العربية بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥ ملف بعنوان تعذيب العراقيين

ان التهديد الذي غزت العراق لتمنعه لم يكن سوى كذبة كبرى فالتهديد لأمن دول المنطقة قد زاد، كما أن القوات الأمريكية وضعت نفسها في مأزق التصدي لحرب العصابات والجريمة المنظمة وهي غير قادرة على الخلاص منه لكونها أخطأت استراتيجية، لذا لا بد أن تكون المعالجة جذرية وهذا مالم ترد الإدارة الأمريكية الاعتراف به، أن تبني استراتيجية اسقاط الدول في عالم يشهد تغييرات كبيرة نجم عنها تعقيدات جديدة لفرزتها نهاية الحرب الباردة والتي يقع في المقدمة منها ظهور مصالح ذات طابع عسكري-اقتصادي-سياسي يؤثر بشكل كبير على الأداء العسكري للقوات الأمريكية وربما تكون الاستراتيجية المعتمدة لم تأخذ بعين الاعتبار مصالح أطراف يهمها أن تبقى حالة عدم الاستقرار سائدة إذ أن الحلفاء المحليين والأقليميين والدوليين لكل منهم أجندته الخاصة في التعامل مع الوضع العراقي ربما يكون لبعضهم مصلحة في عدم استقرار العراق، ومن أمثلة هؤلاء المقاولين العسكريين الخاصين، الميليشيات المحلية والأقليمية، شركات تجنيد المرتزقة، شركات الحماية الخاصة للمسؤولين، وبعض الدول ذات التواجد العسكري الرمزي، الشركات المتعددة الجنسيات المهمة بالأمم المتحدة اللوجستي أمثال شركة هالبيرتن وغيرها، كل هذه الأطراف ترى أن مصلحتها تتحقق بأنحاء نار الصراع ولبقاء الوضع متوترا، وربما السعي الى ديمومة حالة عدم الاستقرار.

أن نظرية اسقاط الدول تبنى في المقام الأول على اساس الاستجابة لتهديدات واقعة أو محتملة، وما الحرب على الأرباب إلا التطبيق العملي لهذه النظرية وكذلك احتلال العراق، وقد أتضح مما ذكرناه أنفا أن الأداء العسكري الأمريكي فشل فشلا ذريعا على المستويين الاستراتيجي (السوقي) والتكتيكي (العملياتي) في أحرار النصر الناجز في حرب وظفت فيها أمريكا إمكانات مادية وتكنولوجية هائلة.

أما على المستوى السياسي ووفقا لنظرية اسقاط الدول لا بد من التأكيد ابتداء أن هذه النظرية التي بدلتها أمريكا في البلقان ثم في أفغانستان وأخيرا في العراق لم يكن لها أن تحقق النجاح الذي تحقق مالم تكن تلك الدول المنوي اسقاطها آيلة للسقوط، أن المؤشرات الآتية التي يؤكد عليها علماء السياسة تشير الى أن الدولة تصبح مرشحة للسقوط:

١. توتر وصراع عميق وخطر ونزاع متعدد الأطراف داخليا
٢. عنف طويل الأمد يطبع العلاقات العامة
٣. الخوف من الآخر بسبب (الدين، العرق، اللغة)
٤. عدم تجانس بين أطراف المجتمع
٥. انعدام السيطرة على الحدود
٦. ادعاء الشرعية بدون أي سند حقيقي

٧. ارتفاع نسبة الجريمة
٨. انخفاض الأداء السياسي (الافتقار للحكمة السياسية)
٩. فشل المؤسسات
١٠. انحطاط أو تدمير البنية التحتية
١١. ازدياد الفرص الاقتصادية أمام الموسرين في الحصول على المنافع الاقتصادية.
١٢. استشراف الفساد في مؤسسات الدولة
١٣. نقص الغذاء وانتشار الجوع
١٤. تناقص الشرعية السياسية

أن هذه الخواص التي تطبع الدول الآيلة للسقوط بطابعها أما أن تأتي بشكل تدهور تاريخي مطرد أو تغيير مفاجئ على كافة الصعد. وإذا كان هذا هو حال العراق قبل غزوه، فإن الولايات المتحدة بإدائها السياسي إنما تضاعف خواص الفشل حيث سقطت الدولة وازداد الأمر سوءاً بعد ٢٠٠٣/٤/٩ هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن إسقاط الدولة ينبغي أن يتبع الفعل العسكري عمل سياسي يتمثل في بناء الدولة من جديد من خلال إيجاد شكل ما من حكومة عراقية تعددية تستطيع أن تشق طريقها عبر سنوات من المصاعب السياسية والاقتصادية دون دعم عسكري أمريكي مباشر ويحدد أنتوني كوريسمان من بين تسعة أخطاء استراتيجية الأخطاء الأتية في الجانب السياسي^(٥).

١. التخطيط لحرب أدت إلى إسقاط المملطة دون أية خطة ذات معنى لعمليات تهدف إلى تحقيق الاستقرار وإلى بناء دولة (لقد سمحنا لقوضي سياسية واقتصادية أن تحل ونحن ننقم وفي أعقاب سقوط صدام مباشرة)
٢. لفترض أن الحكم العام في صورة سلطة التحالف المؤقتة يمكن أن يحكم العراق ويخطط مستقبلاً بدلاً من العراقيين
٣. التركيز كثيراً على إجراء انتخابات عامة وصياغة دستور دون التركيز بدرجة مماثلة على حكم فعال على الأصعدة الوطنية والمناطقية والمحلية
٤. عدم القيام بمحاولة جادة لخلق قوات عسكرية وأمنية وشرطة عراقية تستطيع الوقوف بذاتها في التصدي لمقاومة تزداد نمواً وأرهاباً وخروجاً على القانون

(٥) أنتوني كوريسمان ((نحو استراتيجية أمريكية فعالة في العراق)) مجلة المستقبل العربي العدد ٣١٣ آذار (مارس) ٢٠٠٥ ص ٣٤-٣٦

٥. وضع خطة (مساعدة اقتصادية طويلة الأجل مثيرة للسخرية وتفتقر الى فهم ذي مغزى لومسح للمشكلات الاقتصادية التي يواجهها العراق وفهم لاحتياجات العراقيين وتوقعاتهم ، وتفتقر الى الموهبة لدى الحكومة الأمريكية أو لدى جماعات المقاولين (المتعاقدين) لتنفيذ مثل هذه الخطة أو تطوير نوع الخطط والبرامج التي تركز على متطلبات الأجلين القصير والمتوسط التي يحتاج اليها العراق فعلاً)^(١). إذ أن الدولارات المنوي تقديمها للعراق تساوي ٤/ ١٨ مليار دولار من معونة السنة المالية ٢٠٠٤ لم يصرف منها سوى ٥/ ٢ مليار دولار لم يكن للعراقيين دور لو معرفة في صرفها والوجه التي ذهبت اليها^(٢).

إن هذه الأخطاء تؤثر في أعاقلة بناء الدولة إذ أن عملية البناء تتطلب اتباع إجراءات تهدف الى تنمية الأنراك المشترك لدى العراقيين بأهمية الانتماء الى الشعب العراقي بكافة طوائفه من أجل العيش المشترك والرغبة في العيش معاً، على الرغم من الاختلافات مما يتطلب العمل على اشاعة التسامح والانتصار على عدم الثقة والتخلي عن العداوات المبنية على اسس اجتماعية-ثقافية ربما كانت جذرية وممتدة في الزمن، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن بناء الدولة لابد أن يركز الى نشاط بناء يهدف الى تحديد اولويات لما ينبغي أن يبني، وهذا الأمر مبني برمته على نشاط ابداعي يربط بين المتطلبات الآنية والمستقبلية وهذا يعني من ناحية ثانية أن تستوعب خطة بناء الدولة أبعاداً ثلاثة هي للزمن والحاجة والهدف وهي المعايير التي على ضوئها يجري تقييم العملية، وإذا امعنا النظر في الوضع العراقي فأننا نجد أن الغزو الأمريكي أدى الى أخلال تغييرات هيكلية في الدولة العراقية مثلت بمجموعها عوامل عرقلة لبناء الدولة ، حيث أن مقارنة بسيطة للمعايير التي ذكرناها أنفاً بخصوص تخرج الدول نحو السقوط ستجدها قد ظهرت قبل الغزو مما يعني أن المشروع الأمريكي أضاف فشلاً الى فشل سابق إذ ظهرت عوامل فشل أكثر حدة مثل التوجهات العنيفة الحادة والدائمة، ونقص السيطرة على الحدود وزيادة نسبة الجريمة، وخراب البنية التحتية، واستسراء الفساد الإداري بشكل لم يسبق له مثيل، مما يؤشر ظاهرة هامة تتمثل في أن الولايات المتحدة وحليفتها حكومة العراق يتحركان خارج الزمن ولايعرفان ماهي الاحتياجات الحقيقية للشعب العراقي، فقد تم حصر الموضوع بالملف الأمني وكأنهم ليسوا هم المسبب في تدهوره، كما كان النظام

(١) نفس المصدر ص ٢٥

(٢) Robert Rotberg, Failed State, Collapsed State, Weak States: Indicators in Failure and State Weakness in a time of Terror, Brookings Institution Press 2003 pp1-25

السابق يستخدم الحصار الجائر شناعة لتعليق الأخطاء والجرائم التي يرتكبها بحق للشعب العراقي ، وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى حجب الرؤية المستقبلية أن لم يمنعها أصلاً^(٨). فالحكومة العراقية الحالية بعيدة بعض الشيء عن الديمقراطية إذ أننا نلاحظ أنها تطبق لآليات تريد بها أرضاء الآخرين الذين يناضلون من أجل امتلاك السلطة في دولة غير متكاملة أمثال القوى السياسية والطائفية والعشائرية والدينية ، ومما يؤكد ذلك الطريقة التي تم بها اختيار رئاسة الجمهورية والجمعية الوطنية والوزارة ، والتي حظيت بمباركة ودعم الأمريكان الذين استكروا إجراء انتخابات في لبنان في ظل الوجود السوري !

إن بناء الدولة يتطلب (لقناع العراقيين بأنهم منخرطون في مهمة بناء دولة ذات سيادة ومستقلة، حتى ي زال شكهم فيما يتعلق بولاء قوات الأمن والأحزاب السياسية والمواطنين العاديين، ومن نواح كثيرة فإن الوظيفة التي يتعين على الولايات المتحدة الآن أن تؤديها هي وظيفة لا يشكرها عليها احد، وهي تتطوي على توقعات شعب أصبح الى حد كبير معاد للولايات المتحدة وعلى تشجيع واستقلال المؤسسات العراقية التي ستتوقف صنفيتها على الابتعاد بنفسها عن الولايات المتحدة، أن ما هو مطلوب الآن هو فض اشتباك مزدوج: فض اشتباك أمريكي تكتيكي سياسي وعسكري من العراق، ولا يقل عن هذا أهمية فض اشتباك عراقي سياسي واضح من الولايات المتحدة ، فيتعين أن تعرف الدولة العراقية الجديدة نفسها بأنها على الأقل جزئياً في تعارض مع كثير من مواطنيها أنفسهم)^(٩).

إن الأوضاع الحالية التي يمر بها العراق وضخامة المصالح الأجنبية التي لفرزها واقع الاحتلال وما سينتج عنه من علاقات اقتصادية تتمثل بمصالح نفطية وتجارية ومالية كبيرة تستند إلى وجود عسكري ودور أمني ونفوذ عوامل ضاغطة على عملية اتخاذ القرارات الأمر الذي قد يشكل عقبة أمام انتقال حقيقي للديمقراطية إذ ستتدخل القوى الخارجية إذا ما تعارضت السلطة الحاكمة أو التي سيفرزها النظام الديمقراطي الجديد مع بعض المصالح غير المشروعة أو احتمال تعارض التوجهات الوطنية مع استراتيجيات الهيمنة التي تفضل التعامل مع نظام حكم تابع بشكل كامل وبما يتيح لذلك الاستراتيجيات السيطرة على الموارد الطبيعية والتجارية ومتطلبات إعادة الأعمار وبناء جيش جديد وتسليحه من مصادر تابعة، ولهذا ربما لن تكون إدارة الاحتلال متحمسة بشكل عام للديمقراطية إذا لم تكن ضدها إذا تعذر إفراغ الديمقراطية من توجهاتها

(٨) انتوني كورلمان مصدر سبق ذكره ص ٣٦

(٩) نفس المصدر وللمزيد من التفصيلات انظر صحيفتا واشنطن بوست ولوس انجلس تايمز في عددهما الصادرين بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥ وصحيفة ليهرسون الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٣١ حيث تولفت حدوث مثل هذه التصرفات من قبل الأنظمة الأمريكية .

الوطنية وحيث لا يوجد طلب شعبي فعال على الديمقراطية أو حركة وطنية ديمقراطية يحتمل ان توازن ضغط المصالح الأجنبية أو يحتمل ان تصل إلى الرأي العام الخارجي وتكسبه ضد تصرفات حكومته في المستقبل، فإن النفوذ الأجنبي صاحب المصلحة المحلية سوف يظل عامل إعاقة للديمقراطية^(١٠).

أن الولايات المتحدة لم تنع إلى تحديث المجتمع العراقي الذي يعاني من مشاكل متراكمة وهذا يدعونا إلى توضيح بعض التحديات التي تعرق قيام دولة ديمقراطية في العراق ربما تكون للولايات المتحدة قد أغفلتها إذا ما لحصنا الظن بأمريكا أو ساهمت في انكاثها إذا ما نظرنا إلى الأمر نظرة متجردة ، فلقد ولدت سنوات الحرمان التي امتدت لأربعة عقود تقريبا إلى ظهور حالة في المجتمع العراقي جعلت من الفرد ميالا لأحد أمرين، اما لا مبالاة مطلقة بما يجري، أو اعتماد حوار العنف فالذين تعرضوا لقسوة وبطش النظام السابق نرى قسما كبيرا منهم يتبرم من أية مناقشة لا تلائم أفكاره ومعتقداته وينطلق من مسلمة يعتقد انها صحيحة لا بل أكثر من ذلك يطالب البعض بإجراء تصفيات للمواطنين الذين عملوا مع النظام السابق وقد بدأت تطبيقات هذا الأمر في حرمان شريحة كبيرة من المجتمع من مصادر رزقهم لا بسبب ما اقترفوه من جرائم بحق الشعب والوطن وإنما بسبب جهودهم في هذا المرفق أو ذلك أو في هذه المؤسسة أو تلك في حين لا يختلف الجميع على حقيقة ساطعة وهي ان قسما كبيرا من هؤلاء الناس هم مواطنون صالحون لم يكونوا راضين عن سلوكية النظام ولكن لم تتح لهم الفرصة لمغادرة الوطن لأسباب تتعلق بشدة المراقبة عليهم أو لمسؤوليتهم عن عوائل ذويهم من المعدمين أو المعتقلين ناهيك عن ان هؤلاء يمارسون المعارضة من داخل النظام ويمسقطون هيئته ويتفقون الناس لمعارضة النظام وعدم ممارسة ما يريده من تفرقة بين مختلف الطوائف والمذاهب والأعراق.

ان هذه الحالة من العلاقات الاجتماعية والتأثيرات السلوكية ربما تمثل عائقا جديا أمام قيام ديمقراطية حقيقية تقوم على أساس المصالحة وطي صفحة الماضي من خلال الاحتكام إلى القضاء العادل والنزيه عبر محاكمات علنية تتبع فيها إجراءات وأصول المحاكم العادلة بعيدا عن روح الثار والانتقام غير المشروعين... وكما أشرنا سابقا فإن مجتمعنا تنقصه الخبرة وقليل التجربة بالممارسة السياسية المعاصرة إذ لا يزال قسم كبير من مؤسساتنا المدنية (أحزاب، حركات، نقابات جمعيات...الخ) يعتمد في تركيبته على مؤسسات وقيم قديمة ترجع إلى ما قبل السياسة الحديثة من أسرة وعائلة وعشيرة وطائفة ... الخ اما الخبرة السياسية الحديثة أي العمل في إطار تضامن وطني يجمع الأفراد من وراء انتماءاتهم وارتباطاتهم الأهلية الخاصة فلا تزال ضعيفة كما وان الخبرة التي تراكمت في الحقبة التي سبقت انقلاب ١٩٦٨ لم تنتقل بسهولة وأحيانا لم

^(١٠) Albert Stahel op.cit

تنتقل بتاتا إلى الأجيال الجديدة وتعرضت إلى انقطاع كبير لحجم الاستقرار السياسي وغياب التفاعل بين النخب السياسية وتصفية بعضها لأثر البعض الآخر كل ذلك ساهم ولا يزال يساهم في هذا الانقطاع في انتقال الخبرة وبالتالي في تراكم تجربة سياسية بما تشتمل عليه من ممارسات نمونجية وتقاليد وتقنيات وقيادات وأصول معروفة ومتبعة، كما أن الانفجار السكاني الذي شهده العراق في السنوات الأخيرة أدى إلى وجود أكثرية شابة تمثل أغلبية اجتماعية من الشباب الذين يفكرون إلى أي شكل من أشكال التأطير الاجتماعي والتربية المدنية بل والاندماج المجتمعي ولا يحظون بأي رأسمال رمزي وثقافي ذي قيمة وهم يعيشون عن الحماس للقيم والمفاهيم والمبادئ والمعايير التي لا يزال يتمسك بها جيل الآباء وربما لا نخطئ إذا ما قلنا الأجداد لأن الآباء يعانون من المشكلة ذاتها فلقد عمل النظام السابق على إبعاد الفرد عن التفكير بالكثير من ذاته فهو مطارذ للخدمة العسكرية أو محروم من القبول في كلية لم يتمكن من الحصول على مقعد فيها بسبب القوانين الاستثنائية والإضغاثات في المعدلات والدرجات التي لا علاقة للطالب بها أو ملاحق للجيش الشعبي أو للنخوة أو جيش القس أو الخروج لمسيرة أو التواجد في احتفال أو ركضا وراء لقمة عيش أو مقعد نفسيا بسبب اضطرابه للتملق لهذا الشخص أو ذلك أو يعاني من فقدان والده أو أحد إخوته في حرب مجنونة أو في أحد معتقلات النظام أو اختفاء أحد ذويه، إن هذا الكم الهائل من الجمهور المفقر للتأهيل الاجتماعي والتكوين السياسي والمدني أي الوطني ربما سيؤدي إلى تحويل هؤلاء الشباب إلى خزان واسع وهائل للحركات التي ترد على مطالب فورية أو غريزية عند الشباب سواء كانت ذات طبيعة مادية أو معنوية وذلك لضعف التفكير العام المؤدي إلى إنضاج قرارات وتفكير على المدى البعيد ومن هنا ربما يصبحون ضحايا سهلة للمجتمع الاستهلاكي الذي تغذيه الثقافات الوافدة وكذلك يصبحون ضحايا سهلة للنخب الحاكمة التي تستغل عطشهم ورغبتهم لتحقيق الذات من أجل تجنيدهم لقاء بعض المزاي أو تحقيق بعض الرغبات في الأجهزة والمؤسسات القمعية وتحويلهم إلى قاعدة يسهل التلاعب بها واستغلالها أداة للحكم والسيطرة وسيصبحون أيضا ضحايا سهلة لحركات التمرد التي تعدهم بخلاص قريب من لقمة الشعور بالفراغ المادي والروحي بل بانعدام الوجود والحق في حياة فردية واجتماعية طبيعية.

وكما أوضحنا فيما سبق فإن نظام الحكم السابق قد استغل هذه المسألة أبشع استغلال بحيث تكونت اليوم كتل كثيفة من الشباب المفرغين من أي قضية والمدفوعين نحو صراع مرير من أجل البقاء من دون أية رعاية فعلية أو شبكات أمان لا يمكن أن تشغلهم أية قضية عامة، فهم مدفوعون للبحث عن إشباع حاجاتهم المباشرة والفطرية بالغريزة وحدها، وبعيدا عن أي معيار اجتماعي أو سياسية أو أخلاقية ولم تنفع

الهياكل والبنى للتقليدية والأسرية والطائفية والعشائرية الموروثة من إلاء هذا الفراغ بحيث لم تتفع جميع النداءات التي صدرت من تلك الهياكل مثلاً في الكف عن تخريب المنشآت العامة ودوائر الدولة، وربما سيكون الحال ذاته عندما ينخرط هؤلاء الشباب في الأحزاب السياسية التي تبحث عن زيادة عددية لأغراض المناهضة دون ان تلتفت إلى النواحي الأساسية في بناء الإنسان العراقي الجديد المتحرر من عقد الخوف والانتهازية والتملق للسلطة والتي حاول النظام السابق تركيسها في منكرات الشباب من خلال خلق الأخلاقية المجتمعية والوطنية وإحلال التبعية والولاء والاستئزام لأشخاص لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

ومن المعوقات الأخرى للديمقراطية موضوع الاستئثار بالموارد العامة باعتباره حقاً مكتسباً للحاكم الأمر الذي أدى إلى ظهور نوع من الشعور بأن موارد الدولة ما هي إلا ميراث خاص للفئة الحاكمة انتقل إليها من الجيل الذي سبقها، ولقد عمل النظام السابق على تركيس هذا الإدراك في أذهان الناس من خلال التصرف بالموارد على أساس أن ما يصرف لتسيير شؤون المجتمع ما هي إلا هبات ومكافآت من الفئة الحاكمة، أن هذا الحال الذي استمر لفترة طويلة ترافق مع فساد إداري لم يشهد له تاريخ العراق مثيلاً بحيث لا يمكن إنجاز أية معاملة بسيطة أو للحصول على خدمة عامة إلا لقاء رشوة بعضها غلف بحجة الحوافز أو الضرائب مما أدى إلى أن يتوهم السواد الأكبر من الشعب بأن المنصب الإداري أو السياسي موضوع للاحتكار والاستئثار، وربما يكون هذا الإدراك قد عشنش في أذهان قسم من الناس بحيث يوههم باتخاذ سلوكيات تننافي والمنهج الديمقراطي القائم على مبدأ السيادة الشعبية والذي نلاحظ اليوم إهماله من خلال الاعتماد على مبدأ الأمر الواقع كقاعدة للعمل السياسي في تسهيل ما يسمى بالسلطة الاستيلانية إذا جاز لنا التعبير ((والتي تتحقق بسبب الشوكة والقوة المادية والعسكرية المحصنة ومن دون السؤال أي سؤال عن رأي الأغلبية الاجتماعية أو الانشغال بقبولها أو رفضها، فهي سلطة الأمر الواقع ومن الصعب على سلطة الأمر الواقع أن تطور أي تفكير بالتمندية وإن تفهم مضمون ومعنى التحولات الديمقراطية باعتبارها تجسيدا لإرادة الجميع))^(١١). أن الوقوع في هذا الخطأ ربما سيعود إلى إعادة إنتاج النظام التسلطى.

ماهو مستقبل المصالح الأمريكية ؟ -- لكي تطمنن الولايات المتحدة الى مستقبل مصالحها في العراق بعد الفشل للذريع الذي لكتته السنتين الماضيتين من الأداء السيئ في الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية لابد من أعادة النظر في الاستراتيجية المستندة الى نظرية إسقاط الدولة حيث لابد أن تعمل على :-

(١١) المجموعة الدولية للأزمات ((ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل في العراق)) مجلة المستقبل العربي شباط (فبراير) ٢٠٠٥ من ٢٥- ٢٦

١. في الجانب العسكري :- لقد اثبتت نظرية اسقاط الدول فشلها في استيعاب أعمال المقاومة التي تتخذ من اسلوب حرب العصابات المبني على خفة الحركة والأسلحة وتنوع التكتيكات ، لذا لابد من العمل على^(١٢):-

- كسب دعم المواطنين لاعلى لبادء المقاومة اذ ان العمليات العسكرية التي نفذتها القوات الأمريكية اثبتت انها تزيد من انصار المقاومة بفعل ما تخلفه من ضحايا أبرياء وممتلكات منمرة، وأن كسب المواطن العراقي لن يتم بأظهار القوة واستعراضها بشكل يستفز المشاعر، وإنما من خلال الأبتعاد تدريجيا عن المدن وتسليم الملف الأمني بالكامل ومن دون أي تدخل للقوات العراقية.

- اطلاق سراح السجناء الذين تجاوز عددهم ١٠٠٠٠ مواطن عراقي حسب الاحصائيات الامريكية والكشف عن المختطفين قسرا فورا و تسليم ملفاتهم الى السلطات للقضايا المختصة.

- اعادة نشر القوات الامريكية ووضع جدول زمني واضح للتسحاب من العراق والتخلي عن فكرة اقامة قواعد عسكرية في العراق.

- الكف عن مداممة المنازل وقطع الطرقات وازالة الحواجز والاسيجة الامنية في وسط العاصمة والمدن وفتح الشوارع للرئيسة القريبة من المنطقة الخضراء.

- الاعتذار للعراقيين عن افعال العنف وانتهاكات حقوق الانسان.

- الاعتراف بان حل الجيش خطيئة كبرى وتعويض افراد الجيش السابق عما لحق بهم من اذى واعادة حقوقهم وعلى الاخص الرواتب واحالة الراحين منهم الى التقاعد .

- تعويض الخسائر التي لحقت في ممتلكات المواطنين بسبب الاعمال العسكرية في مختلف المدن العراقية.

٢ . في الجانب السياسي: على الولايات المتحدة بعد ان فشل ادائها المياسي بسبب التحديات التي واجهتها والتي تتلخص في:

- عدم شرعية التدخل الامريكي في العراق وعدم قدرتها على اقناع المجتمع الدولي بغزو العراق وذلك لكون الذرائع المقدمة اثبتت عدم صحتها وفي مقدمتها عدم القدرة على اثبات امتلاك لاسلحة الدمار الشامل.

(١٢) قارن مع تقرير مجموعة الأزمات مصدر سبق ذكره

- عدم القدرة على استيعاب المقاومة العراقية وعدم النظر اليها على انها مقصورة على عدد من المتعصبين المعزولين عن السكان انما تمتد قوتها من مشاعر وطنيه وعدم ثقه واسعة بنيات الولايات المتحدة واستكثار اعمالها.
- عدم القدرة على كسب ثقة المواطن العراقي الذي لم يحدد من الاحتلال سوى الدمار ونزيف الدماء وعدم مساعدتها في انضاج مشروع وطني عراقي للتحول الديمقراطي.
- الامتناع عن تحديد موعد الانسحاب والاصرار على تطبيق الوامر والقرارات التي صدرت من قبل سلطة التحالف المؤقتة بقيادة السفير بريرم وفي مقدمتها قانون الانتخابات وقانون ادارة الدولة المؤقت .
- عدم التعامل مع الحكومة العراقية التي اعلنوا انها تتمتع بالسيادة كضريك.
- عدم احترام حقوق الانسان .
- غياب الشفافية الماليه وعدم اتخاذ خطوات لمحاربة الفساد الاداري .
- وجود مواقع مشتركة للسفارة الامريكية مع الحكومة العراقية .
- التاكيد الدائم على ان العراق سيصبح نموذجا للديمقراطية في المنطقة مما يعني تطبيق مشروع امريكي للتحول الى الديمقراطية فضلا عن التاكيد المستمر على ان العراق هو الجبهة الجديدة لمكافحة الارهاب.
- عدم حل مشكلة الميلشيات المتعددة.
- الفموض فيما يتعلق بالاهداف الامريكية المعلنة اذ ان التطبيقات تسير على العكس تماما عن ما هو معلن .
- التدخل في توقيتات الانتخابات.
- وبسبب ما تقدم ينبغي على الولايات المتحدة ان تصحح من استراتيجيتها اذا ما ارادت ان تنشئ علاقة تعاون تتجاوز اثار ما خلفته من دمار ونفترح لذلك ما يأتي^(١٧):
- مراجعة الاتفاقات التي تم الوصل اليها بين الولايات المتحدة الامريكية والحكومة الانتقالية والقرارات ذات الاثر الممتد التي اتخذتها سلطه التحالف المؤقتة.
- اجراء مناقشه علنية للوضع القانوني لترتيبات التواجد العسكري والتفاوض على معايير للانسحاب التدريجي وجدوله الزمني .
- تشكيل لجنة مستقلة ذات مصداقية للتحقيق في انتهاكات حقوق الانسان والعنف ضد المدنيين منذ بدء الحرب وتعويض الضحايا عن الاضرار.
- عدم التدخل في اجراءات التحول نحو الديمقراطية.
- الكشف عن المغيبيين والمختفين قسريا .
- اطلاق سراح المحتجزين في سجون قوات الاحتلال.

- الكشف عن مصير الاموال العراقية التي يستحقها العراق بفعل تصدير النفط.
- الكشف عن مصير الممتلكات العراقية في قصور النظام السابق وأعادتها الى العراقيين
- التوقف عن املاء المواقف على الحكومة العراقية واحترام لرادة وسيادة العراق.
- اعادة تنظيم جهود المعونة والتعويضات وباسرع وقت ممكن.
- تعويض الالاف من المحتجزين الذين اطلق سراحهم والاعتذار لهم عن الأذى الذي لحق بهم
- دعم منظمات المجتمع المدني وحث المنظمات الأمريكية غير الحكومية على التعامل معها باحترام ورفع مستوى قياداتها علميا وعمليا وتبادل الخبرة استنادا الى المواثيق والاعراف الدولية ذات العلاقة بفعاليات ونشاطات حقوق الإنسان بشكل خاص.

السياسة الأمريكية حيال سورية

في ظل الرئيس بشار الأسد

المدرس الدكتور

عارف محمد خلف^(*)

المقدمة

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم لم يعد التصابق على مناطق النفوذ ذات المواقع الجيوستراتيجية كما كان في السابق وعليه فإن بعض الدول بدأت تفقد أهميتها الاستراتيجية ومنها سورية التي استطاع رئيسها الراحل حافظ الأسد أن يوظف موقعها الجغرافي ويعطي لسورية دوراً عربياً وإقليمياً ودولياً أكبر من إمكاناتها الاقتصادية والعسكرية مقارنة مع وضعها الحالي الذي بدأ يتضاءل كثيراً.

كما أن الأفراد الأمريكي على الساحة الدولية ومحاولتها الهيمنة على العالم واستبدال سياستها من الترخيب إلى التهريب واستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة السياسية قد جعل أمريكا تنظر إلى القيمة الاستراتيجية لأي دولة في منطقة الشرق الأوسط بقدر انضوائها في عملية التسوية مع (إسرائيل) ومدى استجابتها للملاءات الأمريكية ومن هنا فقد أوقع التثبيت السوري بالموقع الحيوّي وعدم التفريط بالدور الإقليمي للعلاقات السورية - الأمريكية في إشكالية بالغة التعقيد لا سيما بعد التقاطع في التوجهات بين الجانبين بعد احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣ وتداعيات اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري. وقد جاء هذا البحث محاولة متواضعة لاستقراء السياسة الأمريكية حيال سورية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:-

أولاً: ما أهمية الموقع الجيوستراتيجي السوري في السياسة الأمريكية ؟

ثانياً: ما هو التغيير الذي حصل في العلاقات الأمريكية السورية ؟ ولماذا ؟

ثالثاً: لماذا للقرار ١٥٥٩ ؟ وما هي تداعيات اغتيال الرئيس رفيق الحريري ؟

رابعاً: ما هي الاتجاهات المستقبلية للسياسة الأمريكية حيال سورية ؟

(*) مدرس كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

أولاً: أهمية الموقع الجيوستراتيجي السوري في السياسة الامريكية.

لاشك ان ما تتمتع به سورية من موقع جيوستراتيجي باعتبارها الجسر البري الذي يربط أوروبا بالشرق وكثيراً ما كانت الأرض السورية ميداناً للمعارك بين القوى الدولية المتنافسة والمتصارعة فيما بينها عبر التاريخ قد احرى الولايات المتحدة التي كانت تبحث عن مناطق لمد نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري لاسيما بعد اشتداد التنافس الدولي حول النفط في المنطقة العربية. (١)

وازداد التنافس على المنطقة العربية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوتين عظميين في اعقاب الحرب العالمية الثانية واقترب هذا التنافس بالصراع العائدي بين القطبين فيما عرفت بالحرب الباردة حيث اخذ كل طرف يسعى إلى توسيع مناطق نفوذه وحماية مصالحه والحيلولة دون انتقال نفوذ الطرف الاخر إلى مناطق نفوذه.

وفي ضوء ذلك سعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى زيادة اهتمامهما بسورية وخاصة بعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين عام ١٩٤٨، وبدء الصراع العربي- الاسرائيلي والنعكاسات القضية الفلسطينية لتدخل سورية كقطر عربي مجاور لفلسطين ضمن مؤامرة عربية قادتها الولايات المتحدة والتي اصبحت فيما بعد مدافعة عن هذا الكيان وراعية له وتنفذ باتجاه خلق اوضاع قائمة على المحافظة على لمن الكيان الصهيوني وفرض قبول الامر الواقع على الدول العربية ومنها سورية. (٢)

ان تمتع سورية بموقع جيوستراتيجي قد جعلها محل اهتمام الولايات المتحدة التي بدأت تبحث عن مد نفوذها وتكثيف تحالفاتها بعد الحرب العالمية الثانية ولمليء الفراغ في المنطقة بعد انحسار النفوذ الفرنسي والبريطاني ولاسيما ان سورية تعكس في تركيبها السياسي الداخلي مناسبات جبرلتها وخصوماتهم وانطلاقاً كما يرى (باتريك سويل) ان من يقود للشرق الاوسط لا بد له من السيطرة على سورية بسبب موقع سورية الاستراتيجي فهي تشرف على الممرات الشمالية الشرقية الموصلة إلى مصر وعلى الطريق البري ما بين العراق والبحر المتوسط وعلى شمال الجزيرة العربية والحدود

(١) د. إبراهيم سعيد البياضي، السياسة الامريكية في سوريا ١٩٣٦-١٩٤٩ بغداد، دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٠، ص ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

لشمالية للعالم العربي اضافة إلى ان سورية تتمتع بمركز مراقبة جيد يمكن منه رصد سياسات الدول الكبرى ومركز المنافسات بين الدول العربية^(٢).

وبموجب تلك الامة الكبيرة لموقع سورية فلا بد ان تحظى بقدر كبير ضمن دائرة الاهتمام الامريكي الذي بدأ يتصاعد بعد اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي ومد خط انابيب النفط عبر الاراضي السورية إلى موانئ البحر المتوسط. وهذه الحقيقة الفصح عنها رئيس جمعية اصنفاء الشرق الاوسط في واشنطن بقوله ان احد عوامل اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الاوسط هي العوامل السوقية والاقتصادية التي تتجلى باستغلال نفط المنطقة الذي يشكل خمسين بالمائة من انتاج العالم^(٣) وبذلك اصبح الشرق الاوسط يحتل أهمية استراتيجية ويرتبط بالدفاع عن مصالح الغرب وخاصة الولايات المتحدة من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية^(٤).

وضمن هذا السياق فقد سعت للولايات المتحدة بعد انشاء حلف الناتو عام ١٩٤٩ إلى تأسيس ائتلاف اقليمية تشمل منطقة شرق البحر المتوسط ومحاولتها لصنع سورية ولبنان ومصر والاردن والعراق اضافة إلى تركيا واليونان و(اسرائيل) فيها وكان هدفها هو حماية منابع النفط مع كل من بريطانيا وفرنسا^(٥).

وعلى هذا الاساس فقد لوحظ زيادة انغماس الولايات المتحدة في التدخل في شؤون سورية الداخلية في اطار سياسة التنافس مع الاتحاد السوفيتي الذي كان هو الآخر يحاول زيادة تولده في المنطقة العربية بغية الحد من النفوذ الغربي والامريكي من ناحية ولحماية امته القومي من ناحية ثانية، وبقدر تعلق الأمر بسورية فانها تعد اقرب المناطق للاعداد العسكري من لبحر الاسود إلى منطقة الخليج العربي وعمقا لقاعدة الهجوم المعادي للاتحاد السوفيتي في حالة تجاوز الحدود الجنوبية لتركيا^(٦).

والواقع ان التنافس الحاد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي طيلة الحرب الباردة ومحاولتهما استمالة وكسب سورية إلى دائرة نفوذهما قد أثر ايجابيا على حركة السياسة الخارجية السورية ومنحت سورية امكانية توظيف حالة التناقض والتنافس التي كانت سائدة بين القطبين لصالحها حيث نجح الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد في استثمار ذلك عبر اعتماد سياسة المناورة والتوازن بين هذا الطرف وذاك ففي الوقت الذي يبدو للمراقب بان سورية تحاول الابتعاد عن الاتحاد السوفيتي كوسيلة للحصول

(٢) باتريك سيل، الصراع على سورية، ترجمة سمير عوده ومحمود فلاحه، بيروت، دار الانوار، ط١، ١٩٦٨ ص ١٤-١٥.

(٣) د. ابراهيم سعيد البيضاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠-٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٥) ولمزيد من التفاصيل حول ذلك انظر: المصدر نفسه ص ١٤٥ وما بعدها.

(٦) عارف محمد خلف، أثر المتغيرات الدوائية الجديدة على السياسة الخارجية السورية ١٩٨٥-١٩٩٥.

رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٦٧.

على المساعدات الاقتصادية أو للحصول على السلاح أو لضمان الامني عبر التهديد بالاقتراب من الاتحاد السوفيتي فإنه ينفذ للولايات المتحدة إلى الاعتراف بدور سورية الاقليمي في المنطقة العربية^(٨).

فعلى سبيل المثال عندما تازمت العلاقة السورية- السوفيتية في ضوء التدخل العسكري السوري في لبنان عام ١٩٧٦^(٩)، حاولت الولايات المتحدة استثمار ذلك للتوتر بالشكل الذي يبعد سورية عن الاتحاد السوفيتي ويأتي ذلك على خلفية التقارب الأمريكي- السوري الذي تجسد في المباركة الأمريكية للتدخل العسكري السوري في لبنان عندما اعطي ضوء اخضر امريكي لسورية بوجوب هذا التدخل^(١٠).

وجاءت تصريحات الناطق باسم الخارجية الأمريكية (تشارلز ريمان) انذاك التي اعلن فيها (ان لسورية دورا تاريخيا يجب ان تقوم به في المنطقة وان الولايات المتحدة لاتزال مستعدة للتعاون مع دمشق في بحث المسائل الاقليمية)^(١١) لتؤكد حقيقة مفادها ان الولايات المتحدة يجب ان تتعامل مع سورية بصفتها اللاعب الاقليمي المهم في المنطقة وان هناك امكانية لاجاد تقاهم امريكي- سوري حول قضايا المنطقة المهمة ومنها قضية الصراع العربي الصهيوني وما يطرح من مقترحات بشأن أي مؤتمر سلام حول هذا الصراع وضرورة لشتراك سورية فيه.

وبعد احلال سياسة مبدأ توازن المصالح من قبل الاتحاد السوفيتي محل مبدأ توازن القوى وبروز تغيير في السياسة السوفيتية وانعكاس ذلك على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وسورية حيث بدأت بعض المشاكل تظهر بين الجانبين لعل من ابرزها مطالبة الاتحاد السوفيتي سورية بالوفاء بالتزاماتها المالية المستحقة لديها كشن للاسلحة التي ابتاعتها خلال السنوات الماضية وتلويحه بإمكانية خفض امداداته العسكرية إليها لعدم قدرتها على السداد^(١٢).

ومن هنا فقد اندركت سورية بان عليها الاستجابة لهذا الواقع الجديد لاسيما بعد التغييرات التي حصلت في أوروبا الشرقية بانهايار الأنظمة الشيوعية وهم جدر برلين بشكل دراماتيكي ومتسارع وتراجع الدور العالمي للاتحاد السوفيتي وبداية الانفراد

(٨) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٩) عمل الاتحاد السوفيتي على ايقاف امداد سورية بالاسلحة في ضوء هذا التدخل حتى عام ١٩٧٨، ولمزيد من التفاصيل انظر: باتريك سيل، الاسد، الصراع على الشرق الاوسط لندن، دار المساني، ١٩٨٨، ص ٤٦٤، وما بعدها.

(١٠) للتفاصيل حول ذلك انظر، عارف محمد خلف، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠، وما بعدها.

(١١) نقلا عن، عبد الله التركماني، الدور الجديد للنظام السوري في التسوية، مجلة شؤون سياسية، العدد (٢) بغداد، مارس ١٩٩٤، ص ١٠٥.

(١٢) كان مجموع ديون سورية للاتحاد السوفيتي سابقا والدول الاشتراكية من ١٤ - ١٥ مليار دولار

الأمريكي، وهذا ما انعكس بشكل واضح في التخلي عن سياسة التوازن التي اعتمدتها حيال للقوتين العظميين وإن تتكيف مع واقع الانفراد الأمريكي من خلال ابداء المرونة في مواجهة (إسرائيل) واستعداد الرئيس السوري حافظ الأسد لاجراء محادثات مناسبة مع الإسرائيليين تحت ظروف مناسبة كما أعلن عن ذلك الرئيس الأمريكي الاسبق (جيمي كارتر)^(١٣)، كذلك موافقة سورية في الانخراط في المشاركة العسكرية مع الولايات المتحدة في الحرب على العراق عام ١٩٩١.

ويرى المسؤولون الأمريكيون بان هذه المشاركة السورية في الحرب مهمة على اعتبار إنها عززت المصالح الامريكية في المنطقة وكما جاء بقول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر) بعد قيامه بعدة لقاءات في سورية (نحن توجد لدينا علاقات وثيقة فقط مع البلدان التي ساهمت في قيمنا الاساسية)^(١٤).

ومن الواضح ان الولايات المتحدة قدمت بعض الاغراءات إلى الرئيس حافظ الأسد لضمان مشاركته في الحرب على العراق عام ١٩٩١ منها تأكيد الرئيس الأمريكي الاسبق جورج بوش حول اهتمام واشتغال بالمشاكل الامنية والمصالح الحيوية السورية وذلك خلال قمة بوش- الأسد في جنيف في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٩٠ حيث اشار البيان الأمريكي إلى (أهمية التقدم في عملية السلام تمثيا مع القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ وإلى التصميم على اعطاء الدفع والزخم اللازمين لها بعد انتهاء أزمة الخليج)^(١٥).

ويمكن القول بان ما حصلت عليه سورية من مشاركة لمريكا في الحرب يكمن فيما يلي:-

- ١- احكام القبضة السورية على لبنان بعد اعطاء امريكا الضوء الاخضر لسورية وذلك بقيام القوات السورية المتواجدة في لبنان بشن هجوم على قوات الجنرال ميشال عون رئيس الحكومة اللبنانية المؤقتة واضطراره للجوء إلى السفارة الفرنسية في بيروت ومغادرة لبنان إلى فرنسا.
- ٢- اشتراك سورية في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ لتسوية الصراع العربي الاسرائيلي.
- ٣- الابقاء على الدور الاقليمي لسورية.

(١٣) انظر، Daniel pipes, Is Damascus Ready for peace / Foreign Affairs, vol, 10, Fall 1991, p 40.

(١٤) نقلا عن: عارف محمد خلف، مصر سبق ذكره، ص ١٧٢.

(١٥) صحيفة تشرين السورية، العدد (٥٨٣٨) في ١٥/١٠/١٩٩٤.

التغيير في العلاقات الامريكية- السورية

ان السمة الغالبة التي ميزت العلاقات الامريكية- السورية طيلة مدة حكم الرئيس الراحل حافظ الاسد تراوحت بين الشد والجذب تبعاً للتطورات السياسية الدولية والاقليمية والعربية ففي الوقت الذي كان فيه الاسد ناقداً للسياسة الامريكية في المنطقة بسبب انحيازها الكامل لاسرائيل فإنه يتطلع إلى تحسين علاقات سورية معها انطلاقاً من إدراكه بأنه لا يمكن اجراء اية تسوية سياسية للصراع العربي- الاسرائيلي من دون تأثير الضغط الامريكي على (اسرائيل)، وبالمقابل فإن للولايات المتحدة لا يمكن ان تتغافل عن الدور السوري في المنطقة العربية وتأثيرها على مجمل قضاياها العالمية، وان اية تسوية محتملة للصراع العربي- الاسرائيلي لا يمكن ان تتم ويكتب لها النجاح من دون مشاركة سورية فعالة تأخذ بعين الاعتبار المطالبة السورية باستعادة الاراضي السورية المحتلة المتمثلة في مرتفعات الجولان منذ حرب ١٩٦٧، وان هذه التسوية يمكن ان تؤثر على دعم سورية لحزب الله اللبناني والمنظمات الفلسطينية المتواجدة على الاراضي السورية.

وقد عبرت الولايات المتحدة عن اهتمامها بالدور السوري وبتحريك الملف السوري- الاسرائيلي من خلال رسالة التطمينات إلى سورية بعدم موافقة الادارة الامريكية على ضم الجولان لاسرائيل والتزامها بالرسالة التي كان الرئيس الأمريكي الأسبق جيرالد فورد قد قدمها إلى القيادة السورية عام ١٩٧٥ والتي أكد فيها اقرار الولايات المتحدة بالسيادة السورية على الجولان^(١١).

وكنك في تأكيد الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في رسالته إلى الرئيس الاسد في ١٩٩٣/٢/٦ التزام الولايات المتحدة بمساعدة الاطراف على انجاح العملية السلمية وتمهدها بالتعاون مع الاسد في مسيرة التسوية^(١٢).

ولزاء التغيير الحاصل في ميزان القوى العربي- الاسرائيلي نتيجة الحرب على العراق عام ١٩٩١ فقد أدرك الرئيس حافظ الاسد بان عليه القبول بالامر الواقع والدخول في مفاوضات مباشرة مع (اسرائيل) تحت رعاية الولايات المتحدة باعتبارها الشريك الكامل في المسار السوري- الاسرائيلي، حيث كانت مراعاة الرئيس الاسد تستند الى رؤية مفادها ان امكانية استعادة مرتفعات الجولان تتوقف على مدى تأثير الضغط الامريكي على (اسرائيل) فحسب.

وعلى هذا الاساس فإنه على الرغم من الاستعداد السوري للتوصل إلى تسوية سياسية مع (اسرائيل) فإنه لم يلاحظ قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل والفاعل في الجولات العشر التفاوضية بين سورية و(اسرائيل) بسبب تأثير ضغط

(١١) عبد الله التركماني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٦-١٠٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

اللوبي الصهيوني على الادارة الامريكية والقيام بتحريضها على اتخاذ مواقف سلبية من سورية وتخريب عملية السلام^(١٨).

وجاء اغتيال رئيس الوزراء الاسبق إسحاق رابين في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٩٥ ليضع حدا للمفاوضات السورية- الاسرائيلية والتي انتهت تماما خلال مؤتمر القمة الثنائي في جنيف بين الرئيس السوري حافظ الاسد وبيل كلينتون الرئيس الامريكي السابق في ٢٦ آذار ٢٠٠٠ حيث رفض الاسد المقترح الذي تقدم به كلينتون والقاضي بعدم انسحاب (اسرائيل) كلياً من الجولان والاحتفاظ بشريط من الاراضي شرق الشاطئ الشمالي الشرقي لبحيرة طبريا كان خاضعا للسيادة السورية قبل ٤ حزيران ١٩٦٧^(١٩).

وهذا يعني ببساطة تخلي سورية عن مطالبتها بالسيادة على بحيرة طبريا الأمر الذي حدا بالاسد إلى رفض مناقشته كما رفض تقديم عرض مضاد قائلاً (باراك لا يريد السلام)^(٢٠)، وبذلك فقد تم اغلاق المعمار السوري الاسرائيلي.

ويمكن القول انه بموت الرئيس حافظ الاسد عام ٢٠٠٠ فانه تم اختتام مرحلة مهمة في العلاقات الامريكية- السورية استطاع الاسد فيها ان يجد لسورية دوراً اقليمياً مؤثراً فيها.

وبتولى الرئيس بشار الاسد السلطة في سورية دخلت العلاقات الامريكية السورية في اتجاه اخر وخاصة بعد احداث ١١ ليلول ٢٠٠١ التي راح ضحيتها حوالي ثلاثة آلاف شخص وتدمير برجتي للتجارة العالمية في نيويورك والتي تم توظيفها من قبل الرئيس الامريكي جورج بوش (الابن) في سياسته الخارجية ومجالاً لدور امريكي جديد في القرن الحادي والعشرين من خلال اعتماد سياسة القوة بدلاً من الدبلوماسية^(٢١).

(١٨) اتهم بعض المسؤولين السوريين اللوبي الصهيوني بتخريب العلاقة بين دمشق وواشنطن راجع نصوص هذه الاتهامات: عارف محمد خلف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩.

(١٩) انظر، تقرير سورية في ظل بشار الاسد للتحديات السياسية الخارجية، المجموعة الدولية لمقاربة الالتزامات ICG.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) لمزيد من التفاصيل حول تلك السياسة راجع: نصير عاروري، حروب جورج بليو بوش (الوقائية) بين مركزية الخوف وعولمة ازهاق الدولة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩٧) ١١/٢٠٠٣، ص ١١ وما بعدها.

وقد عززت أحداث ايلول مواقع العناصر الراضية للسياسة الأمريكية التقليدية في منطقة الشرق الاوسط واكنت على مخاربة (الارهاب)^(٢٢).

وجاء غزو الولايات المتحدة أفغانستان عام ٢٠٠١ وغزوها العراق عام ٢٠٠٣ ليؤكد حقيقة مفادها ان سياسة اسقاط الانظمة المعادية للولايات المتحدة في عالم سمته الارتباك والفوضى والتحول بدل الدخول في سلسلة من الاجراءات الوقائية السياسية والاقتصادية المكلفة وغير مضمونة النتائج لما هي رسالة تريد الادارة الأمريكية توجيهها إلى كل الانظمة التي قد تفكر في تحدي زعامتها وهيمنتها^(٢٣).

ومما لا ريب فيه فقد احدث الاحتلال الأمريكي للعراق تحديا خطيرا لسورية بخسارة عمقها الاستراتيجي ووضعها امام استحقاقات جديدة حيث التواجد العسكري الأمريكي في العراق من ناحية والتفوق العسكري الاسرائيلي من ناحية أخرى الأمر الذي عرض سورية للكشف الأمني بشكل خطير.

وقد اطلق وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) في الاسبوع الأول من احتلال العراق رسالة بهذا المعنى عبر التهديد العلني لسورية، كما اختار (كولن باول) وزير الخارجية الأمريكي السابق ان يطلق تهديده لسورية من على منبر اللقاء السنوي لايبيك (الهيئة الاسرائيلية الأمريكية للعلاقات العامة) ووفقا لوكالة (UPI) فإن خطة طارئة لنقل مسرح الحرب إلى سورية قد ابطلته (كونداليزا رايس) مستشارة الأمن القومي سابقا بموافقة الرئيس بوش وكانت الخطة قد وضعت من قبل دوغلاس فايت مساعد وزير الدفاع للسياسة وبموافقة رامسفيلد وتحريض ولفويتز مساعد وزير الدفاع السابق وهم جميعا من انصار حزب الليكود الاسرائيلي^(٢٤) وتتابع الوكالة تقريرها:

ان اخر تحريض للبينتاغون على مجابهة دمشق تعزز بزيارة مستشار الأمن القومي الاسرائيلي (افرايم هاليفي) إلى واشنطن بين ١٢ و ١٤ نيسان ٢٠٠٣ حيث اقترح مع (دوف وايسغلاس) احد كبار مساعدي شارون ليقترحا ان تتولى واشنطن أمر ايران وسورية أيضا بسبب دعمهما للارهاب وتطويرهما اسلحة دمار شامل، إلا

(٢٢) بعد ساعات من هجوم ١١ ايلول صدر اعلان جورج بوش الحرب على (الارهاب) الذي دشّن به بداية استراتيجية جديدة لاعادة رسم خريطة الشرق الاوسط ووسط آسيا لتوسيع رقعة الهيمنة الأمريكية والتفاصيل انظر، المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢٣) الرئيس لكريني، الزعامة الأمريكية في عالم مرتبك، مقدمات الريادة واكرهات التراجع، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩١) ٢٠٠٣/٥، ص ٢٧.

(٢٤) Richard Sale, "Rice Blocked plan for Raids on Syria (United press International [UPI] 2/5/2003

نقلا عن نصير عاروري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

ان رايس كررت تأكيدها بأنه لن تكون هناك مغامرة عسكرية أخرى في الفترة الأولى من رئاسة بوش^(٢٥).

وغني عن الذكر ان الولايات المتحدة قد اتهمت سورية بأبوائها مسؤولين من النظام السابق وان لديها بعض اسلحة الدمار الشامل العراقية ولها تسهل عبور المتطوعين للقتال في العراق وما تم تلميح من قبل وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد لما زعم من امدادات عسكرية سورية للعراق ووصفها بالاعمال المعادية ويجب ان تحاسب سورية عليها، وما نقل عن مسؤول امريكي قوله (نحن حاليا نحاول اخافتها على امل ان تغير سلوكها)^(٢٦).

كذلك ما اوضحه صناع القرار الأمريكيين بان الولايات المتحدة ستستمر بالضغط على سورية وعزلها ما لم تغير سياستها جنزيا حيال العراق والصراع العربي الاسرائيلي فهناك مثلا عدم وفاء للرئيس السوري بشار الاسد بتعهداته حول اغلاق امداد النفط العراقي عبر الاراضي السورية عام ٢٠٠١ الذي ساهم في فقدان ثقة واشنطن بالاسد وضروة التعامل القاسي معه وهذا واضح من خلال الرسالة التي بعثها وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول إلى القادة السوريين بتاريخ ٣ مارس ٢٠٠٣ بقوله (انتم في الجانب الخاسر فقد خسرتم عائدات العراق والولايات المتحدة تقوم بجهد لعملية سلام لا تشملكم وليس هناك أي زعيم عربي الح علينا من حضوركم قمة شرم الشيخ في ٢ حزيران ٢٠٠٣ بإمكانكم تغيير سياستكم بما يخص العراق والصراع الفلسطيني الاسرائيلي والانضمام إلى التحالف المعادي للإرهاب وفي هذه الحالة يمكن ان تكونوا جزءا من عملية السلام وبإمكانكم أيضا ان تستمروا فيما انتم عليه فيتم تجاوزكم لقد غادر القطر المحطة الخبار لكم ولن نستجديكم)^(٢٧).

ويفهم من هذا العرض الأمريكي لسورية انه الخيار الاخير بين التعاون أو المواجهة على خلفية الموقف السوري الرفض للاحتلال الأمريكي للعراق وعدم الاستجابة السورية لأمريكا لاحكام سيطرتها على العراق بعد ان اخذت القوات الأمريكية تلاقي صعوبات كبيرة نتيجة تصاعد العمليات العسكرية ضدها وهذه الدعوة الأمريكية لسورية هي جزء من محاولة الادارة الأمريكية لزعج دول الجوار العراقي للمساعدة في الخروج من المازق العسكري الذي وقعت فيه.

ولزاء الرفض السوري لهذا العرض الأمريكي فقد كان من المتوقع ان تلجأ الولايات المتحدة إلى خيار التصعيد وتازيم للعلاقات مع سورية والتي كانت أولى

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) نقلا عن، The Washington post 15 April 2003.

(٢٧) ICG middle East Report N'1, Old Games new Rulers: conflict on the Israel_ Lebanon Border, 18 November 2002, p 13.

بواندرا تكمن في مصادقة الرئيس الامريكي بوش (الابن) في ١٢ كانون الأول ٢٠٠٣ على قانون محاسبة سورية الذي يدين سورية على دعمها للفصائل الفلسطينية وسماعها للمتطوعين بالتسليح إلى العراق وتطويرها اسلحة الدمار الشامل ووجودها في لبنان، بقصد أحداث تأثير في السياسة السورية حيال هذه القضايا، يحظر القانون الصادرات العسكرية والصادرات ذات الاستخدام المزدوج إلى سورية ويقترح على الرئيس قائمة بأنواع الحظر وعليه ان يختار اثنان منها على الأقل^(٢٨)

وهكذا فقد لوحظ ان العلاقات الامريكية-السورية اخذت في التوتر بعد ان تقلصت فرص الحوار وبدأت الولايات المتحدة تصعد من لهجتها ضد سورية من خلال اللجوء الى تحريك اوضاع جديدة في المنطقة كالوجود العسكري في لبنان والملف الايراني وموضوع حزب الله في لبنان تحت ذريعة ما يسمى بمكافحة الارهاب. وكانت الاولوية هي انتهاء الوجود العسكري في لبنان وهي محاولة امريكية لاعادة سورية الى حدودها الجغرافية المحضة ولخراجها من أي دورقليمي وعربي لها ولرجاعها الى ان تكون تماما على الطراز العراقي لو نجح.^(٢٩)

ثالثا: القرار ١٥٥٩ وتداعيات اغتيال رفيق الحريري

جاء قرار مجلس الامن الدولي الرقم (١٥٥٩) في ايلول ٢٠٠٤ الذي نص على انسحاب القوات السورية من لبنان واجراء الانتخابات اللبنانية في موعدها المقرر في ايار ٢٠٠٥ ونزع سلاح الميليشيات في لبنان في اطار الضغوط الامريكية المتواصلة على سورية على خلفية الاتفاق الامريكي-الفرنسي باخراج القوات السورية من لبنان بعد محاولة امريكية لاسترضاء فرنسا التي رفضت الاحتلال الامريكي للعراق، فامريكا تسعى الى اعادة الصنف الاوربي الى جانبها بهدف للحصول على مساعدة اوروبية عسكرية او على الأقل مالية للعراق والى خفض العبء الذي تتحمله امريكا جراء احتلالها للعراق بمفردها وبالمقابل اعطاء دور فرنسي في المنطقة من خلال البوابة اللبنانية، اضافة الى ذلك هناك رغبة فرنسية في انتهاء النفوذ السوري في لبنان بعد ان ادرك الرئيس الفرنسي جاك شيراك ان علاقات الصداقة كانت بالنسبة الى بشار الاسد جادة في اتجاه واحد فالرئيس السوري لم يكن ينصت لنصيحته فقط بل كان

(٢٨) تشمل القائمة ستة انواع ١- حظر جميع الصادرات عدا الغذاء والدواء. ٢- حظر الاستثمار الامريكي في سورية. ٣- تقييدات صارمة لسفر الدبلوماسيين السوريين الى الولايات المتحدة. ٤- حظر دخول الطائرات السورية الى الولايات المتحدة. ٥- تخفيض العلاقات الدبلوماسية إلى مجرد اتصالات ضرورية لحملة مصالح الولايات المتحدة. ٦- تجميد جميع المعاملات التجارية للحكومة السورية في الولايات المتحدة الامريكية انظر : ICG, opcit.

(٢٩) كمال خلف الطويل: حلقة نقاشية حول تقييم الانتخابات الامريكية ٢٠٠٤، مجلة المستنقل العربي، العدد (٣١٠) ١٢/٢٠٠٤، ص ٦٩.

يتصرف في الاتجاه المعاكس على نحو يزيد من هيمنته على لبنان على النحو الذي برهن عليه مد ولاية الرئيس اللبناني اميل لحود واخيرا فان دمشق منحست لشركات امريكية عقدا مهما في مجال الطاقة بينما تجاهلت عرضا من مؤسسة توتال الفرنسية ينطوي على مزاي اكثر الامر الذي علق على ذلك جاك شيراك بقوله (ان الاسد يكافئ اعداءه فحسب).^(٣٠)

اما بالنسبة لامريكا فتهدف من وراء الخروج السوري الى تحجيم وعزل سورية واجبارها على ان تكون اكثر تعاونا مع القوات الامريكية الموجودة في العراق اضافة الى تخفيف الضغوط الممكنة على (اسرائيل) التي ترفض للتخلي عن مرتفعات الجولان.^(٣١) اما رد الفعل السوري لهذا القرار فقد جاء على لسان الرئيس بشار الاسد حيث وجه في خطاب له انتقادات له لانه مخالف لميثاق الامم المتحدة ورفض اتهامات برغبة دمشق في الهيمنة على لبنان محذرا من ان جهات اجنبية تريد الغف بلبنان وسورية في قلب الحمص داخل البركان القائم في الشرق الاوسط.^(٣٢)

وغني عن الذكر ان تعديل الدستور اللبناني الذي جاء بناء على الرغبة السورية الراضية للضغوط الامريكية والفرنسية المطالبة بعدم تعديل الدستور والذي سمح بتمديد فترة رئاسة الرئيس اللبناني امين لحود ثلاث سنوات قد شكل بداية تفجير الازمة اللبنانية وتحجيم الدور السوري في لبنان حيث استقال رفيق الحريري من رئاسة الوزارة احتجاجا على هذا التعديل وتم تكليف الامين العام للامم المتحدة (كوفي انان) بمتابعة الموقف في لبنان والمطالبة بالانسحاب السوري من لبنان.^(٣٣)

ويأتي اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في ١٤ شباط ٢٠٠٥ ليزيد العلاقات الامريكية- السورية تازمات وتعقيدا بعد ان تمكنت الولايات المتحدة من توظيف هذا الحادث لصالحها بتسليط المزيد من الضغوط على سورية والتي كانت من اهم تداعياتها هي ما يلي:

١- الاستجابة السورية الفورية بسحب جميع القطعات العسكرية من الاراضي اللبنانية والذي استكمل قبيل بدء الانتخابات اللبنانية بتاريخ ٢٩/٥/٢٠٠٥.^(٣٤)

^(٣٠) للتفاصيل انظر: ايرك رولو، سياسة فرنسا الخارجية بين الولايات المتحدة والوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٩) ٢٠٠٥/٩، ص ٥٣-٥٤.

^(٣١) المصدر نفسه، ص ٥٤.

^(٣٢) مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٠)، ٢٠٠٤/١٢، ص ٢٢٠.

^(٣٣) محمود صالح الكروي، لبنان بين تداعيات الانسحاب السوري والانتخابات التشريعية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٦) ٢٠٠٥/٦، ص ٤٠٠-٣٩٩.

^(٣٤) وجه فاروق الشرع وزير الخارجية السوري رسالة الى الامين العام للامم المتحدة ابلاغه فيها بالانسحاب كامل القوات السورية من لبنان والتزام دمشق بما يتعلق بها من القرار (١٥٥٩). انظر: مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٦) ٢٠٠٥/٦، ص ٢١٨.

- ٢- تشكيل لجنة تحقيق دولية برئاسة القاضي الألماني (ديتليف ميليس) للنظر في ملائمة اغتيال رفيق الحريري ومطالبة أمريكا المسؤولين السوريين بالتعاون للتام مع هذه اللجنة.
- ٣- تأثير الانسحاب السوري على العلاقة المباشرة بين حزب الله وسورية وجعل العلاقة مع حزب الله يمر عبر القناة الإيرانية فاي حركة يقوم بها حزب الله في ظل علاقته بسورية سوف ينعكس سلبا عليها.^(٢٥)
- ٤- تازم العلاقات بين سورية ولبنان في ضوء اتهام بعض الاحزاب والكتل اللبنانية بمسؤولية سورية عن اغتيال رفيق الحريري وإلى الحد الذي طالب فيه بعض الزعماء اللبنانيين بتغيير النظام السوري.
- ٥- التدخل الأمريكي المباشر في الشأن اللبناني من خلال الضغوط على مبعوث الأمم المتحدة (تيري رود لارسن) ومحاولة تسييس لجنة التحقيق الدولية ومنحها المزيد من الصلاحيات وتخويلها مساعلة أي مسؤول سوري بما فيه الرئيس السوري بشار الأسد.
- ٦- اجبار سورية على اتخاذ بعض الاجراءات الامنية على الحدود مع العراق لمنع تسلل المتطوعين للقتال ضد القوات الأمريكية حيث اقامت سورية أكثر من (٥٠٠) مخفر للحراسة ونشرت (٧٥٠٠) عسكري على طول الحدود العراقية-السورية.^(٢٦)
- وعلى الرغم من قيام سورية بهذه الاجراءات الامنية على الحدود مع العراق فان الضغوط الأمريكية عليها مستمرة وتتوالى الاتهامات ضدها بشأن الاوضاع المتفاقمة في العراق حيث اعتبر وزير الدفاع العراقي سعدون الدليمي ان معظم السيارات المفخخة التي تنفجر في العراق تأتي من سورية.^(٢٧) وعلى العكس من ذلك يعتقد السوريين بان الأمريكان لا يريدون ان يتم ضبط الحدود حيث يرى الرئيس السوري بشار الأسد بانه (لنا مصلحة في سورية في ضبط الحدود مع العراق بمعزل عن المطالبات الأمريكية) وبدون تعاون من قبل الجانبين فانه (لا يمكن ضبط الحدود من جانب واحد).^(٢٨)
- اما بشأن التحقيق في قضية اغتيال الحريري فان سورية باتت أكثر استعداداً للتعاون مع لجنة التحقيق الدولية حيث أعلن الرئيس السوري بشار الأسد في حديثه

(٢٥) محمود صالح الكروي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

(٢٦) انظر : مجلة المستقبل العربي العدد (٢١٨) ٢٠٠٥/٨، ص ٢٠٣.

(٢٧) انظر : مجلة المستقبل العربي العدد (٢١٩) ٢٠٠٥/٩، ص ١٨٨.

(٢٨) حديث الرئيس السوري بشار الأسد الى محطة تلفزيون (سكاي نيوز). التركية بتاريخ ٢٧-١٢-٢٠٠٥.

انظر: قناة سورية الفضائية في ٢٧/١٢/٢٠٠٥.

لمجلة دير شبيغل الألمانية استعداد سورية لتسهيل مهمة لجنة التحقيق الدولية موضحة ان بإمكان ميليس استجواب من يريد من المواطنين السوريين.^(٣٩) وبالفعل فقد تمت الاستجابة السورية لطلب لجنة التحقيق الدولية بارسال عدد من المسؤولين الامنيين ومنهم رستم غزالة مسؤول جهاز الامن والاستطلاع السابق في لبنان الى فيينا حيث انتهت لجنة التحقيق الدولية في اغتيال رفيق الحريري الاستماع الى شهادتهم على الرغم من التلذذ في الاستجابة حول ارسالهم الذي ذكره ميليس في تقريره الذي قدمه الى مجلس الامن الدولي في ١٣/١٢/٢٠٠٥.^(٤٠) والواقع ان هذه الاستجابة كانت بتأثير قرار مجلس الامن الدولي المرقم ١٦٣٦ ويستند الى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة يطالب سورية بالتعاون الكامل واللامشروط مع لجنة التحقيق الدولية في اغتيال رفيق الحريري ويؤكد القرار انه (يجب على سورية ان تعتقل المسؤولين او الاشخاص السوريين الذين تعتبر لجنة التحقيق الدولية انه يشتبه بضلوعهم في اغتيال الحريري وان تجعلهم متاحين للجنة بالكامل).^(٤١)

وفي اطار الضغوط التي تعرضت لها سورية حول الجدل الدائر بشأن قضية اغتيال الحريري تأتي التصريحات التي اطلقها عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري السابق من باريس مقر اقامته مع قناة العربية الفضائية مساء ٣٠/١٢/٢٠٠٥ والتي وجه فيها سبلا من الانتقادات الى نظام الحكم في سورية والى الرئيس بشار الاسد ووزير الخارجية فاروق الشرع ورئيس جهاز الامن والاستطلاع السابق في لبنان رستم غزالة مشيرا الى ان رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري قد تلقى تهديدات سورية قبل اغتياله.^(٤٢)

والواقع انه بغض النظر عن صدقية او عدم صدقية الاتهامات التي وردت على لسان عبد الحليم خدام بشأن اغتيال الحريري فان توقيت تلك التصريحات في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها سورية يشكل تحديا اضافيا لها يمكن توظيفه لصالح الاجندة الأمريكية المتخذة ضد سورية.

^(٣٩) نقلا عن مجلة المستقبل العربي العدد (٣٢٠) ٨١٠/٢٠٠٥، ص ص ٢١٦-٢١٧.
^(٤٠) كان للسعودية دورا مهما في الوساطة مع فرنسا والامين العام للأمم المتحدة في حل الاشكالية بين سورية ولجنة التحقيق حول المكان الذي يتم فيه استجواب المسؤولين السوريين من قبل اللجنة حيث تم الحصول على حل وسط وهو فيينا. وللتفاصيل انظر مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٢٣) ١/٢٠٠٦، ص ١٧٤.
^(٤١) المصدر السابق، ص ١٧٣.
^(٤٢) لمزيد من التفاصيل انظر قناة العربية الفضائية مساء يوم ٣٠/١٢/٢٠٠٥.

رابعاً: الاتجاهات المستقبلية:

في ضوء ما تقدم يمكن ان نضع تصورنا حول اتجاهات السياسة الأمريكية حيال سورية خلال المرحلة القادمة وفق ما يلي:

١- الاتجاه الأول: التصعيد

يتمثل في لجوء الولايات المتحدة الى اعتماد سياسة المواجهة والتصعيد ضد سورية وهذا يتوقف على عدة مسائل مهمة لعل من أبرزها مدى النجاح أو الفشل الأمريكي في العراق فكلما تعثر المشروع الأمريكي في العراق فإن اصابع الاتهام توجه الى دول الجوار وتصاعدت حدة المواجهة وبالتالي فرض المزيد من الاملاءات الأمريكية على سورية بتقديم التنازلات وإذا ما تحقق النجاح فإن ذلك يشكل تهديداً لسورية إذ لطالما لوح للرئيس الأمريكي بوش الابن في اكثر من مناسبة تمر بها العملية السياسية في العراق ان هذا النجاح هي رسالة موجهة الى دمشق وطهران وبما يعني ان التغيير القادم سيطال هاتين الدولتين التي تضعهما أمريكا على رأس قائمة الدول الراحية بما يسمى (الارهاب).

ولربما جاء تشكيل (جبهة الخلاص الوطني) من قبل عبد الحلیم خدام والمراتب العام للاخوان المسلمين في سورية على صدر البيانوني وبعض عناصر المعارضة السورية في بروكسل واعلانها عن ضرورة تغيير النظام السوري سلمياً^(١٢) كمقدمة في هذا الاتجاه. ويتوقف هذا الامر على مدى قدرة هذه المعارضة على تحقيق عملية التغيير والتي لايمكن ان تتم من دون استجابة الشعب السوري لها. كذلك فإن اتجاه التصعيد يتمثل في استمرارية الضغط الأمريكي من خلال لجنة التحقيق الدولية بشأن اغتيال رفيق الحريري وتسييس هذه اللجنة لصالح الولايات المتحدة وفي تقديره سوف تستمر اللجنة باعمالها الى مدة غير محددة وتقوم بالمزيد من المساءلات للمسؤولين السوريين بما فيهم الرئيس السوري بشار الأسد، وان النتائج التي تتوصل اليها اللجنة حول تورط او عدم تورط سورية في اغتيال الحريري يتوقف على مدى تقديم التنازلات السورية في شتى القضايا العالقة في المنطقة ولاسيما التنازل الى (اسرائيل) في لية تسوية قائمة.

٢- الاتجاه الثاني: التهدئة:

ينطلق تصور هذا الاتجاه في العلاقات الأمريكية- السورية من التخلي الأمريكي عن مطالباتها بالاصلاح في المنطقة بعد نتائج الانتخابات الاخيرة في عدد من الدول العربية التي اسفرت عن فوز التيارات الاسلامية واخفاق الاحزاب ذات الصبغة العلمانية كما حصل في مصر وفلسطين والعراق. وعلى الصعيد السوري هناك بعض

(١٢) لمزيد من التفاصيل حول البرنامج السياسي لجبهة الخلاص الوطني انظر الحوار الذي أجرته قناة الجزيرة الفضائية مع المراب العام للاخوان المسلمين في سورية مساء ٢٠٠٦/٣/٢٤.

الخطوات العملية التي اتخذتها الحكومة السورية لتهدئة التوتر الحاصل مع الولايات المتحدة والتعاون معها بشأن ضبط الحدود السورية مع العراق حيث اعلن وزير الداخلية العراقي (بيان جبر) ان الحدود السورية- العراقية أصبحت أكثر انضباطا مشيرا الى تدابير اتخذتها سورية على الحدود للحصول دون تسلل المقاتلين الى العراق.^(٤٤) كما اعلنت سورية عن استعدادها لفتح سفارة سورية في بغداد بعد تشكيل الحكومة العراقية الجديدة وذلك خلال استقبال الرئيس السوري بشار الاسد زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر لدى زيارته سورية مؤخرا.^(٤٥)

وعلى صعيد ذي صلة بالضغط الامريكية استجابت سورية للمطالب الامريكية بايقاف النشاطات الاعلامية لمكاتب المنظمات الفلسطينية العاملة في دمشق.

اما على الصعيد الداخلي فقد كانت هناك بعض الاصلاحات في مجال الافراج عن بعض المسجونين السياسيين وتبني المؤتمر العاشر لحزب البعث الحاكم في سورية عددا من التوصيات الاصلاحية من أبرزها اصدار قانون للحزب ومراجعة قانون الطوارئ واقامة مجلس شوري يشارك في اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي في البلاد.^(٤٦) ومحاربة الفساد الاداري والانفتاح الاقتصادي على الغرب.

واخيرا تمثلت في الاستجابة السورية للمطالب الامريكية بشأن تهدئة الوضع اللبناني وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبنانية.

ويتوقف اتجاه التهدة على خطوات اعادة بناء الثقة بين الولايات المتحدة وسورية التي تزعزت بسبب المخاوف السورية من الاهداف الامريكية في المنطقة بعد احتلال العراق من ناحية ومدى اقتناع واشنطن بمصداقية سورية وتعاونها من ناحية ثانية وفي الاستجابة الامريكية للمطالب الجوهرية السورية في استرداد اراضيها المحتلة من قبل (اسرائيل) من ناحية ثالثة.

٣- الاتجاه الثالث: للتصعيد والتهدة

يتباين هذا المشهد في السياسة الامريكية حيال سورية بين الاستمرار في تسليط الضغوط وفرض الاملاءات السياسية تارة وبين التراجع والحاجة الى التهدة تارة اخرى. فعندما تجد الولايات المتحدة ان الاستمرار في سياسة التصعيد ضد سورية قد يواجه تحديات كبيرة وصعوبات جدية تتمثل بعدم قدرة قواتها العسكرية على القيام باي عمل عسكري محتمل على سورية بسبب عدم الامكانية على فتح جبهات قتالية اخرى

(٤٤) صحيفة الصباح العراقية، بغداد، للصادرة، بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٥.

(٤٥) حديث الرئيس السوري بشار الاسد خلال المؤتمر الرابع للحزب العربية، انظر: قناة سورية الفضائية مساء يوم ٢٠٠٦/٣/٥.

(٤٦) انظر: مجلة المستقبل العربي، العدد (٣١٨) ٢٠٠٥/٨، ص ٢٠٩.

نتيجة احتلالها العراق وافغانستان فان الانتقال الى خيار التهنة ولو لمدة معينة يصبح اكثر قبولاً وملاءمة.

ويقترن هذا الانتقال بمدى قدرة سورية على التكيف مع المستجدات الراهنة في المنطقة ولبدء المزيد من المرونة والتعامل بواقعية مع التحديات التي توجهها والابتعاد عن سياسة المواجهة بتغليب منطق الحوار والتفاهم لتحقيق المصالح المتبادلة مع امريكا وبتقوية التماسك الداخلي السوري.

ومن المرجح ان يتعزز الميل نحو التهنة مع سورية في ضوء الاعلان الامريكي عن استراتيجية الامن القومي للاعول الخمسة القادمة حيث وضعت ايران على رأس الاولويات باعتبارها اكبر تحدٍ يواجه الولايات المتحدة بسبب ملفها النووي. ومع ذلك لا يمكن القول ان الضغوط الامريكية على سورية قد تنتهي وتنتلشى بهذه الكيفية فلا زالت هناك الكثير من التدخلات والشكوك قائمة بين الجانبين وان اية اثارة في القضايا العالقة كالمف العراقي والملف اللبناني والملف الفلسطيني والملف (الاسرائيلي) ستعقد الموقف مرة اخرى وان للجوء الامريكي الى التهديد بفرض العقوبات الدولية على سورية ما يشير الى هذا الاتجاه.

الخاتمة:

وبناء على ما تقدم فان ترجيح كفة أي من المسارات الثلاثة بعضها على البعض الآخر يتوقف على حقيقة معرفة توجهات السياسة الخارجية الامريكية التي لا تزال تعمل على تحقيق اجندتها في منطقة الشرق الاوسط منذ التسعينات على الرغم من الانتكاسات التي تتعرض لها في العراق بسبب الخسائر المادية والبشرية. ولذلك ينبغي على سورية ان تتبنى توجهها جديداً في سياستها الخارجية يولّي بين تحقيق مصلحتها الوطنية من ناحية ويجنبها الاستهداف الامريكي بسبب الذرائع والمبررات التي تنفذ من خلالها التدخلات الامريكية وبالتالي مزيد من فرض الاملاءات والضغوط والتنازلات. وهذا لن يتم الا من خلال التكيف والمرونة والتعامل بواقعية مع المتغيرات وفق رؤية استراتيجية تستوعب التغييرات المحلية والاقليمية والدولية. والعمل على احدث تغيير جذري في بنية النظام السياسي بما يسمح بالمشاركة السياسية الفعالة لجميع المكونات والحزاب السياسية التي تشعر بالاقصاء وبما يعزز التماسك الداخلي.

العولمة من منظور فلسفة النقد

المدرس المساعد

صباح حودي نصيف^(٢)

المقدمة

إن من مزايا المشروع النقدي للكانتي، أنه طرح منذ البداية قضية الفصل بين العلم والفلسفة والذي يمكن أن نطلق عليه بـ (القطيعة الأستمولوجية) حسب عبارة باشلار^(١) (١٩٦٢م)، وهذا تساؤل كانت عن أسباب نجاح العلم وفشل الميتافيزيقيا، دفعه ذلك إلى السعي لتأسيس (ميتافيزيقا يمكن أن تصبح علما) بسبب عمق الأزمة التي لازمت الفلسفة في مواجهتها لتطور العلوم وكيفية التآلق معها وإعلان فعاليتها في الحقل المعرفي كان هذا قبل قرنين من الزمان حصل فيه الكثير من التقدم والتطور فكيف نواجه هذا الوضع المخرج في ظل العولمة الذي يدفعنا إلى التوقف عند اللحظة الزمنية الراهنة، لنلتصم معطياتها ودلالاتها المعرفية والقيمية مادام الحكم على (العولمة) لا بد أن يأتي من (الفلسفة) بعامة وفلسفة التاريخ والحضارة بخاصة ولاسيما أن الدراسات المستقبلية والمقارنة تدرك القوانين الخفية للظواهر والحوادث والأحداث الماضية واللاحقة^(٢)، والتي لم تظهر بسبب انتعاش النظام الرأسمالي العالمي فحسب، وإنما بسبب حدوث بعض التغيرات في العالم مطلع تسعينيات القرن العشرين يومنها انهيار الاتحاد السوفيتي ومجموعته، وسقوط حلف وارشو ليمتدح العولمة فرصة العصف باقتصاد البلدان النامية قبل غيرها.

فالعولمة إذن تعني نظام تفرّد وهيمنة مبنية على أساس الاحتكارات والنزعة للتوسعية للدول الرأسمالية، إذ يستمد نظام العولمة على إيدولوجية اليد الخفية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي العالمي المبني على آلية السوق وسياسة الانفتاح الاقتصادي ومنح الحريات امام انتقال الاستثمارات والسلع والخدمات وخلق مؤسسات اقتصادية ومالية ذات طابع عالمي، تشكل مركزا للقرار العالمي الذي يمنح دورا كبيرا للشركات المتعددة الجنسيات وتعميق الطابع العالمي الرأسمالي وفق رؤيا أمريكية، والذي ينتج عنها تهميش بلدان العالم الثالث ومنها أقطار الوطن العربي وأحاطها بالاقتصاد العالمي والسيطرة على مواردها لهذا السبب اختلفت آراء الباحثين والمفكرين حول حقيقة (العولمة) وأطارها الفلسفي ومرجعيتها المعرفية، مادام الاختلاف أمر واقع في كل قضية من قضايا الفكر الإنساني، وهو جزء من آلية (الفلسفة الكيوسية) والتي من واجها نشر الفوضى تحت ذريعة اكتشاف (قوة النظام الرأسمالي)^(٣) عليه سيعمد كاتب السطور في هذه الدراسة إلى تناول الموضوعات الآتية نقدياً:

(٢) مدرس كلية الآداب - الجامعة المستنصرية.

(١) علي حسين الجابري: العرب ومنطق الأزمات - دراسة في حقبة العولمة ومصيرها، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.

(٢) علي حسين الجابري، الإنسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه - دراسة في جدلية الخوف، ط١، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ٢٠٠٥.

(حقيقة العولمة، أنماطها الأربعة، ومخاطرها، وكيفية معالجتها عربياً) وهو ما نأمل أنجازها بموضوعية وتجرد. ومن الله التوفيق.
أولاً: حقيقة العولمة:

دراسة العولمة في كونها ظاهرة تاريخية مثلت إحدى التحديات التي فرضت نفسها على المجتمعات المعاصرة المتقدمة منها والنامية على حد سواء، فازدادت فيها التصدعات التي تعكس معاناة المجتمعات في مواجهة سياسات الهيمنة والتسلط الذي يزداد يوماً بعد آخر، حتى أصبحت العولمة مصدر تهديد جدي للأمن العربي بكل أبعاده، وتتسع الفجوة بين دول المركز العالمي الجانب ودول الأطراف، في ظل ما يسمى (بالنظام الدولي الجديد)، الذي يعمل ضمن آليات العولمة الجديدة والتي تشمل أوسع عملية اختراق لكل البنى التاريخية والقومية في العالم، وخاصة تلك الدول التي تمتلك أرتنا حضارياً واقتصادياً وموقفاً استراتيجياً فعال في القارات الآسيوية والأوروبية والأمريكية اللاتينية، ولهذا نلاحظ استغلال الولايات المتحدة الأمريكية هذا النمط من العلاقات لصالحها في عقد التسعينات من القرن الحالي مستثمرة فرصتها التاريخية بعد غياب المنافس القوي (الاتحاد السوفيتي) ووفقاً لهذه الرؤية فهي تمثل تهديداً خطيراً لمصالح الدول النامية ومنها وطننا العربي لنزعها الاحتكارية، وخلوها من المضمون الاجتماعي.

إذ كان الصراع بين الغرب والاتحاد السوفيتي صراعاً أيديولوجياً يتصل بالاقتصاد والسياسة والمصالح وعمليات تسطيحية لجوهر الصراع بين المذاهب الفلسفية على أساس الحق والباطل والعقل وما ليس بعقل، وهكذا يرى بعض الباحثين أن الصراع بدأ يتجه (جنوباً) نحو الدول العربية والشعوب الإسلامية باسم (الأرهاب)، والذي يقود هذا السياسيون ودواثرهم المخابراتية ومن وراءها للشركات العالمية والشركات المتعددة الجنسيات، إذ أن عدم ربط هذا الأمر جيداً وعدم الالتفات إلى حقيقة الصراع سيجعلنا نتصور أننا عدنا إلى الحروب الصليبية، بعدها تشكل صراعاً اقتصادياً استعمارياً، صراع مصالح تتمظهر بمظهر التبشير الديني والصراع المذهبي، وأن هذا الصراع، هو صراع بين السياسات الغربية الاستعمارية وبين الشعوب النامية ودول العالم الإسلامي، وإن مثل هذه الدعوة عن حرب غربية ضد الإسلام تجعلها ترفض ليس سياسته فحسب بل وكل ما يمت إليه من أمور عصرية وتوجهات عقلية^(٢) معادية.

(٢) د. حسان الأكوسي : حول الطل والظلال العربية، ط١، دار القدس للنشر، عمان، ٢٠٠٥.
 وأيضاً : د. علي حسين الجابري، العرب ومنطق، المصدر السابق، ص ١٠٧ وملاحقها

أما مفهوم العولمة فنجمل التعريفات فيما يأتي:

١- فالعولمة لغة في اللسان العربي من (العالم) ويتصل بها فعل (عولم) على صيغة فاعل وهي من الموازين الصرفية العربية، ودلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود فاعل بفعل^(١).

٢- أما العولمة اصطلاحاً، فهي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقطة من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي يناهز عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساساً (الدول القومية)، أما اللا محدود فالمقصود به (بيع العالم)^(٢) والمتاجرة به وفيه.

ويمكن استعارة التعريف القائل: إن العولمة أرقى شكل من أشكال النمو الرأسمالي (السرطاني) السوبر أميرالي في ظل القطبية الواحدة، والثورة المعلوماتية، وسلطة القوة القاهرة التي عرفت بها الولايات المتحدة الأمريكية يتعامل فيها أنوات مادية هي (المال والإعلام والمعلوماتية) مؤطرة بمنظور أيديولوجي واضح من صدمة المستقبل ونهاية التاريخ وصدام الحضارات مع جميع الاختلالات التي صاحبت العلاقات الدولية بسبب تربع (أمريكا) على عرش العالم (والأمم المتحدة ومجلس الأمن) والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي اعتماداً على منطق (القوة)^(٣).

وفيما يتعلق بتعريف العولمة، يمكن القول إن صياغة تعريف دقيق وجامع يبدو عملية ليست سهلة، وذلك لأن المفهوم لا زال غامضاً فهي ظاهرة جديدة وفي طور التكوين، ولم تتوضح معالمها بعد، كما أن من الباحثين من يقف عند حدود وصف جانب من جوانبها، أو جزئية من جزئياتها، ولذا فالتعاريف والرؤى للعولمة، تختلف أبعادها وتجلياتها ومؤثراتها باختلاف منطلقات الباحثين فيها، وبما أن إحدى مشكلات العولمة تكمن في تعريفها، فإن من الممكن أن تصنف هذه التعريفات حسب أبعادها التي تعبر عنها، فالتي تركز على البعد الاقتصادي يعبر أصحابها عن اتجاهات مؤسسات اقتصادية عالمية، أما التي تركز على البعد الثقافي كونها تعد الثقافة سلعة، أما التي تركز على البعد السياسي، فهي تؤكد على لاحادية السياسة العالمية الحالية، وسوف نتعامل مع هذه القضايا (نقدياً) قدر المستطاع.

(١) ابن منظور: لسان العرب، ط ١، مجلد ١٣، دار البصائر، بيروت، ١٣٠٠ هـ، مادة عولمة.

(٢) السيد ياسين: العرب والعولمة، ط ٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠.

(٣) د. علي حسين الجابري: العرب ومنطق، المصدر السابق، ص ٢٥.

ثانياً: اتماط العولمة :

تملأ للعولمة أشكال وأنواع أظهرها (الاحتكارية والاجتماعية) فإن لها انماط متعددة ومختلفة، فهي لم تكن ذات شكل واحد أو صورة واحدة ، بل ان كل صورة من هذه الصور هي عولمة بحد ذاتها، فيمكن ان نقول ان هناك عولمات عديدة، كالعولمة في مجال المعلومات، وعولمة في مجال المال و٠٠٠٠ و٠٠٠٠ واي مجال آخر من مجالات الحياة، ولهذا نستطيع القول بان اتماط العولمة التي ظهرت لحد الآن وبنت لها مؤسسات وركائز في المجتمع^(٧) هي:-

١- العولمة السياسية

ركزت على البعد السياسي، كونها اعلان لنهاية (سيادة الدولة) أو تقليص دورها، واعتبار ان الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات العالمية شريكاً للدولة في صنع قراراتها السياسية، لذا فالعولمة السياسية تعني (نقلاً لسلطة الدولة واختصاصاتها الى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها)^(٨).

فضلاً عن ذلك ان الولايات المتحدة وتحت غطاء العولمة السياسية ، انتهجت سياسة متاثرة بعنصرين اساسيين هما (بريطانيا ومانيا)، فهي تأثرت ببريطانيا من ناحية سيطرتها على البحر والجو واستعمال هذه السيطرة لخلق توازنات اقليمية في انحاء العالم، ومنع أي قوة من النمو لكي تتنافس للولايات المتحدة، من دون أن تدخل هي مباشرة في صراعات عسكرية، ولا سيما ان شكل سياستها هو تأثرها بسمارك الذي تقوم سياسته على إقامة المانيا علاقات مع جميع القوى الكبرى في اوروبا باستثناء فرنسا بحيث يكون لهذه الدول نفع في علاقاتها مع المانيا اكثر من قطع علاقاتها معها، لذا فامريكا جعلت نفسها مركزاً لعلاقات العالم السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية، من خلال إقامة علاقات مع اغلب دول العالم بحيث تكون هذه الدول مستفيدة من علاقاتها مع امريكا ولا يمكن ان تتخلى عن تلك العلاقة، وعليه فإنه ليس من باب المصادفة ان يكون مقر الامم المتحدة في نيويورك، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في واشنطن^(٩)، ومن هنا نلاحظ ان صناعات العولمة يحاولون الترويج الى إلغاء الحدود السياسية بين البلدان على اساس ان سلطتهم هي اعلى من سلطات الدولة.

(٧) السيد ياسين: المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٨) حسن حنفي: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية - الفكر السياسي، مجلة اتحاد الكتاب العرب، العدد (٤ و ٥) ، دمشق، ١٩٩٨.

(٩) أحمد مصطفى عمر : اعلام العولمة وتأثيره في المستهلك ، المستقبل العربي، العدد (٢٥٦) ، بيروت، ٢٠٠٠ .

٢ - العولمة الثقافية:

ركزت على البعد الثقافي الذي يؤكد على توحيد القيم حول المرأة والأسرة وحول الرغبة والحاجة ، وأنماط الاستهلاك ، كما يشير إلى بروز الثقافة كسلطة عالمية تسوق سلعة تجارية أخرى ومن ثم بروز وعي وأدراك ومفاهيم ووسائل ثقافية عالمية الطابع كون أن الثقافة هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والاخذ والعطاء وأخطرها اعتمدت عليه العولمة الثقافية هي المنظورات المرآوية في تعاملها مع الشعوب النامية .

ومن هذا فأننا نلاحظ أن أغلب الباحثين يتفقون على أن العولمة الثقافية ماهي إلا عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم، وبحاول بعض الكتاب الأمريكيين الإيحاء إلى أن هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى للبلدان الأخرى، مما يؤدي إلى سيطرة الثقافة الأمريكية على هذه الثقافات وهذه الصفات السلبية هي ثقافات مكبلة بالقيود، هي ثقافات ذات توجهات دينية لاعتقالية، وهي ثقافات تستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من رجال الدين، ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه والغازية لمجتمعه^(١٠)، هذه الثقافة والتي تسمى بثقافة العولمة، قد ظهرت بعد احتضار الثقافة المكتوبة، فهي استطاعت أن تحطم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية مما ساعد على انتشار ثقافة الصورة خارج البلدان التي صدرتها، وتشكلت امبراطوريات اعلامية مهمتها تصدير ثقافة النظام السعوي والبصري والمقروء ومما زاد قبول هذا النظام، هو تراجع معدلات القراءة ومن هنا يكمن خطر هذه الثقافة، لأن التلفزيون اصبح المؤسسة التربوية التي تقوم بالترويج لهذه الثقافة، فحل محل الأسرة والمدرسة في التربية، ثم ان التبادل الثقافي العالمي الحالي شير متكافئ، وهو تبادل بين ثقافات متقدمة تمتلك امكانيات واسعة وثقافات أقل تقدمة في الوعي ولا تملك الامكانيات نفسها، إذ يسمى هذا النوع من التبادل الثقافي بالغزو والاختراق، ولهذا نلاحظ أن ثقافة العولمة هذه هي (فعل اغتصابي ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات انها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبغها عملية العولمة)^(١١) وعلى الرغم من هذا الراي الا ان هناك رايا آخر يرى بان العولمة الثقافية ماهي الا (توحيد للقيم حول

(١٠) بول سالم : الولايات المتحدة والعولمة - معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ .

(١١) أحمد ثابت : العولمة والخبرات المستقبلية ، المستقبل العربي ، العدد (٢٤٠) ، بيروت ،

المرأة والامرة وحول الرغبة والحاجة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمائل والملبس،
لها توحيد طريقة التفكير والنظر الى الذات والى الآخر، والى القيم، والى كل ما يعبر
عنه السلوك وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة الى توحيدها^(١١) في إطار ما يعرف
بالتبشير بالقيم الأمريكية على صعيد الكرة الأرضية. في هذا الوضع يريد من تحوله
العولمة الثقافية بان يعم ثقافة امريكا على العالم في الوقت الذي توصف فيه الثقافة
الامريكية على انها (نفاية الثقافات وثقافة النفايات)^(١٢).

وقد اندركت امريكا ان سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدود ولا بد من الترويج
لثقافة اكبر لانتشاراً واستطاعت بهذه الطريقة ان تصل الى شباب اليوم وان تضع ثقافة
محدودة للشباب لذا فهي تسيطر عليهم دون منازع، وينعكس هذا التأثير في المستقبل
في كون هؤلاء الشباب نخب المستقبل وقادته وكأنما تريد امريكا ان تضمن المستقبل
من الآن لكن حقيقة الأمر هي عكس ذلك تماماً كون أن هذا المشروع يعبر حقاً عن
الواقع الفعلي والتاريخي للعالم فهو يقتضي قراءة نقدية تكشف لنا عن المفارقات
والتناقضات التي تحملها العولمة في طياتها فهي ظاهرة سلطوية وهيمنة اقتصادية،
بدليل بسيط هو ما اظهره استبيان اجري على طلبة جامعة الامارات بشأن ارائهم
واتجاهاتهم حول الولايات المتحدة الأمريكية، فكان ٦٤% يعتبرون امريكا معادية
و٥٥% يعتبرون امريكا تشكل خطراً على الامة العربية و٥٠% يؤكدون ان امريكا
تعادي الاسلام، فهذا الجيل الذي يقف هذه المواقف تجاه امريكا هو الذي يستهلك
الثقافة الأمريكية^(١٣).

٣ - العولمة الاتصالية:

عولمة ركزت على البعد الاتصالي، وكون عالم الاعلام في الوقت الحاضر،
هو عالم بلا دولة وبلا أمة وبلا وطن، لان الحكومات فقدت السيطرة على فضائها
الجوي، واصبح الفضاء اللا محدود هو المكان الذي تتحرك فيه العولمة الاعلامية لو
هو وطن الاعلام، هذا الوطن الاعلامي يستخدم ما يزيد على خمسمائة قمر صناعي
تتور حول الارض، ويستقبل بثها اكثر من مليار من اجهزة التلفاز وهنا نتكئ
للتحديات التي تواجه الشباب (حصراً) من خلال الإعلام للفضائي المعلوم، فبعد أن
وجئت ملايين الفتيات أنفسهم لزاء (عصر إعلامي فضائي) مبهر وبرق يسلب
الألباب بعد قطيعة عاشتها القناة العربية، إذ كانت صدمتها فجائية مثل صدمة رواد

(١١) عبد الآله بالقزير : العولمة والهوية الثقافية - عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، مركز دراسات
الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ . وقلرن : بول سالم ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

(١٢) عبد الآله : المصدر نفسه ، ص ١٨ . وقلرن : أحمد مصطفى عمر ، المصدر السابق ،
ص ٧١ و٧٩ .

(١٣) بول سالم : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

كهف أفلاطون وهم يواجهون أشعة الشمس القوية لأول مرة ولاسيما أن الخطاب الإعلامي الفضائي الذي نتحدث عنه جاء مسلحاً بلغة تحت على الاستهلاك في كل شيء، والتقليد والمحاكاة والأنفعال بالآخر في السلوك والعلاقات والقيم الغربية، فواجهت الفئة ذلك من غير تهينة مسبقة أو إعداد نفسي وتربوي يمكنها من مجاراة ومحاورته وأمتصاص انعكاساته قدر الأمكان^(١٥)، لكن نظام الاعلام هذا (لايشكل نظاماً دولياً متوازناً لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية وهذا ما أدى الى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية)^(١٦).

فضلاً عن ذلك نلاحظ أن (العنف) أيضاً مربح ولا يستغل استغلالاً أمثل مثلما يحصل في افلام الرعب الامريكية، وكذلك الحال في الصور الخادعة والمقابلات المغشوشة، فإذا كان البعض يتصور أن اعلام العولمة هو الذي اجبر الحكومات على الاهتمام بقضايا الانسان ومشاكل الاقليات، وحول المجتمعات والبيئات الداخلية الى مجتمعات وبيئات عالمية، فالحقيقة هي أن اعلام العولمة هو الذي دفع الناس الى السلوك الاستهلاكي ونشر قيم هذا السلوك الاستهلاكي وهذا هو الذي يضغط على الحكومات ويصور للناس بأنه يدافع عن حقوق الاقليات وعن الحرية والديمقراطية، على اساس انه اعلام حر، وهو الذي اصبح جزءاً من الانشطة الاقتصادية ولهذا نلاحظ أن منطق الربح في النهاية يخدم قوى عظمى، ويعتقد صناع هذا الاعلام في منطقتنا العربية أن هدف هذا الاعلام هو دمج الثقافات في ثقافة واحدة هي ثقافة العولمة، ويتم ذلك عبر الاعلام الموجه الذي يستخدم الكلمات والصور، والذي يروج لنمط الحياة الغربية على اساس انها للنموذج الامثل وهي حياة المجتمع الرأسمالي، وتشجيع من ينخرط في هذا النموذج من الحياة، لكي يكون هذا التشجيع حافزاً للآخرين للأخذاء حنو من تقبل هذا النمط من العيش.

٤- العولمة الاقتصادية:

ركزت على البعد الاقتصادي، العولمة الاقتصادية هي عملية سيادة نظام اقتصادي واحد ينضوي تحته مختلف بلدان العالم في منظومة متشابكة من العلاقات الاقتصادية، تقوم على اساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والاسواق ورؤوس الاموال والخدمات، ونتيجة لظهور الشركات المتعددة الجنسيات فقد تطورت العلاقات الاقتصادية بين بلدان العالم، وتضخمت هذه الشركات لاستفادتها من فروق الاسعار ونسبة الضرائب ومستوى الاجور^(١٧). فالعولمة الاقتصادية هي التي جعلت

(١٥) د. علي الجابري : الإنسان المعاصر، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(١٦) بول سالم : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(١٧) أحمد مصطفى عمر : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(الاقتصادات العالمية المفتوحة على بعضها، وهي ايدولوجيا ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو الى تعميم الاقتصاد والتبادل الحر كنموذج مرجعي وإلى قيم المنافسة والانتاجية)^(١٨)، حتى الاضطرابات التي وقعت في المكسيك وفرنسا والدول المشابهة لها، ما هي الا انتاج هذه القوة التكميرية التي تسمى بعولمة الاقتصاد.

لذلك فان صناع العولمة يضعون الاقتصاد كأداة للعولمة لبلوغ المرامي الآتية:

١. سقوط الاعتبارات الاستراتيجية وهيمنة الطموحات التجارية.
٢. ترسيخ الاعتقاد بأن الرخاء الاقتصادي يقود حتماً الى التشابه واستقرار النمط الواحد.

٣. تنامي الشعور بأن الكون أصبح اخيراً يسكنه العقلاء الذين يفكرون ويتصرفون بنفس الطريقة ووفق نظرية جديدة في منطقتها لانها انتاج تجربة كاملة من تاريخ البشرية كما يدعي ذلك اصحابها^(١٩). ويسخر الآن صناع العولمة رؤساء الدول من أجل زيادة مدخولاتهم المادية وتنمية مصالحهم الاقتصادية، إذ تقلصت المسافات بين الشعوب والأقطار وتلاقت الثقافات، وهو ما تصبو إليه العولمة، وتسمى لغرضه على كافة الأقطار العربية، وذلك بوضع كل التقنيات في خدمة هذا الغرض حتى يصبح نبض الإنسانية يدق على وتيرة واحدة ونغم واحد وهو نمط الحياة الأمريكية (السوبر أمبريالية).

ثالثاً: أخطار العولمة:

إن أخطر ما في العولمة، اجتياح الحدود وتخريب للقيم الأخلاقية والوطنية وتدمير البيئة والأمن وتخريب المعرفة والتشكيك بالمقدسات وشعارها (العنف، الجريمة، الأمان، وتدمير حياة الإنسان) حتى في داخل أمريكا قد تحولت المدرسة والتربية إلى ثقافة العنف^(٢٠).

ومن هنا حاول الإنسان أن يسترجع بالنقد والسؤال حضوره الجزئي من خذل عقلانية (كانت وجنبية هيجل) وتبنى هذه الطريقة النقدية التي بادر على وضع أسسها (كانت)، فكان من الضروري أن نطبقها على مشروع (العولمة) لتشخيص ما أفرزته من عواقب وتناقضات على أرض الواقع، لقد روج للعولمة في العقد الأخير من القرن العشرين على أنها مشروع شامل، وكلي، يضم نظاماً اقتصادياً وسياسياً، وثقافياً موحداً هو (النظام العالمي الجديد) الذي سيسود العالم ويحقق للشعوب والأمم (الجنة على الأرض) إلا أن ما أفرزته العولمة على أرض الواقع لحد الآن جاء مغايراً تماماً لمثل

(١٨) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(١٩) السيد ياسين: المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢٠) د. علي حسين الجابري: العرب ومنطق، المصدر السابق، ص ٩٠.

هذه الوعود المباشرة^(٢١)، وهنا تمكن النقد والمعارضون للعولمة أن يقضوا على مزاعم المنظرين لها وبحض آرائهم من خلال ما أفتحت هذه العولمة من الفوضى والأرباك متمثلاً بذلك للكثير من الاخطار من بينها:

١. لعبت الشركات المالية التي افرزتها العولمة دور الشرطي في البلدان المضيفة لاستثمارات هذه الشركات، وعلى هذه الدول المضيفة الالتزام بادعاءات معينة في السياسات الاقتصادية، والا فقد يتم سحب تلك الاستثمارات والتوظيفات ويؤثر ذلك في انخفاض عملات تلك الدول وانخفاض العملات الاجنبية، وحوث افلاس مالية، مما يضطرها الى الرضوخ تحت أي شروط أو قيود، وبعد ذلك تنازلاً عن جزء كبير من سيادتها .

٢. الافكار التي تطرحها العولمة، هي افكار براقية وثلاثي رواجاً وقبولاً عند الجميع، فهي عندما تطرح حقوق الانسان والديمقراطية والثقافة الحديثة وللتخلص من التعصب الديني أو القومي أو العرقي فإن مثل هذه الافكار تبدو ان يسعها أن تكون مقبولة جداً، لكن علينا أن نسال بعد ذلك ماهي الاشياء التي تجري عولمتها؟ فإذا ازداد واتسع السوق، بعد إزالة الحواجز بين البلدان لانتقال السلع والخدمات والأشخاص والافكار، علينا ان نسال ماهي طبيعة هذه السلع التي انتقلت بين البلدان وماهي نوعية المعلومات والافكار، وماهي نوعية التقدم العلمي؟ فالانسان في عصر العولمة عليه ان يقبل الجديد من السلع والخدمات والابتكارات، فهي إذن عولمة نوع أو نمط معين من الحياة يفرض على الآخرين ويتم تعميق وتزيين هذا النمط الذي يسوق الى العالم كله ، اذا فلتعنا في ذلك فإن صورة العولمة التي يقدمها الغرب لنا براقية بمجرد الافتتاح بان الهدف هو هذا .

٣. بدأت اشكال جديدة للاستعمار الحديث بعد للتحرر من الاستعمار الاستيطاني والأمبريالي تحت عدة تسميات مناطق النفوذ والتحالف العسكرية في عصر الاستقطاب والشركات المتعددة الجنسيات ومجموعة الدول الصناعية والعالم ذو القطب الواحد، وثورة الاتصالات، والعالم قرية واحدة^(٢٢).

٤. العولمة في بلدان العالم الثالث ومنها وطننا العربي هي تعميق للتخلف الاقتصادي، أي فقدان الترابط بين قطاعات الاقتصاد، وتزيد البطالة، وترفع فاتورة الغذاء المستورد للبلدان العربية، ويرى بعض الباحثين بأن (الدولة في منطقتنا العربية قد اصبحت في الواقع وللأسف من أكثر ادوات العولمة فعالية

(٢١) محمد تركي : آفاق النقد في عصر العولمة ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

(٢٢) حسن حنفي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

ونشاطاً^(٢٣) ولكن يرى كاتب هذه السطور أن هذا الرأي مبالغ فيه، فلم تصل كل الدول في منطقتنا العربية إلى هذا الحد على الرغم من الضغوط الكبيرة التي تمارسها مؤسسات العولمة في منطقتنا كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

رابعاً : الحلول والمعالجات:

بعد أن أوجزنا القول بشأن أخطار العولمة، لا بد أن نذكر بالمعالجات لها ومن

بينها:

١. على صعيد الشباب الشريحة الأكثر تضرراً من العولمة فمشكلة الفضائيات تتطلب اهتماماً خاصاً من المعنيين بالشأن الشبابي بعامه وللنسوي بخاصة، إذ يتطلب الأمر جملة برامج ثقافية وتربوية جادة بحيث تعين الفتاة على الخروج من ثقافة الاستهلاك التي يضحها الإعلام الفضائي في رسائل تنطوي على أهداف خفية والتأكد من مخاطر هذه الرسائل التي تنطوي على ثقافة التحلل والعنف والأبتدال والاستعلاء الطبقي، والخروج إلى حيث الحوار العقلاني والوعي الجاد بالحرية المنضبطة والشفافية والنقطة بالنفس، فالمطلوب أنشطة ثقافية متنوعة لمراكز الشباب ولوسائل الإعلام والمؤسسات ذات العلاقة بحيث تعزز الثقة بالمرأة وبمجتمعتها ومستقبلها ومؤسساتها ووطنها^(٢٤).
٢. إن توظيف أدوات العلم والنقدية في مواجهة الإعلام المعادي والتقية والغرس الجميل والتحصين السليم للشباب بما يعزز أدوارهم في التنمية الاجتماعية والمعرفية لهم ، فمن غير روح الحوار المنفتح وثورة المعلومات (الحاسوب) والانترنت وحوار الثقافات والحضارات لاسبيل إلى بناء (شباب) في مستوى تحديات المرحلة نتعامل معها على سبيل التناقص وعدم التضامن أمام الآخر أو تقليده تقليداً أعمى أو محاكاته! فذلك أفتراض لا نريده لشبابنا وشاباتنا وعدم الاستهانة بها إذ يوضح د. الجابري عبارة للأستاذ (حسين كامل بهاء الدين) أن للدخول إليها يجب أن نكون متحصنين منها لنكسب تقدماً وعلماً ولكننا نرفض أن نخسر أنفسنا، لذلك حذر من مواقف المتقدمين إلى العولمة بلا حصانة أو المتطرفين في رفضها بلا وعي أو المهزومين منها بلا رؤية ، أو المتفرجين عليها بلا تحسب^(٢٥).

٣. دعوة الدول العربية في تكتلات اقتصادية — عربية تحقيقاً للمصالح المشتركة وإنشاء سوق عربية مشتركة من خلال إعطاء فرص أكثر للمشروعات العربية

(٢٣) جلال أمين : العولمة والدولة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٢٨) ، بيروت ، ١٩٩٨ .

(٢٤) د. علي الجابري : الإنسان المعاصر ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢٥) نقلاً عن : د. علي حسين الجابري ، المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

المشتركة والوحدة الاقتصادية العربية ونبذ الخلافات السياسية بين الأعضاء وعدم انسحابها على المشروعات الاقتصادية المشتركة .

٤. وقف نزيف العقول العربية من خلال هجرتها إلى الخارج .

٥. توجيه الاستثمارات العربية داخل المصارف العربية ، بدلاً من توظيفها في المصارف الأجنبية.

٦. فتح المجال والانفتاح على الخبرة العربية المتمثلة بالشركات العربية التي لديها الخبرة في تنفيذ المشاريع المختلفة وأحلالها بدلاً من الشركات الأجنبية وما تتركه من آثار سياسية واقتصادية تضر بعملة الدول العربية.

٧. توسيع مناطق التجارة الحرة وفق أسس مدروسة بحيث تحقق التوازن والتكافؤ بين الأقطار العربية وتعمل على تسهيل انتقال السلع والخدمات وبعض عناصر الإنتاج بين الدول العربية .

٨. إن العرب على الإطلاق متخصصون في الصناعة النفطية وسيبقون هكذا بدون منافس عالمياً ، وعليهم أن يتصرفوا بذكاء في استخدام هذه الثروة التي من الله بها على العرب لتكون نعمة لأجيالهم^(٢٦).

٩. وأخيراً المطلوب التعامل الموضوعي مع ظاهرة العولمة للوصول إلى قوى الخير في العالم لكشف الخطر ولتخاذ الإنسان ، وهذه القوى متمثلة بالعلماء والأدباء والفلاسفة ورجال الدين ورجال الأعمال، فهم قادرون على أضواء وجه إنساني على العولمة^(٢٧).

خلاصة القول نستنتج من خلال هذه الدراسة المتواضعة، بأن العولمة كتعبير عن مصطلح (الأمركة)، ما هي إلا غطاء للهيمنة الأمريكية على العالم، وبهذا فإن على الأقطار العربية التعامل بحذر مع هذه الدعوات للرامية إلى الانفتاح بكافة أمور الحياة وربطها بالمشاريع التي تخدم المخططات الاستعمارية ومنها تيار العولمة ، كونها ظاهرة لم تكن بمنزلة عن التطور الاقتصادي الرأسمالي، وتساعد الهيمنة المركزية لما بعد عصر الرأسمالية، والدخول في عصر الرأسمالية القادمة، والذي وضع دول الأطراف أمام فلسفة القوة المتمركزة في نظام القطبية الأحادية بعد انهيار الأيديولوجيات وانتهاء الحرب الباردة.

فكل هذه العناصر التي ذكرت قد حملت النقد على الاستنتاج بأن عصر العولمة في ظاهريته السلبية هذه ، والتي تبين بأن العولمة قد تحولت إلى أمركة الاقتصاد العالمي، قد بدأ بالانهيار وأن البنى الاقتصادية والسياسية والثقافية التي

(٢٦) محمد تركي : المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

(٢٧) د. علي حسين الجابري : العرب ومنطق ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

ارتكزت عليها هي الآن في حالة تفكك مستمر، فلا بد إذا من إعادة النظر في المفاهيم التي تشكلت حولها العولمة، بل أن استشراف المستقبل ينبغي أن يدور لا حول الحديث عن العولمة، بل حول التساؤل عن (مابعد العولمة) فإن عصر ما بعد الحداثة يبدو وكأنه يعلن عن بزوغ ثورة حضارية جديدة لم تكتمل معالمها بعد، ولكنها ستأسس على انقراض العولمة للرائنة وهو ما حاول الباحث العراقي (علي حسين الجابري) الحديث عنه في كتابه (العرب ومنطق الأزمات) عمان-٢٠٠٥ مستفيداً من منظوره العمراني والحضاري الجديد والمتفائل، إذ تتراوح القراءات بين المحللين والمفكرين في هذا المجال بأن مؤيد (الصراع الحضارات) ومدافع عن مخرج سلمي ينميه الحوار بين الثقافات، وثالث يمزج بين الموقفين وينادي بتعدد الأقطاب وتكريس فلسفة النقد.

الختامة :

من خلال هذه الدراسة تبين لدينا أن العولمة هي نظام تفرد وهيمنة مبنية على أساس الاحتكارات والنفذة التوسعية للدول الرأسمالية، إذ يستند نظام العولمة على ايدلوجية اليد الخفية الذي يقوم عليها النظام الرأسمالي العالمي المبني على آلية السوق والسلع والخدمات فضلاً عن شركاتها الأكثر والأكبر في المنطقة مقارنة ببايه دولة أخرى، لكن ميزة أمريكا (لم تعد تكمن اليوم في سعة السوق الوطنية أو فيما لديها من علماء بل صارت تكمن في رخص الأيدي العاملة) وعلى حد قول غارودي: بأننا نعيش عهد تعفن للتاريخ المتميز بالهيمنة للتقنية والعسكرية الساحقة للأمبريالية التي لا تحمل أي مشروع إنساني قادر على أن يمنح معنى للحياة والتاريخ.

ومع ذلك فالصواب الذي نراه العقلانية العربية النقدية، يتمثل في معرفة العولمة بهدف اكتشاف عناصر الضعف فيها ومقومات القوى فيها من غير أن تلحق ضرراً بهويتنا وحقوقنا وجودنا ودورنا الحضاري.

أحداث العراق السياسية ١٩٣٢-١٩٥٨^(١)

بقلم: ستيفان لونكريك وفرانك ستوكس

ترجمة المدرس المساعد

مصطفى نعمان أحمد^(٢)

حين نال العراق استقلاله في تشرين الأول ١٩٣٢، رغب الملك فيصل بالشرع في تعزيز هذا الاستقلال وتطويره ضمن إطار معاهدة جديدة مع بريطانيا. وقد أملى هذا النهج تعاون حزب الأخاء الوطني، الذي يتزعمه ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان، والذي تركّزت سياسته على ضرورة تعديل معاهدة ١٩٣٠. وبعد أربعة أشهر على تشكيل حكومة محايدة ترأسها ناجي شوكت، اقنع الملك المعارضين بقبول المعاهدة وتشكيل وزارة برئاسة رشيد عالي الكيلاني بالاتفاق مع بعض من مؤيدي المعاهدة.

خلف غازي، الذي كان عمره إحدى وعشرين سنة، والده الملك فيصل على العرش. وبغياب لمة الملك فيصل الموجهة، استمرت المنافسة بين الزعماء السياسيين بدون انقطاع، مستخدمين قوى فاعلة وخطيرة لتحقيق غايات سياسية، وفي النهاية لقعوا للبلاد، عام ١٩٤١، في نزاع مع القوات البريطانية.

كان الأخاء الوطني أول حزب سياسي يستخدم الأسلحة غير الدستورية بشكل ناجح. فبعد شهر من تولي غازي العرش، رفض حل المجلس غير المتعاون بناءً على طلب رشيد عالي الكيلاني الذي استقال نتيجة لذلك (تشرين الأول ١٩٣٢) لتخلفه ثلاث وزارات لجعل المندفي بينها وزارة واحدة لحلي جودت الأيوبي. وبغية استعادة الوزارة لجأ الأخاء إلى العصيان العشائري في منطقة الفرات الأوسط. وبذلك الوسيلة نجح في إسقاط وزارتي علي جودت الأيوبي وجميل المندفي على التوالي وعاد إلى السلطة بالوزارة التي رأسها ياسين الهاشمي (أذار ١٩٣٥).

كانت حكومة الهاشمي للوزارة الأجاج في بعض النواحي في تلك الفترة، وكانت الأطول بمدة حكمها التي امتدت إلى ثمانية عشر شهراً. وحين رفضت العشائر وضع حد لاضطراباتهما التي كانت قد أطاحت بالحكومات السابقة، قام الفريق بكر صدقي باخمادها بسرعة وبشدة. تم تشجيع أصال الري وتنظيم للصناعات وتأسيس مصرف زراعي وصناعي وإصدار قانون للعمل وتزليز التطوير المحلي وفرض التجديد. كانت قومية وزارة ياسين الهاشمي واضحة إذ لها احتفنت بعلاقات وثيقة مع الإقطاع العربية الأخرى ونادت بالوحدة العربية واتخذت موقفاً ثابتاً إزاء فلسطين وقررت تطعيم المبدأ نفسه في المدارس. إلا أن تصميمها الواضح على الاحتفاظ بمركزها وموقعها الاستبدادي إزاء البرلمان وعدم تسامحها مع النقد أثار الاستياء. وكان حكمت سليمان، وبالذات، محط إثارة للسخط. إذ أنه كان قد شجع التدخل العشائري الذي جاء بالحكومة إلى السلطة ثم كان متبرساً بحذ من استمراره. شكل سليمان تحالفاً مع قوتين سياسيتين جديديتين وهما الإصلاحيين اليساريين

^(١) هذا الموضوع المترجم ممثل من كتاب "Iraq" لستيفان لونكريك وفرانك ستوكس والذي لم يرد ذكره في سلسلة كتب لونكريك المعروفة.

^(٢) مدرس مساعد في كلية الآداب الجامعة المستنصرية.

والجيش. تروحت انتماءات الاصلاحيين بين الشيوعية والاشتراكية التقليدية والحديثة ولم يكونوا مدفوعين كثيراً بفكرة القومية العربية. تجمعت أكثر هذه العناصر اعتدالاً في جماعة الاهالي، بعد صدور جريدة لهم تحمل الاسم نفسه. كان ضباط الجيش الشباب ينظرون بنفور إلى الخلافات القائمة بين الساسة المحترفين وبمحمد إلى الدور الذي كان الجيش قد لعبه في تركيا وفارس. وكان قائدهم الفريق بكر صدقي. وفي تشرين الاول ١٩٣٦، وبناءً على ترتيب مسبق مع حكمت سليمان وجماعة الاهالي، حرك صدقي الوحدات العسكرية صوب بغداد وطلب باستقالة الحكومة. اذعن رئيس الوزراء للطلب وقام حكمت سليمان بتشكيل وزارة من جماعة الاهالي حصراً، مع احد رفاق بكر صدقي العسكريين الذي نيط به منصب وزير الدفاع وبكر صدقي نفسه الذي اصبح رئيساً لأركان الجيش. تم ابعاد ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني إلى خارج البلاد، حيث مات الاول في دمشق في السنة التالية، وهرب نوري السعيد إلى مصر نتيجة عداه شخصي مع الحكومة الجديدة، اذ قام الضباط، خلال تقدم القوات صوب بغداد، بقتل زوج شقيقته جعفر العسكري الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع في حكومة الهاشمي وفي العديد من الحكومات الأخرى ويعد مؤسس الجيش العراقي.

لم يستمر تحالف حكمت سليمان وجماعة الاهالي والجيش. فجماعة الاهالي، التي اشرت الاهتمام بالإصلاح الزراعي على الوحدة العربية، قامت بابعاد مالكي الاراضي العشائريين والقوميين على حد سواء، لما ضباط الجيش، الذين كانوا أكثر ميلاً إلى الديكتاتورية للكمالية من ميلهم إلى الديمقراطية، فقد كانوا عدائين أيضاً. اضطر حكمت سليمان إلى الاندفاع إلى رأي الاغلبية، فحسب تأييده من جماعة الاهالي واضطهد تنظيمهم وطرد قائدهم واتباعهم خارج البلاد. وانطلاقاً من ايمانه الصادق بالوحدة العربية قام باسترضاء القوميين ولم يتمكن، رغم محاولات الترضية، من السيطرة على الاضطراب العشائري الذي واصل الجيش قمعه بشدة، ولأول مرة حصل اضطراب عمالي خطير. واصبح الجيش نفسه عائقاً امامه اذ انه، أي الجيش، هيمن على آلية الدولة بصورة متزايدة وفقد التعاطف الشعبي من جراء التجاوزات التي قامت بها بطانة بكر صدقي. وفي لب ١٩٣٧ اغتالت مجموعة عسكرية متمردة للفريق بكر صدقي. وقد جذبت هذه المجموعة إلى جانبها ما يكفي من الوحدات العسكرية لاجبار الحكومة على الاستقالة. ومع ان الحكومة الحالية كانت قد تذرعت باستبدال الحكومة السابقة لتبرير قيامها بانقلاب عسكري، فانها نفسها لم تحترم الحريات المدنية بصورة اكبر ولم يكن تدخلها بالانتخابات والمناصب الادارية أقل من سابقتها، وقامت كذلك باخماد الاضطراب العشائري بالشدّة ذاتها. وفيما يتعلق ببرنامجهما للإصلاح والتنمية، فقد تم اهمال الإصلاح وتأثرت التنمية بالمصاعب المالية، الا انها شرعت بالقيام بأعمال محددة في حقل الري والاتصالات. وكانت الحكومة المستقلة الاولى التي عقدت اتفاقيات مع الدول الأخرى، اذ انها عقدت تحالفاً مع المملكة العربية السعودية في ١٩٣٦ ومعاهدة مع بلاد فارس تم بموجبها تسوية الخلاف المستديم حول شط العرب، وفي العام نفسه تم إبرام حلف سعد ليد للدفاع المشترك مع بلاد فارس وتركيا وأفغانستان.

ولما لقم بكر صدقي الجيش في السياسة عام ١٩٣٦، وعد بسحبه حال تشكيل حكومة مدنية جديدة، الوعد الذي يحتمل انه كان صادقاً فيه. ومع ذلك، لم يكن الأسحاح مرفوضاً من قبل اتباعه المقربين فحسب وإنما من قبل الضباط الآخرين من ذوي النزعات الاستبدادية أيضاً. وقد اصبح الجيش، رغم انقسامه الداخلي، قوة فاعلة اكتسبت دوراً مؤثراً وعادت نفسها حامية المصير الوطني. وفي السنوات الأربع اللاحقة (١٩٣٧-١٩٤١) تدخل الجيش في السياسة من وقت لآخر انطلاقاً من بواعث شخصية أكثر منها سياسية وبالاتلاف مع لسانة المدنيين. تعرضت حكومة جميل المدفعي، التي خلفت نظام حكمت سليمان وبكر صدقي، إلى عداه خصمها للدودين نوري

السعيد ورشيد عالي الكيلاني. وفي كانون الأول ١٩٣٨، حل انقلاب عسكري ثالث خلف الجيش الداخلي وجاء بنوري السعيد إلى رئاسة الوزارة وبرشيد عالي الكيلاني إلى رئاسة الديوان الملكي. واعد انقلاب رابع، في شباط ١٩٤٠، نوري السعيد إلى الوزارة في ظروف صعبة وأعطى للتأثير المهيمن في الجيش إلى أربعة من العقلاء -الرباعي الذهبي- الذين تولوا مواقع القيادة الرئيسية. توفي الملك غازي في نيسان ١٩٣٩ اثر حادث سيارة فخلفه في الحكم ابنه القاصر فيصل، لذا تسلم الأمير عبد الله، ابن عم غازي، الوصاية على العرش.

كانت التتافس، حتى هذا الوقت، بين القادة السياسيين شخصياً، إلا أنه أقدم، بعد خريف ١٩٣٩، في صراع القوى الأوربية. فقد كانت دول المحور تتوحد، منذ عدة سنوات، إلى الرأي القومي المتشدد. وتحت ضغط المتشددين ولكراهيته الشخصية للإنكليز، تردد رشيد عالي، الذي خلف نوري السعيد في رئاسة الوزارة في آذار ١٩٤٠، في إعلان الصدام مع قوات المحور المنتصرة. وفي واقع الأمر كان العراق قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع ألمانيا في عام ١٩٣٩، إلا أن الوزارة الرشيدية كانت قد فرضت شروطاً على مرور القوات البريطانية عبر البلاد، ورفضت أن تقطع العلاقات مع إيطاليا، التي كانت مفوضيتها الدبلوماسية مركزاً للنشاط المعادي لبريطانيا، ومصحت لأحد أعضاء الحكومة باقامة اتصال غير رسمي مع فون بابن السفير الألماني في تركيا، على أمل أن يتبع ذلك إقامة علاقات رسمية. لوقعت هذه السياسة رئيس الوزراء في خلاف مع مؤيدي التعاون الوثيق مع بريطانيا، لاسيما الوصي ونوري السعيد، إذ منح دعمه وبصورة متزايدة إلى القوميين المتشددين وإلى المتعاطفين مع دول المحور. وفي نهاية الأمر أجبره الوصي على تقديم استقالته ورفض طلبه بحل المجلس الذي كان غير موافق لحكومته. ولذا حث رشيد عالي الكيلاني العقلاء على القيام بانقلاب عسكري خامس في كانون الثاني ١٩٤١. وفي الوقت لاحق من هذا الشهر تم إجباره على الاستقالة حين عمد الوصي إلى حرمانه من تشكيل الوزارة بأنسحابه من بغداد. تدخل العقلاء عندئذ مرة أخرى. وفرضوا وزارة برئاسة الفريق طه الهاشمي، الذي كان محبط ثقتهم، ولكنهم أطاحوا به مرة أخرى في نيسان حين اعتقدوا بأنه خان ثقتهم فيه. وفي هذا الوقت جدد رشيد عالي الكيلاني تحالفه معهم في محاولة لتحدي الوصي الذي هرب إلى الأردن حيث انضم إليه هناك نوري السعيد ورجال الدولة الآخرين الموالين له. وكان رشيد عالي الكيلاني، الذي أصبح الآن الرئيس الاسمي للحكومة المشكلة ذاتياً، قد دعا البرلمان إلى الاعتقاد بصورة غير دستورية وأرغمه على خلع الوصي وتعيين عضو غير معروف من العائلة المالكة محله. وقد شكل بعدئذ حكومة مننية قومية لن تعترف بها الحكومة البريطانية.

وتامماً كما كان رشيد عالي الكيلاني قد انجرف إلى زعامة الرأي المتشدد، فقد انجرف الآن إلى الاعمال العسكرية ضد بريطانيا. ففي نيسان ١٩٤١ قامت الحكومة البريطانية بطلبين للسماح بانزال قواتها، كانت الموافقة على الطلب الأول مشروطة في حين ارتبطت الموافقة على الطلب الثاني بأنسحاب الفرقة البريطانية من البلاد. وبالرغم من ذلك فعين تم انزال القوات البريطانية، تحركت القوات العراقية إلى موقع يشرف على القاعدة البريطانية في الحباية. وفي الثاني من ايار قامت الطائرات البريطانية بقصف القوات العراقية في محاولة لتشتيتها، وهكذا اندلعت الاعمال الحربية التي استمرت حتى نهاية الشهر. وقد طلبت الحكومة العراقية، خلال هذه الفترة، المساعدة العسكرية من دول المحور، وبالفعل تسلمت مجموعة من الطائرات قبل أن تتمكن الامدادات العسكرية البريطانية القادمة من الأردن من تعزيز مواقعها. فلو كانت حملة الألمان في كريت واستعدادهم لغزو روسيا تسمح لهم برسالة مساعدة اضافية، لتعرض الموقف البريطاني في الشرق الأوسط إلى الخطر، وبالرغم من عدم توفر دليل على وجود ترتيب مسبق بين رشيد عالي الكيلاني

والمحور، فإن حركته قد فتحت الباب أمام المحوريين للدخول بحرية. وعلى أية حال، هرب الكيلاني وحكومته قبيل النقم البريطاني، وتم توقيه الهندة في الثلاثين من ايار، وبعد يومين عاد الوصي من منفاه. تمت محاكمة القادة الرشيدية غيبيا، إذ حكم على الكيلاني والعقلاء الأربعة بالاعدام. القسي القبض لاحقا على العقلاء الأربعة وتم اعدامهم، أما الكيلاني فقد ظل يعيش في المنفى في العربية السعودية ومصر.

تعاون العراق بصورة كاملة مع حليفته بريطانيا خلال الفترة المتبقية من الحرب، والتي تعاقبت على رئاسة الوزارة فيها جميل المدفعي (١٩٤١) ونوري السعيد (١٩٤١-١٩٤٤) والوطني المتمرس حمدي الباجي (١٩٤٤-١٩٤٦). وأصبح العراق قاعدة للاحتلال العسكري للشرق وفارس، وطريقا لإيصال الامدادات الى روسيا، وموقعا دفاعيا ضد الهجوم المحتمل من الصحراء الغربية او القوقاز. وفي عام ١٩٤٣ أعلن العراق الحرب على قوات المحور ومن ثم اخذ موقعه بين دول الامم المتحدة حيث لعب دورا فاعلا. وفي ١٩٤٤ أقام العراق، ولأول مرة، علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي. وكان دور العراق، منذ نهاية ١٩٤١، فاعلا في حركة الوحدة العربية التي اسهمت في انبثاق الجامعة العربية عام ١٩٤٥. وفي الثلاثينيات بات العراق مركزا وملذا للوحدة العربية كونه البلد العربي الوحيد الذي حصل على استقلاله. وكان مهتما بقضية العرب الفلسطينيين بشكل خاص، إذ انه كان قد أجرى محاولات متكررة للتوصل الى تسوية مع بريطانيا بشأن الموضوع.

أظهر تاريخ العراق لفترة ما بعد الحرب اربعة جوانب رئيسة. تعلق الجانب الأول بالثروة المتزايدة بكثرة والتي تكونت بفعل موارد النفط والامكانية التي اتاحتها لتوسيع اقتصاد البلاد، وتعزيز قوته الوطنية ورفع مستوى المعيشة فيه. وتمثل الجانب الثاني بالصراع بين المفاهيم المختلفة للوحدة العربية وانتهاك العراق في منافسة مصر من أجل الزعامة العربية. وشمل الجانب الثالث احتياز العراق الى الغرب في الحرب الباردة. وأظهر الجانب الرابع النزاع السياسي الجديد ضمن العراق نفسه والذي لم يعد بارزا ضمن المجموعة الوزارية كما هو الحال بين تلك المجموعة ومؤيدي الصيغة الحديثة للوطنية المعارضين للعديد من مبادئ تلك المجموعة. لقد جمعت المدرسة الفكرية الحديثة الرغبة بالحياد بين الكتل العالمية (وفي الواقع كثيرا ما كان هذا الحياد معاد للغرب ومحاب للشرق)، والرغبة المتقدمة لتحقيق الوحدة العربية مع ميل نحو مصر وسوريا والرغبة بتحقيق اصلاح سريع وجذري.. وأخيرا كان موقف الحكومة والمعارضة موجها بشكل يصعب اجتذابه الى الحرب في فلسطين واقامة (اسرائيل)، الامر الذي ترك تأثيره على جوانب الحياة السياسية.

وبحلول نهاية الحرب طالب الوطنيون العراقيون باعادة النشاط السياسي الحر، الذي توقف وقت الحرب، وبتعديل معاهدة ١٩٣٠ المبرمة بين العراق وبريطانيا. وقد اتجزت وزارة توفيق السويدي (شباط-ايار ١٩٤٦) الطلب الأول، إذ تم تشكيل ستة احزاب تمثل الوطنية الحديثة ذات الطابع اليساري الى حد ما. شرعت الاحزاب بمهمة المعارضة بصورة حماسية جدا، عن طريق الهجمات الصحفية والاضرابات، الى الحد الذي اقتضت فيه حكومة متصرف بغداد الاسبق ارشد العمري (حزيران-تشرين الثاني ١٩٤٦) بضرورة تقليص نشاطها. وقد اتخذ رؤساء الوزراء اللاحقين، نوري السعيد (١٩٤٦-١٩٤٧) وصالح جبر (١٩٤٧-١٩٤٨) اجراءات صارمة ضد المجموعات اليسارية التي تشكلت بصورة غير قانونية خلال الحرب وبعدها وقاموا باغلاق الاحزاب اليسارية الاشد تطرفا.

تضمن وزارة صالح جبر تعديل المعاهدة. وقد وقع، في كانون الثاني ١٩٤٨، معاهدة جديدة مع بريطانيا في بورتسموث. تسببت هذه المعاهدة بهيجان الشعور الشعبي إذ اثار تصرف الحكومة

ضد الأحزاب والصحف وتنمرها من اجراء الانتخابات سخط المعارضة التي كانت قلقة من بؤس الانقسام بين الحكومات العربية ومن المواقف في فلسطين والمعاهدة المبرمة حديثاً مع تركيا والسماح بانزال احترازي للقوات البريطانية في البصرة نظراً للاضطرابات التجارية على امتداد شط العرب في عبادان. زيادة على ذلك، استكثرت المعارضة معاهدة بورتموث التي تزامن إبرامها مع القلق الشعبي الناجم عن النقص الحاد في الحبوب والسخط من استمرار تصديره. وفي العاصمة، بدأت معارضة المعاهدة بمظاهرات طلابية واضرابات عمالية تدعمها الأحزاب السياسية، ففقدت الإدارة السيطرة واضطرت الحكومة الى الاستقالة وتم رفض الاعتراف بالمعاهدة. استمرت الاضطرابات في بغداد والمدن الأخرى خلال مدة وزارة الزعيم الديني محمد الصدر (كانون الثاني-حزيران ١٩٤٨) ووزارة مزاحم الباجي (حزيران-كانون الثاني ١٩٤٩) الا انها اُخمدت بفعل فرض الاحكام العرفية التي رافقت حرب فلسطين.

أخذ العراق مكانه مع الدول العربية الأخرى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨. وكان الوحيد بينهم الذي لم يعتقد هدنة مع (إسرائيل). وكان العراق قد اعترض بشدة على قرار الأمم المتحدة، الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٧، القاضي بتقسيم فلسطين، ولما جيش التحرير العربي غير النظامي الذي بدأ بدخول فلسطين بحلول كانون الثاني ١٩٤٨ ببضعة مئات من المتطوعين. وفي الخامس عشر من مايس ١٩٤٨، وهو يوم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، دخلت وحدات من الجيش العراقي النظامي في فلسطين. وقد انضمت لها فيما بعد قوة يبلغ تعدادها ما بين ثمانية الى عشرة الاف مقاتل. وتألّفت من لواء الي مدرع وسبع الى ثمان كتائب مشاة وثلاثة اسراب من الطائرات المساندة. وقامت هذه القوات بنجدة الفيلق العربي الاردني وجيش التحرير العربي المتواجدين في مثلث نابلس-طولكرم-جنين حيث استعمرت سيطرتهم على تلك المواقع حتى انسحابهم عام ١٩٤٩ اذ لم يكن الرأي العام يسمح باي انسحاب مبكر. ظل العراق رسمياً بعدئذ في حالة حرب مع (إسرائيل). وغداة اندلاع الحرب اغلق العراق خط لنابيب النفط الجنوبي المتجه الى البحر الابيض المتوسط والمار عبر الاردن وفلسطين. كان هذا الاعلاق، الذي ترافق مع مواسم الحصاد مسيئة الانتاج ونفقات الحرب، مصدر ارباك مضاف الى تدابير البلد المالية وبقيت (إسرائيل) بالنسبة للعراقيين، العدو الرئيس ومصدراً للنقمة على الغرب.

أثرت أحداث حرب فلسطين ونتائجها على علاقات العراق بالدول العربية الأخرى ايضاً. فقد أدت طموحات الاردن في سوريا وفلسطين، قبل ١٩٤٨، الى حصول توتر مع مصر، الامر اندي انعكس على علاقات العراق معها اذ عدت مصر الاتفاقيات التي أبرمها الاردن والعراق مع تركيا بمثابة عنصر استفزاز اضافي. استمر الخلاف نشاء حرب فلسطين وبعدها، لاسيما حين قام الاردن بضم القدس الشرقية. وفي عام ١٩٤٩ كان العراق ومصر في تناقض على الشراكة مع سوريا حيث تسلم نظام عسكري الحكم في اعقاب حرب فلسطين. وتم في مناسبتين سابقتين ابطاء امكانية تحقيق الوحدة بين العراق وسوريا، التي كانت امل رجال الدولة العراقيين والسوريين على الدول، نتيجة المعارضة المصرية الى حد ما. ومع ان العراق استمر في دعمه لمصر وسوريا ضد (إسرائيل). فقد ظلت علاقاتهما غير مستقرة. وفي الواقع، حاولت وزارة علي جودت الايوبي (كانون الأول ١٩٤٩-شباط ١٩٥٠) كسب رضا مصر وذلك بالتخلي عن مخططات الوحدة مع سوريا، الا ان هذا النهج لم يكن مقبولاً حتى لبعض من اعضائها الامر الذي أدى الى سقوطها.

استنتف النشاط الحزبي، الذي توقف نتيجة الاجراءات الامنية التي فرضت خلال حرب فلسطين، ابان وزارة توفيق السويدي (شباط-ايلول ١٩٥٠) وتكتف ابان وزارة خلفه نوري السعيد (ايلول ١٩٥٠-تموز ١٩٥٢). وكان نوري قد وحد انصاره في حزب الاتحاد الدستوري. وفي عام

١٩٥٠ اسس صالح جبر حزباً معارضاً من المعتمدين سمي بحزب الامة الاشتراكي علاوة على مجموعات المعارضة الموجودة المتمثلة بحزب الاستقلال والحزب الوطني للديمقراطي وائتلاف صغير من الساسة القدامى اطلق على نفسه اسم الجبهة الشعبية المتحدة. كان المسرح السياسي، طوال السنوات الثلاث التالية، مقسماً بين الحزبين المستقلين والحزاب المعارضة الثلاثة التي مثلت اوجهه الوطنية الحديثة. وقد توحدت هذه الاحزاب مع حزب صالح جبر لمعارضة المصادقة على معاهدة النفط الجديدة في شباط ١٩٥٢، واشتركوا، في شهر تشرين الثاني، في اعمال الاضطراب التي أدت الى الاحاطة بوزارة مصطفى العمري (حزيران - تشرين الثاني ١٩٥٢) بدأ الاضطراب بصورة عرض لتظلمات الطلبة الا انه تحول بفعل احزاب المعارضة الى مظاهرة للمطالبة باجراء انتخابات برلمانية من مرحلة واحدة. فقدت الشرطة زمام السيطرة على الامور وفي نهاية الامر تم استدعاء الجيش لاعادة النظام. وتولى رئيس الاركان الفريق نور الدين محمود رئاسة الوزارة وفي كانون الثاني ١٩٥٣ تخلى عن مركزه الوزاري بعد عودة حالة الاستقرار وصدر قرار بلقمة انتخابات من مرحلة واحدة، وقد خلفه جميل المدفعي (كانون الثاني - ايلول ١٩٥٣) في رئاسة الوزارة.

بلغ الملك فيصل الثاني السن القانونية في عام ١٩٥٣ وتسلم سلطاته الملكية في الثاني من ايار. وفي ايلول عهد فيصل برئاسة الوزارة الى رجل الدولة الشاب فاضل الجمالي، الممثل المنوه للقضية العربية في الامم المتحدة. كانت وزارته تحريرية في روحها، حيث ضمت عضوين من الجبهة الشعبية المتحدة والمناصر العراقي الابرز للإصلاح الزراعي عبد الكريم الازري. حاولت الوزارة اعادة العمل بضرية الارض ونظمت جهازاً اعلامياً شاملاً، فكانت الوزارة الاولى، لفترة ما بعد الحرب، التي تعترف رسمياً باهمية الرأي العام. وقد لاقت تأييداً ضئيلاً من المعارضة، التي اراتبت بارتباطات الحكومة مع الغرب وانتقدت موقف الحكومة ازاء الاضرابات التي استعملها الشيوعيون. اثارت فيضانات نهر دجلة الكبيرة والمفجعة تقريباً، في ربيع ١٩٥٤، الانتقاد على التدابير التي اتخذتها الحكومة للسيطرة على الفيضانات. ونتيجة لذلك، وافتقارها الى الدعم البرلماني، فقد استقالت الحكومة في نيسان ولما تقم باتمام مشاريعها بعد.

وفي اثناء ذلك تم الشروع ببرنامج كبير للتنمية الوطنية انصب على ايجاد سبل للحماية من الفيضانات المدمرة. وقبل الحرب العالمية الثانية تعرضت رغبة العراق بالنمو الى الاحباط من جراء نقص الموارد المالية. ومع ذلك، فقد وضع تصدير النفط ابتداءً من ١٩٣٤ فصاعداً اساساً للرخاء. وقد تزايدت موارد النفط بعد الحرب بشكل كبير نتيجة للنتاج المتصاعد ولائقية نظام المشاركة في الارباح التي ابرمت عام ١٩٥٢ حيث تم بموجبها تخصيص (٧٠%) من نسبة الارباح الى مجلس الاعمار الذي تم تأسيسه عام ١٩٥٠ لتطوير اقتصاد البلد وارتفاع مستوى المعيشة. تمت صياغة الخطط التي اولت، في سياق تنفيذها لبرنامج متقدم منظم في معظم مجالات الحياة الوطنية، اهتماماً الى الهندسة الزراعية، والسيطرة على الفيضانات، والصناعة، والطاقة، والاتصالات، والتطوير الريفي والمدني، والصحة، والضمان الاجتماعي، والتعليم. وقد تسلم لرشد العمري، الذي كان نائباً لرئيس المجلس، رئاسة الوزارة خلفاً للدكتور الجمالي، ثم قام هو شخصياً بفسح المجال امام نوري السعيد لتشكيل وزارة جديدة في اب ١٩٤٥.

كانت تلك الوزارة الثانية عشر لنوري السعيد، واستمرت ثلاث سنوات تقريباً، فكانت الوزارة الاطول والاكثر اهمية في تاريخ العراق. اعترم نوري احدث تعديل في المعاهدة البريطانية العراقية وضمان الحماية من أي تهديد سوفيتي محتمل والتنفيذ غير المحتمل لبرنامج التنمية، تلك الامور التي اعتقد نوري ان سلامة البلاد ورفاهيتها تتوقف عليها.

ترجمة: موضوع أحداث العراق السياسية ٢٠٧

كانت المفاوضات التي أدت إلى دخول العراق في عضوية حلف بغداد قد بدأت خلال وزارة الجمالي، إذ كانت الحكومة العراقية مهتمة بفكرة الرابطة الشمالية التي كانت قد ظهرت في ربيع ١٩٥٣، فحين أعلن في شباط ١٩٥٤ عن اعتزام تركيا وباكستان دراسة موضوع إقامة تعاون وثيق بينهما وعن تسلم باكستان مساعدة عسكرية أمريكية، قدمت وزارة الجمالي، بصورة متشابهة، طلباً إلى الولايات المتحدة للحصول على السلاح، وفي آذار زار الملك فيصل الثاني ونوري السعيد باكستان، وفي تشرين الأول أقيمت المناقشات في تركيا. وتلا عقد المعاهدة التركية الباكستانية للتعاون المبرمة في نيسان ١٩٤٥، عقد معاهدة دفاع عراقية-تركية في شباط ١٩٥٥ والتي كانت نواة لما أصبح يعرف فيما بعد بحلف بغداد.

وكان العراق قد قطع علاقاته الدبلوماسية، خلال الأشهر المنصرمة، مع الاتحاد السوفيتي. انضمت باكستان إلى الحلف في تموز وتلتها إيران في تشرين الأول ١٩٥٥. وقد رأت الحكومتان البريطانية والعراقية في الاتفاقيات الجديدة حلاً لمشكلة معاهدتهما المشتركة غير المعدلة نتيجة الاضطرابات التي حدثت في كانون الثاني ١٩٤٨، والمؤمل انتهاء العمل بها في عام ١٩٥٧. وفي نيسان ١٩٥٥ أقرت بريطانيا التزامها بحلف بغداد، وعلى هذا الأساس عقدت الدولتان بشكل متزامن معاهدة تحالف جديدة تم بموجبها نقل إدارة القواعد البريطانية إلى القيادة العراقية وانسحاب القوات البريطانية.

اعتقد نوري السعيد بأن أهداف التطوير الداخلي والخارجي التي كان قد وضعها بنفسه معرضة للخطر بسبب الاضطرابات الحزبية الأمر الذي يبرر فرض مقدار كبير من الرقابة. وقام، قبل تسلمه الوزارة، بحل حزبه (الاتحاد الدستوري)، وحذا صالح جبر حذوه في هذا المجال. وفي أيلول ١٩٥٤ ألغى نوري كل الأحزاب -مع ذلك استمرت أحزاب المعارضة بالعمل بشكل غير رسمي- وقيد قانون الصحافة. وتم أيضاً إبرام الاتفاقيات التي شكلت حلف بغداد من دون تعكير. وتواصلت أعمال التنمية بشكل سريع، إلا أن الاستقرار الظاهري قد تحقق على حساب المرونة الكبيرة من جانب مفكري ومناصري القومية الحديثة حيث أدان العديد منهم الحلف وأظهروا تعلقاً مع سياسات مصر وسوريا.

وفي الواقع، حاول الحلف، من وجهتي نظر هاتين الدولتين، عزل العراق عنهما بصورة نهائية، في وقت كانت فيه العلاقات تتحسن ببطء. شرعت الحكومة المصرية بتنظيم شبكة من التحالفات العربية العسكرية الموجهة ضد الحلف على وجه الخصوص، وهاجمته عبر كل مصادر دعايتها.

وكانت الحكومة العراقية قلقة بصورة متزايدة من ارتباط مصر، والأكثر من ذلك، حليفها سوريا بالكتلة السوفيتية. وقد وصل التوتر إلى ذروته خلال أزمة السويس حينما توقف تصدير النفط العراقي جراء تخريب محطات ضخ خط أنابيب نقل النفط في سوريا. وبتأييد العربية السعودية، من ناحية أخرى، للسياسة المصرية، فقد أظهرت الأزمة المصالح المشتركة وقادت إلى تعزيز العلاقات. وفي العراق نفسه ساعد التدخل البريطاني-الفرنسي في مصر على تأجيج واسع للرأي القومي الذي كان قد تعرض للضغط وبشكل متفجر جداً منذ تأميم قناة السويس. اندلعت الاضطرابات في بغداد (حيث أعلن رسمياً عن إصابة ستين شرطياً وتسعة مدنيين) وكذلك في النجف والموصل ومدن أخرى. ولمواجهة الموقف الشعبي واسع النطاق ضد القوتين الغربيتين، قطعت الحكومة علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا وابتقتها مع بريطانيا، إلا أنها رفضت الجلوس مع المندوبين البريطانيين في أي اجتماع للحلف، وبقي هذا الوضع حتى آذار ١٩٥٧. استمر فرض الأحكام العرفية من كانون الأول ١٩٥٦ إلى حزيران ١٩٥٧، وفي ذلك الشهر انسحب نوري السعيد من رئاسة الوزارة بعد أن سم

إعادة النظام والتغلب على المعاقب الاقتصادية اللازمة نوعاً ما. وقد ساعد تقارب خلفه، علي جونت الأيوبي، مع مصر وسوريا، فضلاً عن زيادة محددة في لرشاء الاقتصادي للموظفين ذوي اللياقات البيض، في تهدئة انفعالات أزمة السويس إلى حد ما. وفي كانون الأول ١٩٥٧ أصبح عبد الوهاب مرجان، وهو من مؤيدي نوري السعيد، رئيساً للوزراء. وقد وقع الملك فيصل الثاني ونظيره الأردني في الرابع عشر من شباط ١٩٥٨ اتفاقية لتوحيد بلديهما في اتحاد عربي. وكانت المملكتان الهاشميتان قد بدتا في العديد من المناسبات السابقة على وشك الاتحاد. وكانتا تميلان، حتى ١٩٥٦، إلى الحفاظ على موقف مشترك في سياستيهما العربية والدولية. وتلا ظهور حكومة أردنية قصيرة الأجل مؤيدة لمصر في ذلك العام فتور معين، سرعان ما تبدد اثر الانقلاب الملكي الذي قاده الملك حسين في نيسان ١٩٥٦. وبعد ثلاثة عشر يوماً من اتحاد مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة، التي تم الاعلان عنها في شباط ١٩٥٨، انبثق اتحاد العراق والأردن. وفي الثالث من آذار عاد نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة للإشراف على تشكيل هذا الاتحاد. وفي الخامس من ايار اقيمت انتخابات عامة، ووفقاً لأحكام الدستور العراقي يتوجب مصادقة المجلس المحلي والمجلس المنتخب حديثاً على التعديلات الدستورية كتلك المتعلقة بإقامة الاتحاد الجديد. كان النواب الجدد مؤيدين للحكومة وتمست مصادقة المجلس على الدستور المعدل بالإجماع، وبعد بعض المناقشات الحامية، وافق مجلس الاعيان على الدستور ايضاً. وفي التاسع عشر من ايار جرى تشكيل أول مجلس اتحادي برئاسة نوري السعيد، وقد حل احمد مختار بابان محله في رئاسة الوزارة العراقية. وكان ثمة أمل بانضمام المملكة العربية السعودية إلى الاتحاد، الا ان هذا الأمر لم يتحقق. ونظراً للالتزامات العراق المادية تجاه شريكها في الاتحاد، فقد تحول الاهتمام للكويت، وكان بلا نتيجة مثمرة ايضاً.

وفي حزيران وتموز كانت الحكومة العراقية منشغلة بشكل متزايد بالصراع السياسي في لبنان واعربت عن استعدادها للقيام بتدخل عربي-عراقي لصالح الرئيس شمعون وفقاً لشروط محددة. وكان من المؤمل ان تتم مناقشة العمل المشترك للدول الاسلامية الاعضاء في حلف بغداد في اجتماعهم المقرر اجراؤه في اسطنبول في الرابع عشر من تموز. وفي ذلك الصباح وقبل مفارعة الملك ونوري السعيد بغداد جواً لحضور الاجتماع، اطاحت ثورة عسكرية بالنظام.

في تقييم شديد الانجاز النظام القاسمي في الميزان^(١) بإعلام الدكتورة فبيي مار

ترجمة المدرس المساعد

مصطفى نعمان احمد^(٢)

خضع العهد القاسمي لتقييمات مختلفة من المعارضين والمؤيدين على حد سواء. فرغم ان سجل النظام كان مقبلياً بلا جدال، فما من شك ان عبد الكريم قاسم إحدث تغييرات جوهرية في نية المجتمع العراقي وفي اتجاه السياسة العراقية. فزخم سياسة المساواة التي اتبعها النظام أحدثت اصلاحاً اجتماعياً كان مطلوباً بشدة في نظام حيازة الارض، وفي ملكية العراق لموارده النفطية، وفي فتح الباب امام نظام تعليمي بطريقة افضت الى تعزيز دور الطبقة الوسطى. وما كان لهذه التغييرات العنيفة ان تحدث دون ان يصاحبها اضطراب، بيد ان تجاوزات اليسار، لاسيما الشيوعيين، اقلقّت المحافظين والقوميين فضلاً عن القوى الخارجية كالولايات المتحدة الامريكية، الامر الذي اوجد رد فعل عنيف افضى الى الاطاحة بالنظام. وقد اسهم عدم الاستقرار المستمر اسهاماً جوهرياً في بلورة نظام سلطوي.

وقد اثر عبد الكريم قاسم اتباع سياسة "العراق لولا" بدلاً من التورط بمشاريع وحدوية عربية. فقد اظهر ومناصروه في بادئ الامر رغبة بالقيام باعادة تنظيم اجراءات اقتسام السلطة داخلاً. وكان ينبغي ان يكون لهذا الامر تأثير ايجابي في تعزيز مشروع (الدولة-الامة)، الا ان نسياناً من هذا القبيل لم يحدث. فالخشية من النفوذ الشيوعي اشعلت شرارة بقطة دينية بين الشيعة. وتسلل الامر الاخطر في عودة الملا مصطفى البارزاني وحياء الحركة الكردية، ودشن بدء حرب كردية منقطعة، لكنها مستمرة، ابتلت بها الدولة لعقود.

وقد حول عبد الكريم قاسم أيضاً اتجاه الدولة من الغرب الى الكتلة السوفيتية. وتمثل الهدف من هذا التحول في تعميق استقلال العراق، وهو هدف تم تحقيقه الى حد ما (فالعلاقات مع الاتحاد السوفيتي لم تكن وثيقة قط على النحو الذي كانت عليه علاقات للنظام الملكي مع بريطانيا) غير ان هذا الاتجاه ازعج الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لخشيتهما من التهديد الشيوعي، الامر اندي ادى الى عزلة العراق. واتجاه العراق الجديد ازعج أيضاً وبشدة العالم العربي وانقوميين العرب العراقيين، الذين حشدوا صفوفهم للاتطاح بالنظام.

وفي النهاية، فان الحصيلة الاهم لحكم عبد الكريم قاسم الذي امتد لاربع سنوات ونصف السنة كانت سلبية: الاخفاق في اقامة مؤسسات سياسية لحكم العراق. فرغم بعض المحاولات الواهنة لتحقيق انفتاح في النظام السياسي، لم يسن دستور دائم، ولم تتبثق مؤسسات تمثيلية، ولم تقم انتخابات.

^(١) هذا الموضوع ممثل من كتاب (تاريخ العراق المعاصر) لمؤلفته الدكتورة فبيي مار الكبيرة الاولى بالشؤون العراقية في الولايات المتحدة الامريكية والتي تصل الان باحة ومورخه في المعهد الامريكي للسلام.
^(٢) مدرس مساعد في كلية الاداب الجامعة المستنصرية.

وبدلاً من ذلك، مارس قاسم الحكم من خلال مجلس وزراء خضع لسيطرته، وركز بيديه السلطات التنفيذية، والتشريعية، وأحياناً القضائية، أما محكمة المهداوي فقد جعلت العدالة موضع سخريه ودمرت بشكل دائم مفهوم حكم القانون وممارسته.

وزيادة على كل هذا أو ذاك، فإن العهد القاسمي فتح الباب على مصراعيه امام انغماس الجيش في السياسة. فالجيش منذ تلك الحين فصاعداً تدخل في السياسة مرمرأ، الامر الذي افضى الى غياب الاستقرار وانبثاق أنظمة سلطوية على نحو متزايد وتظهر نتيجة هذه العملية اللولبية بجلاء مع استخدام البعثيين والقوميين العرب للجيش للاطاحة بنظام قاسم في حدث من اشد الاحداث دموية خلال العقد الثوري.

القوة العسكرية والسياسة الخارجية الأمريكية^(٢)

مروسة استراتيجية تحليلية

عرض المدرس المساعد

سهيلة عبد الأنيس^(٣)

مع تسارع وتيرة التغيير في مختلف جوانب المجتمع الدولي وما صاحبه من بروز المتغير التكنولوجي وتوظيفه لتعظيم كل إشكال قوة الدولة بضمنها القوة العسكرية التقليدية وفوق التقليدية لمختلف أنواعها. يرى الباحث أن من المفيد البحث في الداعمة الأبرز للنوة العظمى الوحيدة، الولايات المتحدة الأمريكية، ممثلة بالركيزة العسكرية وكيفية استخدامها في ضوء المتغيرات الجديدة.

إن السياسة الخارجية الأمريكية عبر تاريخها الممتد منذ تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية حتى المرحلة الراهنة مرت بمرحلتين أساسيتين هما: العزلة والانغماس وانقسمت الأخيرة لتأخذ طورين هما طور القطبية الثنائية والصراع الأمريكي-السوفييتي، حيث شهدت الساحة الدولية صراع الدولتين العظميتين قرابة نصف قرن من الزمان، كانت القوة العسكرية الفصيل الذي يمكن من خلاله الاسترشاد بطبيعة العلاقة بينهما، ففي حالة التوتر نجد أن كليهما يعمد إلى الدخول في سباق تسلح وانتشار محمولين، من أجل إشعار الطرف الآخر بماهية عناصر قدرة ومكان قوة الأول.

والطور الثاني، هو طور التفوق الأمريكي في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (السند الاستراتيجي للولايات المتحدة).

ولعل السمة الوحيدة التي اتصفت بها هذه المراحل والأطوار مجتمعة، أن الولايات المتحدة لم تكن لتتوان عن استخدام أدواتها العسكرية لحماية مصالحها وتصفية من يعارضها أينما كان. إلا أن الذي يميز كل مرحلة وطور عن الأخرى أو الآخر، هو تعريف تلك (المصالح أو الأعداء) ومدى سعة كل منهما، حتى بلغت في الطور الأخير من المرحلة الثانية للذروة من حيث اتساع المصالح وحجمها وجبهة الأعداء التي أضحت الأكثر انتشاراً على طول مراحل تاريخها.

^(٢) رسالة ماجستير تقدم بها الطالب زياد طارق خليل إلى كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.

^(٣) مدرس مساعد كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية.

لذا فان أهمية موضوع القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية برؤية استراتيجية تحليلية تتجسد من خلال الآتي:

أولاً: كون للدولة موضوع البحث شأن كبير في السياسة الدولية فهي إحدى عملاقي القرار السياسي العالمي فترة الحرب الباردة والأمر الناهي بعدها. كما ان سياستها للكونية كانت قد عمت أرجاء المعمورة من دون استثناء وتجاوزت ذلك لترسم استراتيجيتها الخاصة بالتوظيف السياسي الامثل للقضاء الخارجي.

ثانياً: ان للقوة العسكرية أهمية خاصة وحرجة في الوقت نفسه في سياسات الدول الخارجية فهي الخيار الأخير والأكثر تأثيراً من بين الخيارات والأدوات المتاحة للتعامل فيما بينها. لذا نجد ان المجتمع الدولي وعلى طول مراحل تاريخية وتكوينية لم يتخل عن هذه الأداة بل كلما ازداد تقدمه الى الإمام سياسياً واقتصادياً وتكنولوجياً. أردف ذلك بتعزيز القدرة العسكرية لإطرافه نزولاً عند شعورهم المتبادل وعلى طول الخط بعدم الثقة.

ثالثاً: وإذا ما تم تناول المتغيرين السابقين سوية فسيكون استخدام القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية، الموضوع الأهم.

وعلى الرغم من الأصوات التي علت منذ بداية عقد التسعينات من القرن المنصرم والتي نادى بتراجع أهمية المكانة العسكرية للدول كأساس لتنبأان موقعها في سلم اللام الدولي ولفهم المعادلات الدولية التي أضحت تمثل انعكاساً لطبيعة علاقات القوة في المجتمع الدولي.

إلا إنها، كما أثبتت الولايات المتحدة ذاتها ظلت معياراً مهماً لا يمكن تجاوزه أو غض الطرف عنه، فأساس الهيمنة الأمريكية هي ليست قطبيتها الاقتصادية ولا السيمية (فالمجتمع الدولي متعدد القطبية الاقتصادية طول فترة الحرب الباردة بوجود ألمانيا واليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، خماسي القطبية السياسية بوجود الأعضاء الدائمين القابضين على سلطة إصدار القرار في مجلس الأمن، إلا انه ظل ثنائي القطبية العسكرية مقتصرأ في ذلك على العملاقين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (السابق) وعلى الولايات المتحدة صراً من بعد انهيار الاتحاد السوفيتي).

فأساس الهيمنة الأمريكية عسكري يردفه قدرة الدولة الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية وفي ذلك أهمية مضافة الى موضوع البحث الأمر الذي عبرت عنه فرضية البحث تكمن في "ان القوة العسكرية منتظلة تشغل مركز الصدارة من بين أدوات السياسة الخارجية الأمريكية بفعل متغيرين أساسيين:

الأول: إنها أساس التميز الأمريكي على بقية الأقطاب السياسية والاقتصادية الأخرى، وستعتمد على الحفاظ عليها وإلى أمد غير منظور ومتى ما استطاعت ذلك.

الثاني: ان التجارب التاريخية والمدارس الفكرية الأمريكية لا تزال تعتمد القوة العسكرية كمنفذ وحيد لمعالجة حالة التقدم البطيء الذي تشهده الولايات المتحدة اقتصادياً، والتراجع الثقافي والاجتماعي مقارنة مع الطفرات الأوروبية واليابانية.

ولجأ الباحث لمناقشة بحثه بزاياه السابقة الى اعتماد هيكليّة قائمة على فصل تمهيدي وثلاث فصول مثلت متن البحث مع مقدمة وخاتمة.
إما الفصل التمهيدي، فانقسم بدوره الى محورين أساسيين، تم عرض وتحليل الروى النظرية لمفاهيم الدراسة والعلاقة بين هذه المفاهيم (أو المتغيرات) في كما جاء المحور الثاني ليعطينا لمحة تاريخية سريعة ومركزة عن الموضوع.

تناول الباحث في الفصل الأول والركائز الاستراتيجية لاستخدام القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية، وذلك بالمرور على النظريات والمدارس الفكرية وصولاً الى الركائز الاستراتيجية التي عبر عنها الباحث بـ (القواعد والتسهيلات العسكرية، والأحلاف والمعاهدات الأمنية، والمجتمع الصناعي العسكري).

وجاء الفصل الثاني ليضع الأبعاد الفكرية والنظرية للموضوع موضع التطبيق، حيث الاستخدام الفعلي للقوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية على ارض الواقع. ومن خلال ثلاث تجارب مختلفة الأبعاد والخلفيات والنتائج هي التدخل العسكري الأمريكي في بنما عام ١٩٨٩م والتدخل العسكري الأمريكي حبال العراق عام ١٩٩١م واخيراً التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان عام ٢٠٠١م.

وعن الفصل الثالث والأخير، فانه تحدث عن مستقبل استخدام القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية، ومن خلاله تم استعراض مشهدين لمستقبل هذا الاستخدام وهما: الاستمرار في تصاعد وتيرة هذا الاستخدام ونمطاً متصاعدة طردياً اتجاه ترجيحها على غيرها من الأدوات الأخرى (الاقتصادية، السياسية، الثقافية..الخ) وهذا المشهد يفوم باختصار على الآتي:

١. الطروحات الفكرية لمؤيدي هذا الاتجاه من الساسة والمفكرين الأمريكيين.
٢. ما يرصد من مبالغ متصاعدة الوثيرة وبما يجعل من ميزانية الدفاع الأمريكية الأكبر في العالم وبلا منافس.
٣. التفوق الذي تتمتع به ترسانة الأسلحة التقليدية والنووية الأمريكية.
٤. يضاف الى ذلك دعم المجتمع الصناعي العسكري الداخلي، هذا المركب (السياسي، العسكري، الصناعي)، باتجاه توسيع النشاط الأمريكي في هذا المجال.
٥. وجود عسكري أمريكي بشكل قواعد وتسهيلات وأحلاف في مختلف أرجاء المعمورة.

إما المشهد الآخر، فهو تصاؤل استخدام القوة العسكرية في سياسة الولايات المتحدة الخارجية، ومما يؤيد إمكانية حصول هذا المشهد هو الآتي:

١. الطروحات الفكرية الراضية لمزيد من التورط الأمريكي في الشؤون العالمية لما يجلبه ذلك عليها من ويلات وأحقاد الآخرين، ومثل انهيار الاتحاد السوفيتي العامل المحفز لبروز هكذا تيارات فكرية بفعل زوال ما عرف (بالخطر الاحرم) الذي كان يقلق الشعب قبل الساسة الأمريكيين.
٢. ما تمثله المبالغ الطائلة التي ترصد لتغطية نفقات الدفاع من عبء على الاقتصاد القومي الأمريكي.
٣. عدد من الاختلالات التي تعاني منها القوة العسكرية الأمريكية بشقيها التقليدي وفريق التقليدي (أو اللا تقليدي)
٤. وبالرغم من ان الوجود والتدخل العسكري الأمريكي هو في العادة لضمان مصالحها الحيوية وفي مقدمتها الطاقوية (النفطية خصوصاً)، إلا ناه غالباً ما يكون مصحوب بارتفاع أسعار تلك المنتجات الطاقوية وهو بالضرورة يضر بمصالح الشركات الأمريكية الكبرى المتخصصة في هذا المجال والتي تمثل تياراً فاعلاً ومؤثراً في تكوين السياسة الأمريكية (صنع القرار الأمريكي) ولا نقل أهمية عن المجتمع الصناعي العسكري.
٥. وأخيراً فإن الوجود والانتشار العسكري الأمريكي العالمي له تكاليف باهضة أرهقت كاهل الاقتصاد الأمريكي خاصة إذا ما تزامنت مع المبالغ الكبيرة التي ترصد عادة لعمليات البحث والتطوير الصناعي العسكري. فانهيار الاتحاد السوفيتي اقتصادياً ومن ثم سياسياً بفعل سباق التسلح المحموم الذي طاقته مع الولايات المتحدة لم يكن من دون ان تتحمل الأخيرة مشقة خوضها لذلك السابق بل ان تبعاته طالتها أيضاً وان لم تؤد الى انهيارها.

ولعل تناول المشاهد المستقبلية من غير ترجيح إحداها هو أمر غير ذي جدوى، لذا فإن الباحث رجح استمرار الولايات المتحدة في تفضيل الاستخدام الخارجي للأداة العسكرية وذلك بفعل صعوبة التراجع عن نهجها السابق فهي لا تتقن الكلام إلا بلفه الحرب الباردة.

العلاقات الإيرانية-الأوروبية^(١) ”مراصة في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية وتأثيراتها على كلا الطرفين ١٩٩٠-٢٠٠٤“

عرض المدرس المساعد

زيد طارق خليل^(٢)

تتبع أهمية الدراسة في كونها اسهاماً علمياً في دراسة وتحليل للعلاقة الإيرانية مع دول الاتحاد الأوروبي في ظل المتغيرات على المستويين الإقليمي والدولي، من خلال بيّنا مسار هذه العلاقات وأفاقها فضلاً عن إنها سلطت الضوء على نقاط الخلاف الرئيسية التي تحكم الطرفين وكذلك سعت الدراسة الى إيضاح المسارات المستقبلية لهذه العلاقة.

انطلقت الدراسة من فرضية مفادها ان انفتاح إيران على العالم ولاسيما دول الاتحاد الأوروبي، جاء ليملي الفراغ الذي تركته عزلت إيران الدولية على اثر السياسة الأمريكية تجاهها، لذا لجأت للانفتاح على العالم هذا من جهة، وسعت دول الاتحاد الأوروبي من جهتها الى ملء الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة الأمريكية في إيران وخلق حالة من التوازن السياسي، ومحاولة الحد من حالة الانفراد الأمريكي في المنطقة.

ان مجموعة المتغيرات الإقليمية والدولية حولت إيران الى بلد عالمي دولي، ذلك ان سياستها الخارجية رخصت ومستظل لعوامل ثابتة بعيدة عن التطورات واثارها على صعيد سياستها الداخلية، اذ لا يمكن لايران انطلاقا من ميزاتها القوية ان تكون بلداً هامشياً، فهي احد الاطراف الإقليمية والدولية المهمة شامت ام ابنت، وان عدم قدرة إيران التكيف مع المستجدات والتطورات سيجعلها الخاسر الأكبر وسوف يسهم في عزل وتهميش دورها، والتصور الأمريكي، خصوصاً بعد طرح مشروع ”الشرق الاوسط الكبير“ واضح في هذا الجانب.

وعلى هذا يمكن القول ان إيران بعلاقاتها المتطورة مع دول الاتحاد الأوروبي استطاعت ان تتخطى العديد من العقبات التي وضعتها وتضعها الادارة الأمريكية امام إيران من اجل عزلها دولياً، وقد نجحت دول الاتحاد في افضال العديد من المشاريع الأمريكية في هذا الجانب ومنها افضال العمل بقانون ”دامتو“ الأمريكي، ونجح في الانفتاح على إيران واقامة العلاقات معها وخصوصاً على الصعيد الاقتصادي.

اضافة لذلك سعت دول الاتحاد الى عدم مجارة الحليف الأمريكي فيما يخص البرنامج النووي الإيراني، اذا عملت دول الاتحاد جاهدة الى عدم تقديم الملف النووي الإيراني الى مجلس الأمن الدولي الذي قد يفرض عقوبات لقتصادية على إيران.

من هنا يمكن القول ان إيران وظفت ولو بشكل نسبي علاقاتها المتميزة مع دول الاتحاد للتقليل من وطأة العراقيل التي تعضها الإدارة الأمريكية لإمساها، وقد ساعدها في ذلك وجود الرغبة الأوروبية في تنمية علاقاتها مع إيران وبدافع الاستفادة من المميزات التي تتمتع بها إيران من جهة ومن اجل تعويض لتحسار مصالحها في الخليج والعراق بسبب الانفرادية والهيمنة الأمريكية المطاف.

^(١) رسالة ماجستير تقدم بها الطالبة سهيلة عبد الانيس الى كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.

^(٢) مدرس مساعد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية.

عاجلت الدراسة هذه العلاقة في خمسة فصول جاء أولها ليمتعرض الأهمية الجيوستراتيجية لإيران في المدركين الأمريكي والأوروبي مركزة على الموقع الجغرافي والاستراتيجي لإيران وأثره على مستقبل العلاقة بين الطرفين اخذين بنظر الاعتبار الامتدادات السياسية والأمنية والاقتصادية لهذه الأهمية.

وجاء فصل الدراسة الثاني لبيان متغيرات نهاية الحرب الباردة وتأثيرها على العلاقات الإيرانية الأوروبية، ووضع جمهورية إيران الإسلامية في ظل النظام الدولي الجديد، الى جانب دراسة الرؤية الأوروبية الجديدة لأمن الخليج العربي موضحة أهمية منطقة الخليج بالنسبة لأوروبا. إما فصل الدراسة الثالث، فقد تضمن دراسة وتحليل الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية للعلاقة بين الطرفين: من خلال بيان حجم العلاقات المتبادلة وخصوصاً الاقتصادية منها. رغم التطور الذي شهدت العلاقة بين الطرفين إلا ان هذه العلاقة يشوبها العديد من المشاكل والخلافات وهذا ما عاجله الفعل الرابع من الدراسة وجاء تحت عنوان ملفات الخلاف في العلاقات الإيرانية-الأوروبية والذي تضمن أربعة محاور رئيسية كان أولها الملف النووي الإيراني الذي يعد واحداً من أهم ملفات الخلاف بين الطرفين بسبب الإصرار الإيراني على تطوير برنامجها النووي والاستمرار في عمليات تخصيب اليورانيوم، وحاولت دول الاتحاد الأوروبي على اثر ذلك حل الخلاف فقدمت مجموعة من المبادرات من أجل حل إشكاليات هذا البرنامج لتفرض نفسها كشررك رئيسي وفاعل في هذه القضية بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وتضمن محور الخلاف الثاني قضية الإرهاب الدولي وإثره على العلاقة بين الطرفين خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١.

وجاء محور الخلاف الثالث ليعالج موضوعة الخلاف حو لمشروع التسوية في الشرق الأوسط والموقف الإيراني من الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. الى ذلك عالج المحور الرابع موضوعة اطلاق حول الحريات وحقوق الانسان في ايران خاصة بعد الادانات التي وجهت لايران من قبل المنظمات الدولية بسبب انتهاكاتها لحقوق الانسان والحريات العامة.

وجاء الفصل الخامس من الدراسة ليضع ثلاث تصورات مستقبلية لطبيعة العلاقة بين الطرفين في ظل المتغيرات الاقليمية والدولية والتي كان أهمها ذلك المتغير الذي تمثل بغزو العراق والذي ساعد في ان تكون ايران جارة لقوة عظمى العداة تناصبها العداة متمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعولج في ثلاثة محاور مثلت مشاهد لقراءة مستقبل هذه العلاقة وطبيعتها وتضمن اولها مشهد التوتر القطيعة وتوصلت الدراسة في هذا الجانب الى نتيجة مفادها ان مشهد التوتر والقطيعة في الامد المستقبلي المنظور مستعد بين الطرفين بسبب كبر حجم العلاقة والمصالح المتبادلة بينهما، اما المحور الثاني فجاء ليوضح تصوراً لمستقبل العلاقة الإيرانية-الأمريكية كون الولايات المتحدة تعد القوة العظمى الأكثر تأثيراً في العلاقة بين الطرفين وكون الاتحاد الأوروبي هو حليفها الاستراتيجي الأكثر قوة وإيران ذات الموضع الجيوستراتيجي الأكثر أهمية بالنسبة لها، متصورين مشهد التقارب الإيراني-الأمريكي وموضحين ما ستؤول اليه العلاقة الإيرانية الأوروبية ان حدث مثل هكذا مشهد على ارض الواقع، وجاء المحور الثالث ليصور مشهد استمرار وتطور العلاقة بين الطرفين وما سيجنيه الطرفان من وراء علاقتهما.

وعلى أية حال فإن تحقيق إحدى هذه الاحتمالات لو المشاهد في المستقبل يبقى رهنا اعدد كبير من المتغيرات والظروف والمستجدات، إذ ليس في السياسة ثوابت فكل شيء قابل للتغيير.

Ministry of Higher education
And Scientific Research
Al-Mustansiriyah University College of political Sciences

The International and Political Journal

